كمال رحمته

صلى الله عليه وسلم

محمد غسان الجبان
الجنيدي الحسيني

كمال رحمته

صلى الله عليه وسلم

محمد غسان الجبان
الجنيدي الحسيني

حقوق الطبع محفوظة

للتواصل الاتصال :

E-mail: gh.aljabban@gmail.com

رقم موافقة الإعلام: ١٠٨٦٧٥

تاريخ ٢٠١١/٦/٣٠

الطبعة الثانية

١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
جعفر

إلى سيدنا محمد ﷺ

- خاتم النبيين، وإمام المرسلين...
- صاحب الشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود...
- منبع الخُلُق العظيم، والمنهج الحكيم...
- مظهر العناية الإلهية وشمس نور الهداية الربانية...
- منقذ البشرية، وهاديها إلى السعادة الأبدية...
- رسول الله إلى الناس أجمعين...
- مَن أرسله الله تعالى شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً...
- نبي الرحمة، والرحمة المهداة...

فداك أبي وأمي ونفسي وأهلي ومالي...

يا رسول الله ﷺ.

المقدمة

عناوين المقدمة

أولاً: لماذا هذا الكتاب؟

مشاهد من واقع الأمة الإسلامية:

- **المشهد الأول: الصراع بين الحق والباطل لا يتوقف...**
- **المشهد الثاني: الحرب على رسول الله ﷺ..**
- **المشهد الثالث: أجيال الضياع!!...وأجيال عصر النهضة والصحوة...**
- **المشهد الرابع: حرب الرموز..**
- **المشهد الخامس: عندما لا يكون الولاء لرسول الله ﷺ أولاً.**

ثانياً: بماذا يتميز هذا الكتاب؟

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على سيدنا محمَّد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آل بيته الطيِّبين الطاهرين، وأصحابه أجمعين، ومن تَبِعَهم بإحسان إلى يوم الدين.

بادئ ذي بدء سأجيب في هذه المقدمة على سؤالين اثنين:

- **أولاً**: لماذا هذا الكتاب؟

- **ثانياً**: بماذا يتميز هذا الكتاب؟

أولاً: لماذا هذا الكتاب؟

إن الدارس والباحث في واقع الأمة الإسلامية اليوم يرى بعض المشاهد التالية من جملة مَشَاهِدَ متعددةٍ مهمة:

- **المشهد الأول: الصراع بين الحق والباطل لا يتوقف.**

يتكالَبُ أعداء الإسلام على الأمة الإسلامية والعربية، بحقد وكراهية ووحشية، وبشكل متزايد ومركَّز اقتصادياً وعلمياً وإعلامياً وعسكرياً...، مصداقاً لما أنبأ به **رسول الله** ﷺ **حيث قال**: «يوشكُ الأُمَمُ أنْ تَدَاعَى عليكم كما تَدَاعَى الأَكَلةُ إلى قَصْعَتِها»، فقال قائل: ومن قِلَّة نحن يومئذ؟ **قال**: «بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صدور عدوِّكم المهابةَ منكم[1]، وليقذِفنَّ الله في قُلُوبكم الوَهْنَ»، فقال قائلٌ: يا رسول الله وما الوهْنُ؟ **قال**: «حُبُّ الدُّنيا، وكراهيَةُ الموتِ»[2].

لقد بدأَتْ حروبهم على أمَّتنا منذ القديم، فحصلت الحروب الصليبية (حروب الفرنجة) والتي اتخذت أشكالاً مختلفة ومظاهر متعددة، وما زالت ثقافتها المعادية وهزَّاتُها المرْتَدّة مستمرة حتى الآن، وليس أدل على ذلك مما صرَّح به الرئيس الأمريكي السابق –جورج بوش الابن– الذي أعلنها بصراحة ووقاحة: أن حروبه على أفغانستان والعراق هي حروب صليبية!!.

فالحروب العدوانية الخارجية تجتاح عدداً من دول العالم الإسلامي، وتُغذّى الفتن والنزاعات الداخلية بكل أنواعها؛ للإبقاء على نار الحروب والنزاعات مشتعلة، حتى لا تقوم قائمة لوحدة شعوب هذه الأمة، وتُحاصَرُ عدة دول إسلامية مالياً واقتصادياً وحتى علمياً...، ويُحرَّم على الدول

(١) من الذين يحبون الدنيا ويتعلقون بها ويكرهون الموت.

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٤٢٩٧) [٤٦٩]، وهو صحيح.

الإسلامية أن تتقدم في مجال البحث العلمي والتقني، ويمنع دخول أيّة تقنيات حديثة متقدمة إليها، ولو كانت في مجال تصنيع الأدوية التي تحتاج إلى تقنية متقدمة... إنها حرب لإغلاق أبواب المعرفة والتقدم على الأمة الإسلامية.

وصور ومشاهد وأنواع من هذه الحروب المعلنة والخفية على الأمة الإسلامية لا تخفى على من يملك الحد الأدنى من الوعي والمعرفة.

- **المشهد الثاني: الحرب على رسول الله ﷺ..**

يركِّز أعداؤنا في حربهم الإعلامية على تشويه صورة سيِّدنا محمد ﷺ وسمعته بشكل خاص، ودينِنَا الإسلامي بشكل عام، بأساليب مختلفة، قديماً وحديثاً، من خلال ثلاثة محاور:

١- محور المستشرقين المعادين.

٢- محور بعض الجاهلين من أبناء جلدتنا.

٣- محور وسائلهم الإعلامية المتنوعة المرئية والمسموعة والمقروءة ...

لقد قام المستشرقون المتطرفون وأعداء الإسلام قديماً وحديثاً بشنِّ حرب على الإسلام عامة، وعلى سيدنا محمد ﷺ خاصة، بقصد تشويه صورته وسمعته...، من خلال نشر الدعايات المضلِّلة والمفتَرَيَات الكاذبة لتَشيع بين الناس، واتخذوا هذا شرعة لهم ومنهاجاً، واعتقدوا أن للتكرار قوة تأثير، وكان مبدؤهم في هذا الموضوع هو: (اكذب، اكذب، اكذب...، حتى يصدِّقَك الناسُ)؛ فمن هذه الأكاذيب والأضاليل التي نشروها أن المسلمين يعبدون محمداً ﷺ، وأن المسلمين يعتقدون أن النساء ليست لهن أرواح، وأنَّ محمداً ﷺ

مؤسس ديانة كاذبة بربرية، وأنه يشكو من الصرع...، ويطعنون في القرآن الكريم...

وإن تعجب فعجب قولهم!! (قد كانت المرأة العربية إلى عهد محمَّد تتمتع بقسط كبير من الحرية، وكانت علاقتها بالرجال تقوم على أسس سليمة وصريحة أكثر مما قامت عليه منذ عهد الإسلام). هذا ما قالته " لورا هيلين سوبر يدج" في كتابها "أحلام المرأة ورسالتها".

حقيقة

انظروا إلى افترائهم وإلى قلة حيائهم، وكيف يطمسون الحقائق ويشوهونها، فالكلُّ يعلَم كيف كان حال المرأة قبل الإسلام؛ حيث تُدفَن البنات وهنّ أحياء، وكيف كانت المرأة تورَث مع المتاع، وتُذَلّ وتُحتَقَر وتُهَان(١).

ثم انظروا إلى افتراءاتهم وكيف عملوا على تشويه الإسلام و صورة النبي ﷺ وسمعته منذ القديم، وقد قام بهذا أمثال "فولتير" الذي أساء إساءات كبيرة للنبي ﷺ و"دافيد صموئيل مرجليوث" الذي شكَّك في القرآن الكريم، وقد قام كثير من المستشرقين الحاقدين بأعمال مماثلة وبأساليب متعددة، وبقي الأمر مستمراً حتى يومنا هذا؛ حيث سمع العالم كلُّه بقصة الرسوم المسيئة للنبي ﷺ التي نُشِرَت في دول أوربية عدة، وكذلك الأفلام السينمائية التي تسيء للإسلام ونبيِّه ﷺ.

(٢) انظر بحث رحمة النبي ﷺ بالنساء في هذا الكتاب ص٩٧.

فقد قام الرسام الدانماركي "**كورت ويسترجارد**" بنشر اثني عشر رسماً في عام (٢٠٠٥م)، أساءت للنبي ﷺ وأدت إلى ثورة غضب عارمة في العالم الإسلامي.

وكذلك قام السياسي العنصري المتطرّف "**جيرت فليدرز**" عضو البرلمان الهولندي في عام (٢٠٠٨م) بإنتاج فيلم تحت عنوان "**فتنة**" يسيء فيه للنبي ﷺ إساءات بالغة، تنبع من حقده وتطرُّفه وعنصريته ضد الإسلام والمسلمين، وعلى الخطوات نفسها يسير متطرف وحاقد آخر من هولندا؛ إذ يستعد لنشر فيلم كارتوني تحت عنوان "**حياة محمد**" يسيء للنبي ﷺ والإسلام والمسلمين.

وقد سبقهما المخرج الهولندي "**ثيوفان جوخ**" في عام (٢٠٠٤م) بإنتاج فيلم تحت عنوان "**الخضوع**" يسيء للنبي ﷺ، ويوجِّه إهانات كبيرة للإسلام والمسلمين.

وهذا قليل من بؤر نتنة تنشر روائحها الكريهة في أكثر من مكان، وعلى أكثر من صعيد...!!

وإذا كان المستشرقون-خاصة- أو المعادون للإسلام-عامة-، وآلة الدعاية الجبارة التي تساندهم يهدفون إلى:

أولاً: عدم انتشار الفهمِ الوسطي المعتدلِ للإسلام في العالم الغربي خشية انتشاره.

ثانياً: محاربة الإسلام في عقر داره.

فإنهم لم يفلحوا في الحالين، فما زالت المعركة في العالم الغربي محتدمة، وظَهَرَ عدد كبير من المفكرين المنصفين الذين انتصروا للحقيقة -وهم

مسيحيون- من أمثال: "إدوارد جيبون" البريطاني، و"غوتيه" الألماني، و"برنارد شو" البريطاني، و"ألفونس دولا مارتين" الفرنسي، و"كيتاني" الإيطالي، و"زغريد هونكه" الألمانية، وغيرهم...

شهادة

يقول جورج برناردشو:

(لقد كنت دائماً أُكِنُّ غاية الاحترام لدين محمد بسبب حيويَّته العجيبة، وفي رأيي أنّ الإسلام هو الدِّين الوحيد الَّذي يملك الاستعداد للتلاؤم، ولتوجيه الحالات المتنوعة، والصور الحياتية المتغيِّرة، ولمواجهة العصور المختلفة، وإنني لأتنبَّأ أن دين محمد سيكون محل قبول أوربة غداً.

إنَّ رجال الدِّين في القرون الوسطى قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة، فقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحيِّة، لكنني اطَّلعت على أمر هذا الرَّجل فوجدته أُعجوبة خارقة، وتوصَّلتُ إلى أَنه يجب أن يسمى: "منقذ البشريَّة"، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم لَوُفِّقَ في حلِّ مشكلاتنا بما يؤمِّن السلام والسعادة التي يرنو إليها البشر)..

وهكذا فإنَّ "برناردشو" كان منصفاً وباحثاً موضوعياً عندما أقرَّ بما يلي:

١) حيوية الإسلام العجيبة، وقدرته على التلاؤم مع المتغيرات، والقدرة على التوجيه والتأثير في كافة العصور.

٢) التنبؤ بانتشار الإسلام في العالم الغربي.

٣) التأكيد على أن النبي ﷺ شخصية ذات مميزات خارقة؛ وأنه منقذ البشرية؛ وأنه قادر على حل المشكلات التي يعاني منها الإنسان، وتحقيق آماله بعالم يسوده السلام والسعادة.

٤) التأكيد على أن التصرفات الفكرية الحاقدة ضد الإسلام ونبيِّه ﷺ التي سادت العالم الغربي، هي نتيجة لجهود رجال الدين في القرون الوسطى.

ونُضيف: إن من الإنصاف أن نقول: لا يتحمل رجال الدين في القرون الوسطى وحدهم هذه المسؤولية، بل كان لجهود بعض المستشرقين الغربيين الماكرين،وأسيادهم من السياسيين المستعمرين (الذين وظفوهم لتنفيذ مخططاتهم الاستعمارية) دورٌ خطيرٌ وواسعٌ في نشر الكراهية والعداوة للإسلام وسيدنا محمد ﷺ بشكل خاص.

وما زال العالم الغربي يعاني من جهودهم المحمومة في تشويه صورة النبي ﷺ، وكذلك في نشر ثقافة الخوف من الإسلام في الغرب (الإسلام فوبيا) حتى يومنا هذا.

وتجدر الإشارة إلى أن أهم موقع انترنت يتحدث عن الإسلام في العالم الغربي، يحتوي على خلاصة أفكار هؤلاء المستشرقين المعادين للنبي ﷺ _خاصة_ وللإسلام _عامة_[1]

(١) وإذا كان هناك عدد ليس بقليل من المسلمين في سكرتهم نائمون، فإن الله تعالى يقيض لهذا الدين من يعشق رسول الله ﷺ ويفديه بأهله وماله وحياته، وينافح عنه، وينصره، ويعظم شأنه، ويعمل ليله ونهاره من أجل هذا، ويحقق إنجازات باهرة في نصرة النبي ﷺ ودينه، ومن

ويعتبر هذا الموقع وأمثاله المصدر والمرجع الأول للباحثين والدارسين ولمن يرغب بالتعرف على الإسلام على مستوى العالم الغربي.

بالمقابل ظهر عدد من المفكرين المعجبين بالنبي ﷺ الذين آمنوا به وصدّقوه وعزَّروه ونصروه من أمثال "توماس كارليل"، و"موريس بوكاي"، و"اللورد هدلي"، و"مراد هوفمان"، و"روجيه غارودي" وغيرهم... ولهم جهود كبيرة في التعريف برسول الله ﷺ ورسالته السمحة..

ذلك ما ذكره لي الباحث والداعية " الدكتور محمد خير الشَّعَّال " عن رجل كندي أتى إلى سورية وطلب لقاءه ولقاء العلامة الأستاذ المحدِّث " الدكتور نور الدين عتر " وطلب منهما أن يساهما في إصدار أكبر موسوعة إسلامية لتكون المرجع البديل للموسوعة المضلِّلة التي ذكرتها آنفاً والتي بقيت المرجعية الأساس للتعرف على الإسلام ونبيه ﷺ لمئات السنوات لمن يعمل في الفكر والثقافة والسياسة في العالم الغربي...، إذ كانت موسوعة مطبوعة وأصبحت اليوم على مواقع الانترنت.

ومن العجب أن ينبري هذا الرجل ويسخِّر كل طاقاته لمعالجة هذه المعضلة الكبيرة، في حين أن مؤسسات إسلامية كبيرة لم تسعَ لمثل هذا العمل، بل لعلها كانت في غفلة عن هذا....

وإن تعجب فإن هذا الرجل الكندي الجنسية دخل في الإسلام منذ مدة طويلة بعد رحلة شاقَّة في البحث عن الحقيقة، وقد نذر نفسه لهذا العمل الهائل الذي يحتاج إلى مؤسسة ضخمة تضمُّ متخصصين من ذوي المهارات العالية في تقنية المعلومات واختصاصات أخرى، بالإضافة إلى التعاون مع مرجعيات إسلامية عالية التخصص لإنجاز هذا المشروع الاستراتيجي، فتأمل....

إن كنت يا هذا في غفلة فإن الذين يعشقون رسول الله ﷺ ليسوا بغافلين.

وأما الهدف الثاني لأعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم في محاربة الإسلام وتشويه سمعة النبي ﷺ في العالم الإسلامي، فقد انهار هذا الهدف أمام صحوة إسلامية واسعة، وانبرى محبُّو النبي المصطفى ﷺ يدحضون أكاذيبهم، ويَرُدُّون افتراءاتهم، ويقيمون الحجة عليهم، ويبينون محاسن الإسلام، وكمال النبي ﷺ وعَظَمته وإنجازاته، وانتشرت الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي، وظهرت آثارها، وكان من أهم هذه الآثار ظهور حركات المقاومة ضد المحتلين، وتحقيق الانتصارات العجيبة التي أدهشت العدو قبل الصديق، وما زالت المعركة محتدمة...

* * * * *

- **المشهد الثالث: أجيال الضَّياع!!...**

وأجيال عصر النهضة والصحوة...

تأثَّر بعض الشباب بالحرب الإعلامية المجنونة الداعية إلى التَّفلُّت من القيم الدينية والوطنية والإنسانية.

فأصبحت لدينا شريحة من هؤلاء الشباب تمثل أجيال الضَّياع، التي انغمست في عالم الشهوات، أجيال فقدت رسالتها في الحياة، وليس لديها اهتمامات تتعلق بمستقبل الأمة وقضاياها المصيرية، بل ليس لديها اهتمامات تتعلق حتى بمستقبلها الشخصي وعيشها الكريم، فضلاً عن امتلاكها إرادة التضحية من أجل نصرة مُقدّسات الأمة!!

مثال مِنْ حياة أجيال الضياع:

وإنه لمشهد عجيب...!! مدهش وغريب في آن معًا !!... أن ترى الكثير من شبابنا ورجالنا وفتياتنا ونسائنا منشغلين بعمق في قضايا ليس لها شأن في حياة الأمة ومستقبلها، بل لا شأن لها في مستقبلهم الشخصي، وتأخذ حيزاً كبيراً من وقتهم وتفكيرهم، كالموضة المستوردة من الغرب في الشَّعْرِ واللباس والغناء والمباريات وألعاب الفيديو والسهر واللهو واللعب، ولئن سألتهم عن ثقافة إدارة الوقت واستثماره فلن تجد لديهم جوابًا، لأنهم لا يقرؤون وإذا قرؤوا لا يفهمون وإذا فهموا لا يعملون ولا يهتمون !!.. في حين لا يهتمون ولا تحركهم محاولات العدو الصهيوني لهدم المسجد الأقصى، وطرد الآلاف من الفلسطينيين من بيوتهم الَمْقدِسِيَّة، واغتصابها أمام عين

العالم وبصره...!! بل لا تحرِّك بعضَ هؤلاء الشباب مشاهدُ قتل الآلاف من الأطفال والشيوخ والنساء، وهدم آلاف المنازل على رؤوسهم، بل إنهم لا يرغبون برؤية هذه المشاهد على شاشات التلفاز، وتراهم ينتقلون إلى قنوات (الفيديو كليب) وغيرها هروباً من تحمل المسؤوليات، **إنها غيبوبة الموت..!!**

يقول المتنبي:

من يَهُن يسهل الهوان عليه ما لِجُرْحٍ بميّتٍ إيلامُ[1].

وبالمقابل إنك لتندهش من إنجازات جيل أحبَّ رسول الله ﷺ وعشقه وعشق رسالته...فهو جيلٌ:

١) له رسالة في الحياة.

٢) مهتمٌ بقضايا الأمة.

٣) مهتمٌ بمستقبله الشخصي وبتأهيل ذاته بامتياز.

٤) بعيد عن عالم الرذيلة، قريب من عالم الفضيلة والعلم والثقافة.

٥) يمتلك إرادة التضحية من أجل نصرة قضايا الأمة ومُقدَّساتها.

(١) "العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب" الشيخ ناصيف يازجي [٣٢٧/١].

مثال من حياة أجيال عصر النصر والصحوة:

إنه لمشهد مدهش حقاً أن ترى طفلاً تَربَّى في بيئة وطنية في المساجد وغيرها وقد خرج يحمل حجراً ليواجه به دبابة صهيونية تتقدم نحوه، فهو يواجهها بكل شجاعة وقوة إيمان، لا ترهبه بهديرها ومدافعها ورشاشاتها....

إنه لمشهد مدهش حقاً أن ترى أمَّاً تحمل بيدها اليسرى طفلاً وبيدها اليمنى حَجَراً تقذف به دبابة بكل عُدَدِها وعتادها.

إن قمة الدهشة التي تصيبك برعشة الانبهار: أن تجد أماً شابة -في العشرينيّات من عمرها- ولها ثلاثة أطفال -أحدهم رضيع، والآخران دون الخامسة من العمر- وقد تغلَّبت على أعظم عاطفة عرفها الإنسان -وهي عاطفة الأمومة- فتقوم بتنفيذ عملية استشهادية، وتقتل سبعة من جنود الصهاينة المجرمين المحتلين...

حقيقة

وتتوالى مشاهد أجيال النصر...، أجيال العزة والكرامة...، مقابل مشاهد أجيال الضياع.

وبالمقارنة أين أجيال الضياع.. من مشاهد أجيال التفوق والإبداع..

في المجالات الفكرية والثقافية والعلمية والتقنية والسلوكية والقيمية والوطنية !!؟

- **المشهد الرابع: حرب الرُّموز...**

يعمل أعداؤنا على ربط المسلمين بثقافات وشخصيات غريبة عنا وعن ثقافتنا وحضارتنا، كما يعملون على عزل المسلمين عن النبي ﷺ ورسالته.

فإذا أجريتَ إحصاءً لشرائح مختلفة من المجتمع الإسلامي، ووضعتَ نموذج استبانة يوضح مدى معرفة أبناء الأمة بتاريخهم ورسالتهم ورسولهم ﷺ، لكشَفَت لك الدراسة عن واقعٍ مُفزع، ينبئك عن عِظَم الفجوة وعن العزلة بين بعض أجيال الأمة وبين ثقافتهم ورسالتهم ورسولهم ﷺ. **اسألهم** عن بعض صناع مجد هذه الأمة[1] ؟!!...تجد أنهم لا يعرفون عنهم شيئاً!!..

بالمقابل لو أجريتَ استبانةً عن معرفة بعض شرائح المجتمع بشخصيات غريبة عن أمتنا ومجتمعنا، ليس لها شأن علمي أو فكري أو أدبي، بل هي في إطار الموضة مثلاً أو الغناء أو عالم السينما والمسلسلات الساقطة... لوجدت الكثير من أبناء مجتمعنا يعرفون الكثير عن هؤلاء الذين لا يقدِّمون شيئاً ذا قيمة للحضارة الإنسانية!!...

أما إذا كانت هذه الشخصيات غريبة عنا وذات إنجازات علمية أو فكرية أو تكنولوجية أو أدبية ذات شأن في الحضارة الإنسانية[2]، فسوف تُفاجأ بأن الكثير لا يعرفون عنهم إلا النادر القليل، هذا إذا سمعوا بهم أصلاً!!

(١) على سبيل المثال: الخوارزمي، جابر بن حيان، ابن النفيس، الحسن بن الهيثم، عمار الموصلّي..

(٢) على سبيل المثال: تسايلون، باستور، كوبر نيكوس، ماكسويل، فيرمي، كبلر، بوهر...

لقد أصبحنا في وضع لا نرى مشكلة فيما إذا كان الرمز الذي يُسوَّق لأجيالنا، إنساناً ساقطاً في مهاوي الرذيلة وتعاطي المخدرات، أو شاذاً جنسياً، أو لا يعترف بحقوق الأسرة، أو حقوق الوطن...

المهم أنه نجم يُسوَّق ليكون رمزاً لأجيالنا، وذلك لإلهائهم بهذه الرموز الساقطة عن قضايانا المصيرية !!..

حقيقة

إذاً: هناك جهد كبير يُبذَل من قبل أعدائنا لعزل أجيالنا عن ثقافتنا ورسالتنا ورسولنا ﷺ، بل لتوجيه اهتماماتهم إلى شخصيات ورموز تضر ولا تفيد، لتكون رمزاً ملهماً لأجيالنا باتجاه الضَّياع!!...

- **المشهد الخامس: عندما لا يكون الولاء لله ولرسوله ﷺ أولاً..**

وهذا المشهد تجده عند بعض المسلمين الذين يُظهرون التزاماً بالإسلام!!.

وهنا لن أتكلم عن أصحاب المصالح الشخصية الذين ينتسبون للعمل الإسلامي، ويجعلون المصلحة الشخصية أولاً، وفوق مبادئ الدين، ولا عن الذين يبيعون ويشترون على حساب الدين، ولا على الجهلة الذين يحتالون على الناس باسم الدين، ولا عن الذين حوَّلوا العمل الإسلامي إلى إقطاعيات وممالك وقبائل...؟!!

بل سأتكلم عن الجادين في التزامهم بالعمل الإسلامي، وهم على قناعة بأنهم على الصواب، ويبذلون الجهود ويضحّون من أجل قناعاتهم، ويعتقدون أنهم يتقربون إلى الله تعالى بذلك.

ولا شك أن فيهم الصالحين وفيهم غير ذلك، كانوا طرائق قدداً، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله.

نعم، سأتكلم عن الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وأرجو أن يصلحوا، عسى الله أن يتوب عليهم وعلينا، إن الله غفور رحيم.

إن أكثر هؤلاء عزلوا أنفسهم عن توثيق الصلة المباشرة بالنبي ﷺ، محبة واتباعاً ونصرة وتعظيماً، ووجهوا اهتماماتهم وجهودهم وعواطفهم إلى اتجاهات متعددة.

١- **فبعضهم: أعطى الجزء الأكبر من الولاء والمحبة والاتّباع والنصرة والتعظيم لجماعته.**

فالهمُّ الأكبر لديه هو **جماعته**...!!!

يتطرف في تعظيمها وإعطائها الأفضلية على باقي الجماعات، ويضفي عليها من المحاسن ما ليس فيها، وينفي عن غيرها ما تستحقه من المحاسن، ويبالغ بالتعصب لها!! ولا يتوقف عند نقاط ضعفها، ولا يعمل على إصلاحها، بل لا يجرؤ على التفكير بذلك، لقد أغلق عقله، وفقد القدرة على محاكمة الأمور والتحقق من صحتها وموافقتها للشريعة المُطَهَّرة!!...

وبعضهم يعدُّ جماعته هي جماعة المسلمين ويطبق عليها ما ورد عن **النبي** ﷺ **كقوله**: «يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ»[1].

وكقوله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وفَارَقَ الجماعَةَ ثمَّ ماتَ، ماتَ ميتةً جاهليةً...»[2]. وبعضهم يتطرف أكثر، فيعتبر جماعته "الفئة الناجية" من أمة سيدنا محمد ﷺ!!

ولعله يتطرف أكثر وأكثر فيكفِّرُ المسلمين من أهل القبلة ممن يشهدون الشهادتين، ويعملون بأركان الإسلام، ويعتقدون بأركان الإيمان، ذلك تحت ذرائع لا تخرج عن دائرة الجهل بهذا الدين الحنيف.

حقيقة

بل يستبيح بعضهم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم مستنداً إلى فتوى من جماعته، وهو غارق في سكرته، فالولاء عنده للجماعة أولاً!!

لقد أصابه العمى، فلا يرى إلا ما تراه جماعته!!

وأصابه الصّمم، فلا يسمع إلا ما تقوله جماعته!!

ولا يتكلم إلا بلسان جماعته!!

لقد تمَّ عزله تماماً عن صلة وثيقة مباشرة مع نبينا ورسولنا محمد ﷺ.

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢١٦٦) [٣٦٠]،وهو صحيح.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٤٨) [٧٧٢].

لقد ضاع ولاؤنا لرسول الله ﷺ، وضاع العمل للمصلحة العامة والأمة.. واستبدل بذلك العملَ للمصلحة الضيقة، وأصبح الكثير منا يُعلِّم من معه استحالة التعاون مع الآخر!!.

والمبدأ المعمول به عند بعض الجماعات " **نحن وفقط** " !!. نحن كل شيء، وغيرنا ليس على شيء !!.

٢- **وبعضهم أعطى الجزء الأكبر من المحبة والاتِّباع والنصرة والتعظيم لمذهبه.**

فالهمُّ الأكبر لديه هو **مذهبه!!**

حقيقة

وهو يتطرَّف في تعظيمه وإعطائه الأفضلية على باقي المذاهب، بل يذهب بعضهم بعيداً حتى يكاد يجعل من المذهب ديناً مستقلاً قائماً بذاته.. ويتعصب لمذهبه ولو أدى ذلك إلى تفريق كلمة المسلمين!!

فلا يرى ولا يسمع ولا يتكلم إلا بلسان مذهبه، وإذا أتيته بدليل راجح من القرآن أو السُّنة المطهرة تراه لا يتبع إلا رأي مذهبه.

وهو في سكرته وولائه لمذهبه، لعله يستبيح دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، فالولاء عنده للمذهب أولاً! (١)

(١) ولقد سررنا جداً بمواقف متميزة على مستوى القيادات الإسلامية من مذاهب متعددة، ومنها الفتوى التي أصدرها الإمام الخامنئي والتي حرَّم فيها سبَّ الصحابة وأمهات المؤمنين، وكذلك رسالة شيخ الأزهر "أحمد الطيب" التي تجاوبت مع الفتوى، وكذلك عشرات المواقف

لقد تم عزله تماماً عن صلة وثيقة مباشرة مع نبينا ورسولنا محمد ﷺ.

٣- **وبعضهم أعطى الجزء الأكبر من المحبة والاتّباع والنصرة والتعظيم لمعلِّمه وأستاذه.**

فالهمُّ الأكبر لديه هو **معلِّمه أو أستاذه!!**

فهو مشغول به في ليله ونهاره!!. والسؤال البدهي: أين انشغاله برسول الله ﷺ ؟!.

إنه يتطرف في تعظيم أستاذه، ويتطرف بإعطائه الأفضلية المطلَقة على باقي الشيوخ والعلماء والأساتذة، فمعلِّمه إمام الأولياء، وأعلم العلماء، وأحكم الحكماء، وأتقى الأتقياء...، والجميع دونه.

حقيقة

وبعضهم يتطرف فينسب إلى معلِّمه وأستاذه العلم بالغيب، وأن معلمه لا يخطئ ويضعه في مقام يشبه العصمة... و... و... إلخ

ويتطرف بعضهم فيدَّعي أن ديننا دين التوحيد، فالإله واحد، والنبي واحد، والمعلِّم واحد!! فلا يصح النظر لغيره، ولا يصح الاستماع لغيره، وأما المحبة فهي للمعلم من دون المسلمين جميعهم!! (١)

الجريئة من علماء المسلمين من كل المذاهب التي تدعو إلى وحدة المسلمين ووقوفهم صفاً واحداً أمام أعدائهم الحقيقيين من الصهاينة المجرمين ومن والاهم...

ولا ننسى مواقف أحد رواد التقريب "سماحة الشيخ أحمد كفتارو" المفتي العام للجمهورية العربية السورية السابق، وكذلك "الشيخ محمود شلتوت" شيخ الأزهر الأسبق.

(١) والحقيقة أن المحبة يجب أن تكون أولاً لله ورسوله ﷺ وثانياً للمعلم والمربي الصالح وثالثاً لعموم الصالحين.

وهو في سكرته وولائه لمعلِّمه فقط، لعله يستبيح مكانة باقي العلماء والشيوخ، ويقلِّل من شأنهم.

لقد تم اختصار الكون والدِّين في دائرة المعلم والأستاذ!!

أما صلته برسول الله ﷺ؛ فشكلية.

فالولاء عنده للمعلم أولاً... لقد عزل نفسه عن صلة وثيقة مباشرة بنبينا ورسولنا محمد ﷺ.

إن جميع المربِّين العارفين والشيوخ الصالحين والعلماء الورعين...يجعلون الولاء أولاً لله ولرسول الله ﷺ، وجميعهم ينكرون في الوقت ذاته التطرف والتعصب والشطط في التعامل مع المعلمين...بإعطائهم أوصافاً ومقامات لا تليق إلا بمقام الربوبية!! كعلمهم الغيب، وعلمهم ما في الصدور، وعلمهم بأحوال التلاميذ أينما كانوا.. فهم معهم!!

والحقيقة أن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾ [سورة النمل] وهو العليم بما في الصدور، وهو جل جلاله عالم بأحوال الناس أينما كانوا ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾[الحديد:٤].

وكذلك ينكر الشيوخ الصالحون العارفون، التطرفَ والشططَ بإعطاء المعلم أوصافاً لا تليق إلا بمقام النبوة، وجميع الشيوخ الصالحين يجعلون الولاء أولاً لله ثم للنبي الكريم ﷺ.

يقول الإمام الشيخ أحمد الرفاعي –رحمه الله تعالى–:

(﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، إياكم والكذب على الله والخلقِ فإن الدعوى -أي: الادِّعاء- كَذِبٌ على الله تعالى وخلقه...، الدِّينُ عمل بالأوامر واجتناب للنواهي، وخضوع وانكسار في الأمرين، العمل بالأوامر يُقرِّبُ إلى الله تعالى، والاجتناب للنواهي خوف من الله تعالى، طلب القُرْبِ بلا أعمال مُحَالٌ وأي محال...، **اطلبوا الله بمتابعة رسوله**، إياكم وسلوك طريق الله تعالى بالنفس والهوى، فمن سلك الطريق بنفسه ضَلَّ في أول قَدَمٍ.

أَيْ سادة: **عظِّموا**[1] **شأنَ نبيّكم**، هو البرزخُ... بين الخلق والحق، عبد اللهُ، حبيبُ الله، رسولُ الله، أكملُ خلق الله تعالى، أفضل رُسل الله تعالى، الدالُّ على الله، الداعي إلى الله، المخبرُ عن الله، الآخذُ عن الله، بابُ الكلّ إلى الحضرة الرَّحمانية، وسيلة الكلّ إلى الحضرة الصمدانية، ومن اتَّصل به اتَّصل، ومن انفصل عنه انفصل، **قال عليه صلوات الله وتسليماته**: «لا يؤمنُ أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جِئْتُ به»[2])[3].

ويقول الإمام الجنيد –رحمه الله تعالى–:

(١) تعظيم شأن النبيﷺ أن تطيعه فلا تعصيه، وأن لا تقدِّم عليه بالمحبة والولاء أحداً من الناس.

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول" [٤/١٦٤]،وذكره الإمام النووي في الأربعين وقال:حديث حسن صحيح.

(٣) "البرهان المؤيد" للشيخ أحمد الرفاعي (ص:١٧).

(الطرق كلّها مسدودة على الخلق إلا مَن اقتفى أثر الرسول ﷺ، واتَّبع سنته، ولَزِم طريقته، فإن طرق الخيرات كلّها مفتوحة عليه)[1].

ويقول الشيخ عبد القادر الجيلاني –رحمه الله تعالى–:

(كلُّ حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة، طِرْ إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسُّنة، وادخل عليه ويدك بيد رسول الله ﷺ)[2].

نعم، علينا أن نحبَّ الشيوخ الصالحين، أهلَ الأدب والاستقامة والورع، الملتزمين بالشريعة المطهرة، وأن نتأدب معهم، وأن نصحَبهم، وأن ننتفع بهم، ولكن من دون تطرُّف، وعلى أن يكون الولاء لله ولرسوله ﷺ وللرسالة أولاً.

ولا يظن أحدٌ أنني أُنكِر العمل بالمذاهب الفقهية، ولكنني أُنكِر التعصب والتطرف، وأن يتحول المذهب إلى دين مستقلّ، وأدعو لأن يكون (الولاء) لله ولرسوله ﷺ وللرسالة أولاً.

وإن من العجب العجاب أن تسمع من أولئك المتطرفين الذين ذكرناهم، بأنهم ملتزمون بالولاء لله ولرسوله ﷺ أولاً!! .. ولكن كيف ذلك؟

كيف يكون ولاؤك لله ولرسوله ﷺ أولاً؟! وأنت لا تحب ولا تنفتح ولا تتعاون مع أشخاص يعملون في الحقل الإسلامي لأنهم ليسوا من جماعتك، لا بل تكرَه أحياناً أو تعادي... أو تقاتل..!!

(١) "طبقات الصوفية" للسلمي (ص:١٥٩).

(٢) "حقائق عن التصوف" للشيخ عبد القادر عيسى (ص:٤٨٣).

سؤال

أليس هذا ما نراه يحصل في أماكن متعدِّدة في العالم الإسلامي بأساليب مختلفة؟! وبعد كل هذا يدَّعي الجميع أن ولاءهم لله ولرسوله ﷺ أولاً!! أليس هذا عجيباً وغريباً؟!

كيف يكون ولاؤك لله ولرسوله ﷺ أولاً، وأنت تتعصب لمذهبك ولا يتَّسع قلبك وعقلك لاجتهاد آخَرَ مقبولٍ شرعاً، ولو أدى تعصبك هذا لتفريق كلمة المسلمين!.

كيف يكون ولاؤك لله ولرسوله ﷺ أولاً، وأنت تتطرف بالتعصب لمعلمك، وتتطرف بتعظيمه لتجعله فوق البشر، ورسولك محمد ﷺ يقول لك: «**إنما أنا بشر**...»[1]، وتصرُّ على أن تجعل أستاذك فوق البشر، وإذا واجهك أحد تنفي هذا قولاً وتمارسه تطبيقاً وعملاً، بل تُلبس أستاذك أثواباً من الغيبيات والتخيلات، وأستاذك ذاته لا علم له بها، وينفيها، وتدعو لتصديق أستاذك في كل شيء، وكأنه يوحى إليه من السماء أي أنه معصومٌ لا يخطئ!!

وأنت من حيث تشعر أو لا تشعر تدعو لإلغاء العقل والتفكير والتمحيص بحقائق الأمور!!..

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٤٠١) [٩٩].

وفي عملك هذا **تخالف** توجيهات الله تعالى في القرآن الكريم الذي يدعوك إلى إعمال عقلك، وأن تتفكر في الأمور، ويكرر عليك في عشرات المواضع: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة يس]، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1]، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الأنعام].

وتخالف أيضاً نبيك ورسولك ﷺ الذي يدعوك للتفكير وإعمال العقل والاجتهاد واستخلاص الحقائق، وأن تنصح لله وللرسول ولأئمة المسلمين وعامتهم، وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ونبيك محمد ﷺ يحذِّرك **ويقول**: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[2]، فالتفكير، وإعمال العقل، ومحاكمة الأمور، ووضع الأشياء في مواضعها، والابتعاد عن الغلو والمبالغات والتطرف... كل ذلك واجب إسلامي.

فعلى المسلم أن يبحث عن الحقيقة وأن يعمل بها، ولو احتاج الأمر للسؤال فعليه أن يسأل -**ولكن بأدب**-، وإذا احتاج الأمر إلى نقاش وحوار فعليه أن يناقش ويحاور -**ولكن بأدب**-، وليس أدل على ذلك مما فَعَلَته **خولة بنت ثعلبة** عندما جادلت وحاورت رسول الله ﷺ في حقوقها وحقوق المرأة في موضوع الظهار، ونزلت الآيات تنتصر لشكواها، وهي آيات تتلى في الصلاة وفي

(١) [البقرة: ٤٤، ٧٦، آل عمران: ٦٥، الأنعام: ٣٢، الأعراف: ١٦٩، يونس: ١٦، هود: ٥١، يوسف: ١٠٩، الأنبياء: ١٠، ٦٧، المؤمنون: ٨٠، القصص: ٦٠، الصافات: ١٣٨].

(٢)أخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم (٤٣) [٢٢]، وأحمد في "مسنده" برقم (١٧١٤٢) [٣٦٧/٢٨] واللفظ لهما، وهو صحيح.

غيرها إلى يوم القيامة، يقول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [سورة المجادلة].

وبعد كل هذا يدّعي الذين ولاؤهم إلى جماعتهم أو مذهبهم أو معلمهم... نعم، يدّعون أن ولاءهم لله ولرسوله ﷺ أولاً!!

أليس هذا عجيباً غريباً؟!!

ولقد نهانا الله تعالى عن التفرق لأسباب عصبية أو مصلحية فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الروم].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[سورة الأنعام].

إن صراط الله المستقيم وسبيله القويم هو اتِّباع النبيّ ﷺ، والتزام نهجه وطريقته وسنته، يقول تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النور].

حقيقة

من كان ولاؤه لله ولرسوله ﷺ أولاً، يجب أن يكون رسول الله ﷺ أَمامه وإمامه في أموره كلّها، يصحبه ويلازمه كأنه معه، قلبه مرتبط بقلبه وروحه ملتصقة بروحه، وملتزم بصراطه وسبيله ونهجه وطريقته وسنته...

رسول الله ﷺ هو الميزان، ويجب أن يكون رسول الله ﷺ مرجعنا في كل أعمالنا وأحوالنا وسلوكنا وأخلاقنا وكلامنا...

من أجل هذا كلِّه... كان هذا الكتاب...

- **من أجل** أن نبني علاقة وثيقة وعميقة ومباشرة مع النبي ﷺ محبة، واتباعاً، ونصرة، وتعظيماً.
- **من أجل** أن تكون لنا رابطة دائمة لَصيقة مع جنابه الشريف عليه الصلاة والسلام، وكأننا نراه معنا.
- **من أجل** نصرة الحبيب المصطفى ﷺ على أعدائه الحاقدين، الذين يعملون على تشويه صورته والإساءة لسمعته، والعمل بجدّ واجتهاد لإيصال صورته الحقيقية الناصعة والباهرة إلى الباحثين عن الحقيقة من غير المسلمين، المتشوقين للهداية والسمو الروحي والسعادة الدنيوية والأخروية.
- **من أجل** إنقاذ شريحة من شبابنا الذين أغرَقَهم أعداؤنا في بحار التَّفلُّت والضياع، وتوظيف طاقاتهم الحيوية في نصرة قضايا الأمة، بعد إحياء مواهبهم وطاقاتهم الخلاَّقة، من خلال توثيق محبتهم ورباطهم برسول الله ﷺ.

- **من أجل** أن يكون فهمنا ونظرنا إلى رسول الله ﷺ بالمكانة التي تليق به، وليكون ﷺ المثل الأعلى لنا ولأجيالنا ولأمتنا.
- **من أجل** أن تتحقَّق لنا محبة الله تعالى من خلال اتباعنا لسيدنا محمد ﷺ في كل شؤوننا: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ..﴿٣١﴾ ﴾[سورة آل عمران]
- **من أجل** اللجوء إلى رسول الله ﷺ والاحتكام إليه في كل شؤوننا.

﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة النساء].

- **من أجل** أن نحب رسول الله ﷺ أكثر من أنفسنا وأهلينا وأموالنا.

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة التوبة].

حقيقة

وعندما نتشرَّب محبة رسول الله ﷺ ونرتقي ونتعمق في محبته، يشتعل في وجودنا، وتسري في عروقنا نيرانُ الشوق إليه ﷺ.

فإن هذه المحبة العارمة تجمع بين أرواحنا وروحه وكأننا نراه معنا، فلا نزال نقتدي به ونتابعه ونصحبه بأحوالنا وأرواحنا حتى يطبعنا الله بطابعه ﷺ، فيرى الناسُ فينا التزكية والأخلاق والحكمة المحمدية، ويتحقق لنا النجاح والسعادة

في شؤوننا الدنيوية والأخروية، وتتحقق لنا معيته في الجنة **لقوله** ﷺ: «... المرء مع من أحب يوم القيامة»[1].

حقيقة

ولا يمكن أن تتحقق لك المراتب العالية من محبة رسول الله ﷺ حتى تتوجه بقلبك إلى قلبه، وبروحك إلى روحه، وأن تجعل هواك في هواه، وأن تريد مراده، وأن تربط همَّتك بهمته، وأن تعيش معه، فلا يفارقك في كل أعمالك و أحو الك و أخلاقك.

إن "مغناطيس" محبتك العارمة لرسول الله ﷺ سوف يختزل المسافات بينك وبين الحبيب المصطفى ﷺ حتى تكون بقربه وتستأنس بمعيته: «**المرء مع من أحب**»، فتسير على خطاه، ويحبك الناس بحبك إياه، ويجتمع عليك المحبُّون كما يجتمع النحل على رحيق الأزهار، لارتشافك من رحيق حبِّه ﷺ.

والحق أقول:

حقيقة

لا يمكن أن تحبه حتى تتعرف عليه ﷺ، وتصحب وتجالس وتحب الذين يعرفونه، ويُحبونه ويتابعونه بالأقوال والأعمال والأحوال والأخلاق، وعليك أن تبتعد عن الذين يخالفونه فضلاً عن الذين يعادونه ...

من أجل هذا كلِّه كان هذا الكتاب، لتتعرف على رسول الله ﷺ وكأنك تراه معك، تصاحبه...، تستمع إليه...، حتى تشعر بمعيته في أحو الك كلّها، وترتبط به ارتباطاً وثيقاً قلبياً وروحياً وحبياً.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٦٩) [ص١١٩١]، ومسلم في صحيحه" برقم (٢٦٤٠) [١٠٥٩] واللفظ للبخاري.

ثانياً: بماذا يتميز هذا الكتاب؟

تمَّ التركيز في هذا الكتاب على شمائل رسول الله ﷺ وأحاديثه وتوجيهاته الشريفة، مع ومضات من السيرة وفقه مقاصدها الدعوية وحكمتها، وربطها بحياتنا المعاصرة في شؤونها المختلفة، وتمَّت قراءة الأحداث بلغة العصر بعد استدعائها من زمانها وإسقاطها على واقعنا اليومي، لتحقيق أهم أهداف الكتاب، وهو: تعميق وتوثيق المحبة والرابطة بيننا وبين رسول الله ﷺ حتى لكأننا نصحبه ونراه معنا.

ليكون القائد والمرشد والقدوة لأجيال الصحوة الإسلامية المباركة رغم محاولات أعداء الإسلام لعزله ﷺ وإقصائه عن عرش القلوب، ورغم المحاولات وبذل الجهود لتنشئة الأجيال بعيداً عن محبته ورسالته ﷺ.

وإنك لتسعد وتُدهَش عندما ترى الأجيال تسعى إلى رسول الله ﷺ مشتاقة إليه اشتياقَ مَن طال ظَمَؤه إلى الماء العذب الزُّلال.

حقيقة

بل وإنك لتندهش عندما تشاهد سرعة انتشار الإسلام في العالم، وإقبال مَن كانوا في الماضي القريب في صفوف أعدائه، يُهرعون إليه، يلوذون بشريعته ورسالته، رسالة الرحمة والسلام والسعادة الروحية التي لا تَعدلها سعادة، وتزداد دهشتك عندما تراهم يمرغون وجوههم على أعتابه، والدموع تتفجر من مآقيهم تعبيراً عما يجيش في صدورهم من حب وعشق لرسول الله ﷺ.

لقد انهارت السدود التي بناها أعداء الإسلام ليَحُولُوا بين رسول الله ﷺ وبين الناس، وانفتح الكون أمام ثورة المعلومات، فلا حدود ولا سدود، وانقلب السِّحر على الساحر، وجاء الحق وزهق الباطل، وظهر جمال النبوة وفاح عبيرها، وانبهرت القلوب والعقول برسول الله ﷺ وحكمته وشمائله ومنهجه...

ولم يستطع تقادم الزمان أن يُبعِد رسول الله ﷺ عن قلوب محبيه، ولا أن يوهن من عزائمهم، ولا أن يُبْليَ المبادئَ والقيم التي رسخها رسول الله ﷺ في عقول عاشقيه.

وستسير مسيرة العاشقين إليه لتجد الأمن والسلام والحب والطمأنينة في رحابه. وستصدر مئات بل آلاف الكتب التي تتحدث عن رسالته، وعظمته، وحكمته، وكماله...

حقيقة

إنها جاذبية النبوة التي لا تنتهي، أين منها العباقرة والمبدعون!!؟

وهذا الكتاب هو واحد من هذه الكتب التي تسعى لجذب القلوب إلى محبة الله ورسوله ﷺ، وإبهار العقول برسالته وحكمته ومبادئه وقِيَمه، والتبشير بتنامي صحوة إسلامية قائدها وإمامها رسول الله ﷺ.

إن هذا الكتاب ليس كتابَ شمائل على الطريقة التقليدية، فهو لا يبحث الشكل بل يتعمق في المضمون وبخاصة ما يخدم أهداف الرسالة والرسول ﷺ.

وهذا الكتاب ليس كتاب سيرة يقوم بسرد الأحداث حسب تسلسلها التاريخي، **بل يبحث في الشمائل وبعض أحداث السيرة من حيث حكمتُها وأهدافُها، ويركز على ما فيها من فقه الدعوة والتربية والسلوك في الحياة.**

ثم يوظف هذا كله في فهمٍ أعمقَ لأهداف الرسول ﷺ والرسالة في بناء عالم تسوده الرحمة والسلام والعدل.

إنّ هذا الكتاب يحمل بين طياته أفكاراً جريئة تتعلق بالنقد الذاتي، لبعض مفاهيم ومظاهر وسلوكات بعض العاملين في حقل الدعوة الإسلامية ...

كما يتضمن أفكاراً جريئة تتعلق بالمواقف المخادعة للعالم الغربي من خلال استغلالهم لشعار حقوق الإنسان...

وهو كتاب يركز على فقه الدعوة إلى الله، من خلال السيرة والشمائل والسنة النبوية ...

وسيحاول هذا الكتاب أن يدخلنا في مدرسة الحبيب الأعظم ﷺ، ليعلمنا كيف نكون مسلمين حقاً، وكيف ننجح في الحياة، وكيف نسعد أفراداً، بل كيف نقدِّم السعادة للناس مِن حولنا، وكيف نبني مجتمعاتنا على قواعد التفوُّق والتميُّز.

ما سيُقرَأ بين ثنايا هذا الكتاب وأحداثه ودروسه وعبره هو من أهم القواعد التي تؤدي إلى النجاح على كافة المستويات...

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء]

إن هذا الكتاب وعشرات الكتب الأخرى -ولكلٍّ ميزاته- يدعونا إلى الالتزام برسول الله ﷺ ورسالته التي يجب أن نلوذ بها جميعاً، ونعيش في ظلالها الوارفة، ونجني من ثمارها اليانعة لتتحقق لنا السعادة الأبدية.

وسيصدر الكتاب بمشيئة الله تعالى ومعونته، من خلال سلسلة من أجزاء عدة تركِّز على وحدة الموضوع الذي يستقي مادته من ثلاثة ينابيع رئيسة:

١- كتب الحديث الشريف.
٢- كتب السيرة العطرة.
٣- كتب الشمائل النبوية.

فهو يمزج بينها ويبني منها صرحَه...

وستصدر السلسلة تحت عنوان:

موسوعة
فقه الدعوة والحياة
في شمائل وسيرة وحقوق سيدنا محمد رسول الله ﷺ

ومن الأمور المهمة التي أنجزناها في هذا الكتاب: التشدُّد في التوثيق، والعزو إلى المراجع والمصادر المعتبَرة عند العلماء، وتقديم الروايات الأعلى صحةً ما أمكن ذلك، وتخريج جميع الأحاديث، والأخذ بالصحيح والحسن، وهذا من ميزات هذا الكتاب باستثناء حديثين فقط في إسنادهما ضعف،

اقتضت ضرورة البحث ذكرهما، ولا أدَّعي الكمال في هذا العمل، ولكنه جهد المقلّ في عَمَله وعِلْمه، ورحم الله من أسدى لنا نصيحة أو تصويباً.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب جهداً مقبولاً ومثمراً يَدفع بنا وبقارئيه ودارسيه إلى عشق ومحبَّة النبي ﷺ، لنتَّبع هداه، ونأتمر بأمره، وننتهي عما نهى عنه، ونفديه بآبائنا، وأمهاتنا، وأولادنا، وأموالنا، وحياتنا...

اللهم اجعل هذا الكتاب سبيلاً إلى رضاك، واجعل فيه بركة سيدنا محمد ﷺ، وانفع به نفعاً عظيماً، واجعل ذلك خالصاً لوجهك الكريم.

اللهم أَهِّلْ أرواحنا وأعمالنا لمرافقة حبيبك المصطفى ﷺ في الجنة، وأكرمنا بحقيقة حبه، وأُنس قُربه، ومحبة أحبابه.

اللهم شرفنا بنصرته، ومصاحبته، واتباعه في كل أحوالنا وأعمالنا وأقوالنا وأخلاقنا...

وصلى الله تعالى وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

والحمد لله رب العالمين

محمد غسَّـــان الجبَّـــان

الجنيدي الحسيني

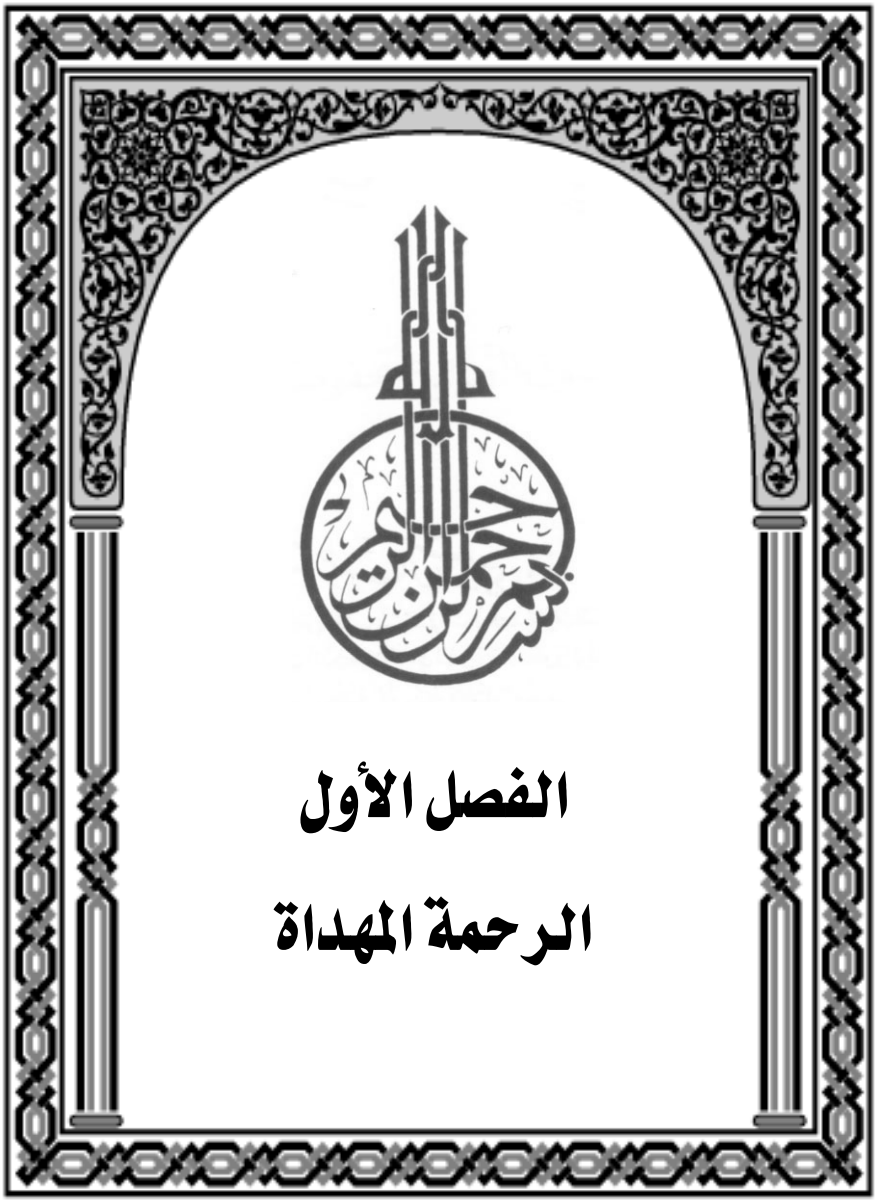

الفصل الأول

الرحمة المهداة

عناوين الفصل الأول

تمهيد:

أولاً: جاء رسول الله ﷺ برسالة الرحمة ..

ثانياً: رسولٌ من أنفسكم ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الرَّحمة المهداة:

تمهيد:

الرحمة: تدور حول معاني الرأفة والشفقة والرفق والعطف والحنان، يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء]، فمحمد ﷺ هو -بشهادة الله تعالى- أرحم الناس، ويعبِّر ﷺ عن نفسه **فيقول**: «يا أيها الناسُ إنما أنا رحمة مهداة»[1]، ويقول: «أنا محمد وأحمدُ والمقفِّي والحاشرُ ونبيُّ التوبةِ ونبيُّ الرَّحمةِ»[2].

وعن عثمان بن حنيف رضي الله عنه: (أن رجلاً ضريرَ البصرِ أَتى النبيَّ ﷺ، فقال: ادعُ اللهَ أَن يُعَافِيَنِي، **فقال**: «إِن شِئْتَ دعوتُ، وإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ، فهو خَيرٌ لك»، قال: فادعُه، قال: فأَمرهُ أن يتوضأَ فَيُحْسِنَ الوُضوءَ، ويدُعوَ بهذا

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" برقم (١٠٠) [٨٣/١]، وهو صحيح.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٣٥٥) [٩٥٨].

الدعاء: «اللَّهمَّ إِني أسألُك وأتَوَجه إِليك بِنَبِيِّكَ محمدٍ نبي الرَّحمة، إِني توجَّهتُ بك إِلى ربِّي في حاجتي هذه لتُقْضى لي، اللَّهم فَشَفِّعْهُ فيَّ»)[1].

فهو رحمة وهداية خُلِقَتْ وهُيِّئَتْ لتصنع الرَّحمة في هذا العالم، وهو رحمة للعالمين، أي: لكل الخلائق، ولكل الناس على اختلاف أديانهم ومشاربهم وألوانهم.

هو رحمة للإنسان، سواءٌ أكان هذا الإنسان مسلماً أم منافقاً أم كافراً، بل هو رحمة حتى لأعدائه المؤذين!!.

* * * * *

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٧٨) [٥٦٢]، وهو صحيح.

أولاً: جاء رسول الله ﷺ برسالة الرَّحمة:

١- هي رسالة الرَّحمة؛ لأنها تدعو إلى احترام العقل والعمل بالحكمة، وتصنعُ الإنسان الحكيم الذي يمتلك العقل الناجح، ومَن هُدِيَ إلى العقل والحكمة فقد دخل في دائرة الرَّحمة.

٢- هي رسالة الرَّحمة؛ لأنها تهدي إلى العلم والمعرفة، هي رسالة اقرأ لتصنع أمة اقرأ، ومَن هُدِي إلى العلم والمعرفة دخل في دائرة من دوائر الرَّحمة.

٣- وهي رسالة الرَّحمة؛ لأنها تهدي إلى مكارم الأخلاق وطهارة النفس، وتخليصِها من أنجاسها وأرجاسها (أعمالها القبيحة)، والإنسان الذي يتخلَّص من أرجاسه ويتحلى بفضائل الأخلاق والمكرُمات، يدخل في دائرة الرَّحمة.

من يكون أرحم؟! آلإنسانُ المطهّر من العيوب: فلا حسد، ولا بغض، ولا حقد، ولا اعتداء، ولا ظلم، ولا قهر. أم الإنسان الذي يحمل هذه الأمراض؟! أيهما في دائرة الرَّحمة؟!

٤- وهي رسالة الرَّحمة؛ لأنها لم تقم على قواعد جامدة، بل أطلقت طاقات الإنسان، أطلقت قُدراتِه على الإبداع والنجاح والمبادرة، ولبَّت

حاجاته المتجددة، هي رسالة مَرِنة، جعل الله تعالى فيها الأصول الثابتة، وترك في الفروع مجالات واسعة في الاجتهاد بما يناسب تطورَ الحياة وما يستجد فيها، فهي مرنة متجاوبة مع حاجات الإنسان في كل زمان ومكان، ورسالة تتجاوب مع حاجات الإنسان،هي رسالة تُدخِل الناس في دائرة الرَّحمة.

٥- هي رسالة الرَّحمة؛ لأنها لا تكلف الإنسان إلا وُسْعَهُ. وطاقته، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... ﴿٢٨٦﴾﴾[سورة البقرة] ويقول أيضاً: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ... ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة البقرة]. ورسالة لا تُحمِّل الإنسان فوق طاقته، هي رسالة تدخل الناس في دائرة الرَّحمة.

٦- هي رسالة الرَّحمة؛ لأنها تسوّي بين جميع الناس من الناحية الإنسانية والبشرية، بين أسودهم وأبيضهم، بين غنيهم وفقيرهم، بين سيِّدهم ومسودهم، الكل سواسية كأسنان المشط، والتفاضل بالتقوى، أي: بالعمل الصالح، أي: بما تقدمه من خير لنفسك ولمن حولك من الناس، وبما يقربك من الله زلفى، ورسالة تجعل الناس كلَّ الناس سواسية، فلا أحدَ فوق القانون، ولا أحد فوق المحاسبة، ولا أحد يخرج عن نظام الحق، الكل أمام القضاء سواسية، من أمير المؤمنين إلى أصغر فقير، حتى وإن كان من غير المسلمين، إن رسالة يتساوى فيها الناس كأسنان المشط هي رسالة تُدخِل الناس في دائرة الرَّحمة.

٧- هي رسالة الرَّحمة التي أتى بها نبي الرَّحمة ﷺ؛ لأنها تدعو إلى عالم تسوده العدالة، والحرية،والسلام، والكرامة، هو عالم الرَّحمة الذي صنعه نبي الرَّحمة ﷺ برسالة الرَّحمة.

٨- هي رسالة الرَّحمة؛ لأنها تدعو إلى منهج معتدل....لا تطغى المادة فيه على الروح....ولا تطغى الروحُ فيه على المادة، بل تجعل هذا الإنسان يعيش حياةً متّزنة، لا هو إنسان مادي يعيش مثل حياة البهائم، منسلخ عن كل قيمة روحية وأخلاقية.... ولا هو إنسان مترهِّب منعزل، لا يأخذ من الدنيا ما يحتاجه جسده في هذه الحياة.

هي رسالة لا تعذِّب الجسد لتسمو بالروح.....ولا تُهمِل الروح ليستمتع الجسد بلا حدود، فينطلق الإنسان ليرتع في شهواته ونزواته الطاغية المنحرفة ليؤذي نفسه ويؤذي المجتمع، بل إنها تُوجِدُ ضوابط وتوازُناً واعتدالاً.

٩- هي رسالة الرَّحمة؛ لأنها لا تقيِّد حاجات الإنسان الفطرية، فالإنسان يحتاج إلى زوج، لذلك أباحت له الزواج، ويسَّرت له سبله، ولبَّت حاجاته الفطرية السليمة كلَّها، وبالمقابل لا تطلق سُعار الشهوات المتفجرة لينسى الإنسان ما هو واجب عليه من التوازن والاعتدال، فلا ينطلق في عالم الشهوات ليضرّ بالمجتمع... ورسالة تصنع هذا التوازن والاعتدال، تُدخل الناس في دائرة الرَّحمة.

١٠- هي رسالة الرحمة؛ لأنها تحث على النظافة، وحماية البيئة من التلوث، وحماية مصادر الحياة، وتحث على زراعة الأشجار، وتنهى عن تلويث

مصادر المياه والأنهار، وتأمر بإزالة الأذى عن طريق الناس... ورسالة تحمي البيئة المحيطة بالإنسان من الضرر، تُدخل الناس في دائرة الرحمة.

١١- هي رسالة الرحمة؛ لأنها تدرأ المفاسد وتجلب المصالح للناس عامة،وتيسر ولا تعسر، وتبشر ولا تنفر، وتنتصر للحقيقة مهما كان مصدرها.

١٢- هي رسالة الرحمة؛ لأنها ترحم الأطفال والنساء... [١]

ترحم الأطفال؛ لأنهم لا يمكنهم أن يعتمدوا على أنفسهم...فهم بحاجة إلى المساعدة والرعاية حتى يبلغوا الرشد، ويتمكنوا من القيام بأعباء الحياة بأنفسهم.

وترحم النساء وتحرُرهن من الظلم الذي لحق بهن في المجتمعات الجاهلية، وترفعُهن إلى المكانة الإنسانية التي تليق بهن كصانعات للإنسان...

ورسالة تحرر النساء وترحم الأطفال وتدفع عنهم الظلم والأذى، تُدخل الناس في دائرة الرحمة....

١٣- هي رسالة الرحمة؛ لأنها تدعو إلى عدم الإكراه في الدين، وتعطي لغير المسلمين حرية التدين والاعتقاد وتحميهم... [٢]

(١) انظر بحث رحمة النبي ﷺ بالأطفال ص/٦١ ورحمة النبي ﷺبالنساء ص/٩٧ من هذا الكتاب.

(٢) انظر بحث رحمة النبي ﷺ بغير المسلمين ص / ٢٢٥ من هذا الكتاب.

تدعو إلى عدم الإكراه في الدين، لأن التدين والاعتقاد يجب أن يقوم على القناعة الكاملة، ودين يُكره الناس على اعتناقه دين فاشل زائل، لأنه بمجرد تحرر الناس من ربقته سيتخلون عنه ويزدرونه...

أما الرسالة التي يزداد زحفها في قلوب الناس فيتمسكون بها كتمسكهم بأرواحهم وأشد، وينتشر زحفها إلى عقولهم وهم أحرار لا قيد عليهم إلا قناعاتهم: هي رسالة في منتهى الرحمة...

لأنها تقدم الحقيقة للناس وتعطيهم حرية الاعتقاد، ولا تكرههم على ترك أديانهم، وتحميهم فيحبونها ويعشقونها...

١٤- هي رسالة الرحمة؛ لأنها ترحم الحيوان [١]، وتترفق به، لأنه كائن ذو حياة وروح، والإسلام يراعي إحساس كلِ كائنٍ حي، فيحرِّمُ إيذاءَه ويحثُّ على الإحسان إليه....

ورسالة ترحم الحيوان وتترفق به وتشعر بأحاسيسه وتدفع عنه الأذى، هي رسالة تدخل الناس والأحياء في دائرة الرحمة....

١٥- هي رسالة الرحمة تنتصر للمظلومين والمستضعفين في الأرض[٢]، ولو كانوا غير مسلمين، إنها تنتصر للإنسان لمجرد أنه إنسان، لأن الله تعالى كرمه من بين الخلائق وجعله خليفة في الأرض ليعمُرَها بالخيرات...

(١) انظر بحث رحمة النبي ﷺ بالحيوان ص / ٣١٣ من هذا الكتاب.

(٢) انظر بحث ومن رحمته ﷺ أنه بنى أمة الرحمة ص/ ٣٢٩ من هذا الكتاب.

ورسالة من نهجها " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً " هي رسالة تُدخل الناس في دائرة الرحمة.

١٦- هي رسالة الرحمة؛ لأنها تَكْفُلُ الفقراء والمساكين والمحتاجين[١]...مسلمين وغيرَ مسلمين، إنها الرسالة التي يتقرب العبد إلى ربه في منهجها،إذا قام برعاية الفقراء والمساكين والمحتاجين....

ورسالة من نهجها «ليس المؤمن الذي يأكلُ وجاره جائعٌ»[٢]... هي رسالة تُدخل الناس في دائرة الرحمة...

١٧- هي رسالة الرحمة؛ لأنها تنمي التفكير والإبداع الإيجابي عند الإنسان ليترقى، ولتنمو الحياة البشرية وتزدهر...

إن رسالة جاءت إلى قوم لم تعرف الحضارة إليهم سبيلاً على مدى التاريخ، فنهضوا بهذه الرسالة وبنوا أعظم الحضارات التي عرفها التاريخ[٣] لا شك أنها رسالة الرحمة للبشرية...

ولو تابعنا لَوجب علينا استعراض الإسلام شاملاً كاملاً لنستوفي كافة التفاصيل..

حقيقة

إنها رسالة الرَّحمة، من رب الرَّحمة، إلى رسول الرَّحمة، ليصنع أمة الرَّحمة.

(١) انظر البحث السابق وبحث رحمته ﷺ بالضعفاء والمساكين ص/٧٩.

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير، برقم [٦١٧] (١٩٥/٥) ، وهو صحيح.

(٣) انظر شمس العرب تسطع على الغرب للباحثة الألمانية زيغريد هونكة، وانظر حضارة العرب لغوستاف لوبون، وانظر حوار الحضارات لروجيه غارودي.

حقيقة

لقد التقت وانسجمت طبيعة الرسول الرحيم ﷺ - الذي صنعه الله على عينه- مع طبيعة رسالة الرَّحمة التي وضعها الله ﷻ وأرادها لعباده ليرحمهم، فأنجبت أمة الرَّحمة.

أينما اتَّجهتَ، ومهما قرأتَ، وتوغَّلتَ في دراسة سيرة هذا النبي الرحيم، فستجدُ الرَّحمة تفيض من كل أعماله وأقواله وتصرفاته.

أينما توجهت، ومهما قرأت، وتوغلت في هذه الرسالة فستجدُ أنها تفيض بالرَّحمة من كل جوانبها لخدمة أمة الرَّحمة، بل عالم الرَّحمة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء].

هل أُرسِل رسول الله ﷺ رحمة للمسلمين فقط؟ لا، بل أُرسِل رحمة للعالمين؛ لأن الله تعالى رب العالمين، لذلك يجب أن يكون رسول الله ﷺ رحمة للعالمين.

هو رحمة للعالمين عامة، ورحمة للمؤمنين خاصة، يقول تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [سورة التوبة]، هذا تخصيص، أما أنه رحمة للعالمين فهو رحمة لعموم الخلائق: للإنسان والحيوان وباقي المخلوقات.

ثانياً: رسولٌ من أنفسكم:

جمهور المفسرين يقولون بأن هذا الخطاب: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ... ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة] هو خاصٌّ بالعرب، أي: أتاكم رسول من جنسكم العربي فاتَّبعوه.

وقال بعض المفسرين بأن المقصود من ﴿أَنفُسِكُمْ﴾، أي: من نفس جنس البشر، ولو كان خاصاً بالعرب لما ختمت الآية: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾، فالمؤمنون ليسوا عرباً فقط، بل فيهم عرب وعجم وتُرْك ومن كل الأصناف، لذلك ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ المقصود: أن رسول الله أُرسِل لكل البشر، فهو من جنس البشر وليس من جنس الملائكة؛ لأنه لو كان من جنس الملائكة لتعذَّر على الناس التواصل مع رسولهم، ولكي تقام الحجَّة الكاملة على الناس، فهو بشر، هو أَمامَك وإِمَامُك.. في كل أعمالك، وفي كل تصرفاتك، أينما اتَّجهتَ تجد رسول الله ﷺ أَمامَك يعلِّمك، من أعظم الأشياء إلى أبسطها.

انظر إلى هذا التعبير القرآني: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ... ﴿١٢٨﴾﴾[سورة التوبة]، كم هو تعبير شديد الشفافية، كم هو معبر عن عمق الوشائج والرباط بينك وبين رسول الله ﷺ، صلة لا تنقطع، كما لا تنقطع الصلة بينك وبين نفسك، تدخل إلى البيت أو تخرج منه ورسول الله ﷺ معك، يعلمك ويرشدك، في بيعك، في شرائك، في زواجك، مع أولادك،

رسول الله معك في حربك في سلمك، رسول الله معك في كل شؤونك، رسول الله معك في تعاليمه وروحانيته...

لماذا؟ لأنه ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[سورة التوبة]، لأنه عزيز عليه مشقَّتكم، لأنه منكم، لأنه من أنفسكم، يخاف عليكم سوء العاقبة، يخاف عليكم أن تقعوا في المشقَّة أو في العذاب، مشقَّة الدنيا أو عذاب الآخرة.

لذلك **كان** ﷺ **يقول**: «إنَّ الدِّين يُسرٌ، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غَلَبَه...»[1]، فشريعته سمحة، سهلة، كاملة، يسيرة على من يسَّرها الله له، ثم هو لا يشدِّد عليك. **يقول** ﷺ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ من أمْر أُمَّتي شَيْئاً فَشَقَّ عليهم، فَاشْقُقْ عليه، ومَنْ وَلِيَ منْ أَمْرِ أُمَّتي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِم فَارفُق بهِ»[2]، وسُئل رسول الله ﷺ : أيُّ الأديانِ أحبُّ إلى الله؟ قال: «الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحة» [3].

وهو حريص عليكم وعلى هدايتكم وعلى سعادتكم في الدنيا وفي الدار الآخرة، لا يسوقكم إلى المهالك، ولم يأتكم برسالة تحمِّلكم ما لا تطيقون.

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[سورة التوبة]، والرأفة: هي المبالغة في الشفقة والرحمة، فكان رسول الله ﷺ شفيقاً بأمته رفيقاً بها. والرَّحمة: هي

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٣٩) [٣١].
(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (١٨٢٨) [٧٦٣].
(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" يرقم (٢١٠٧) [١٦/٤]، وهو صحيح لغيره.

السعي لإيصال كل منفعة للإنسان، وكان رسول الله ﷺ يسعى لإيصال النفع إلى المؤمنين، بل إلى بني البشر أجمعين.

لم يجمَع الله ﷻ هذين الوصفين ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ لأحد من البشر إلا لسيدنا محمد رسول الله ﷺ، وهذان الوصفان من أسمائه تعالى فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [سورة البقرة]، ومحمد رسول الله ﷺ ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، أفلا يجب أن نحب هذا النبي الذي هو من أنفسنا وشديدٌ عليه عَنَتُنَا ومشقتنا، وبالمؤمنين رؤوف رحيم؟!!

هو "رؤوف رحيم" بنا لكي لا يصيبنا العَنَت في الدنيا والآخرة...

لذلك **كان النبي ﷺ يقول**: «مامِن مُؤمنٍ إلا وأنا أولَى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إنْ شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ... ﴿٦﴾﴾ [سورة الأحزاب]، فأيُّما مُؤمنٍ تَركَ مالاً فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُه مَن كانوا، فإن ترك دَيناً أو ضَياعاً، فَليأتِني وَأنا مولاه»[1].

وهو "رؤوف رحيم" حتى لا يصيبنا العذاب في الآخرة، انظر إلى **قوله** ﷺ : «إنما مَثَلي ومَثَل النَّاسِ كمثل رجلٍ استوقَدَ نارًا، فلمَّا أضَاءتْ ما حَوْلَهُ جعَلَ الفَراشُ وهذه الدوابُّ الَّتي تقع في النَّار يَقَعْنَ فيها، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٤٧٨١) [ص/٩٣٣]، ومسلم في "صحيحه" برقم (١٦١٩) [٦٦٠]، واللفظ للبخاري.

ويَغْلِبْنَهُ، فيقتَحمْنَ فيها، فأنا آخُذُ بِحُجَزِكُم[1] عن النَّار، وهم يقتحمون فيها»[2].

النبي ﷺ يُشبِّه الناس الذين يتهافتون على الذنوب والمعاصي بالفَراش والجنادب التي تتهافت على النار، فالنبي ﷺ يهدينا إلى الجنة ويعمل على إبعادنا عن النار، والناس بمعاصيهم يريدون أن يدخلوها، لذلك **يقول رسول الله** ﷺ: «كلُّ أُمَّتي يدخلون الجنة إلا مَن أبى»، فقالوا: يا رسولَ الله، ومَن يأبى؟ **قال**: «مَن أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[3].

إن هذا الرسول الكريم ﷺ الذي جعله الله تعالى سبباً لإنقاذ البشرية من عذاباتها، خصه الله تعالى بمقام فريد لم يحظ به أحد من البشر وذلك في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأحزاب].

فصلاة الله تعالى على نبيه: رحمة له ورضوان عليه ﷺ

وصلاة الملائكة عليه: دعاء لرفع شأنه ﷺ.

وصلاة المؤمنين عليه: دعاء له بالدرجات الرفيعة، والتوقير والتعظيم لأمره ﷺ.

---

(١) الحُجَز: جمع حُجْزَة، وهي معقد الإزار والسراويل

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٦٤٨٣) [١٢٤٣]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٢٨٤) [٩٣٨]، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"، برقم (٧٢٨٠) [١٣٨٨].

وقد بدأت الآية بالجملة الإسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ **لإفادة الدوام**، وانتهت الآية بالجملة الفعلية ﴿يُصَلُّونَ﴾ للإشارة إلى أن هذا الإكرام والتمجيد يتجدد مع مرور الزمان **على الدوام**(١).

فصلاة الله تعالى وملائكته على النبي ﷺ لا تنقطع، وصلاة المؤمنين على النبي ﷺ سنة مؤكدة، لا ينبغي للمؤمن تركها؛ **لقوله** ﷺ: «رَغِمَ أنفُ رَجُل ذُكِرْتُ عنده فلم يُصلّ عليَّ»(٢)، **ولقوله** ﷺ: «.....مَنْ صلَّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً....»(٣).

ولقد أعطاه الله تعالى شهادة بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [سورة القلم]، وهي شهادة تفرد بها بين الأنبياء والمرسلين والخلائق أجمعين.

وأعطاه شهادة أخرى خصه بها وحده، وهي أنه رحمة للعالمين: فهو بأمر الله وبإرادة الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [سورة الأنبياء].

فتأمل عظمة هذا المقام، ورفعة هذه المكانة التي خصه الله تعالى بها، والتي لا يستطيع عقل الإنسان أن يحيط بها وبأسرارها وبعظمتها.

* * * * *

(١) انظر التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي [٩٦/٢٢].

(٢) جزء من حديث أخرجه الترمذي برقم (٣٥٤٥) [٥٥٧].

(٣) أخرجه مسلم برقم (٣٨٤) [١٦٥]، والترمذي في سننه برقم (٤٨٥) [٣٥٤]، واللفظ لهما .

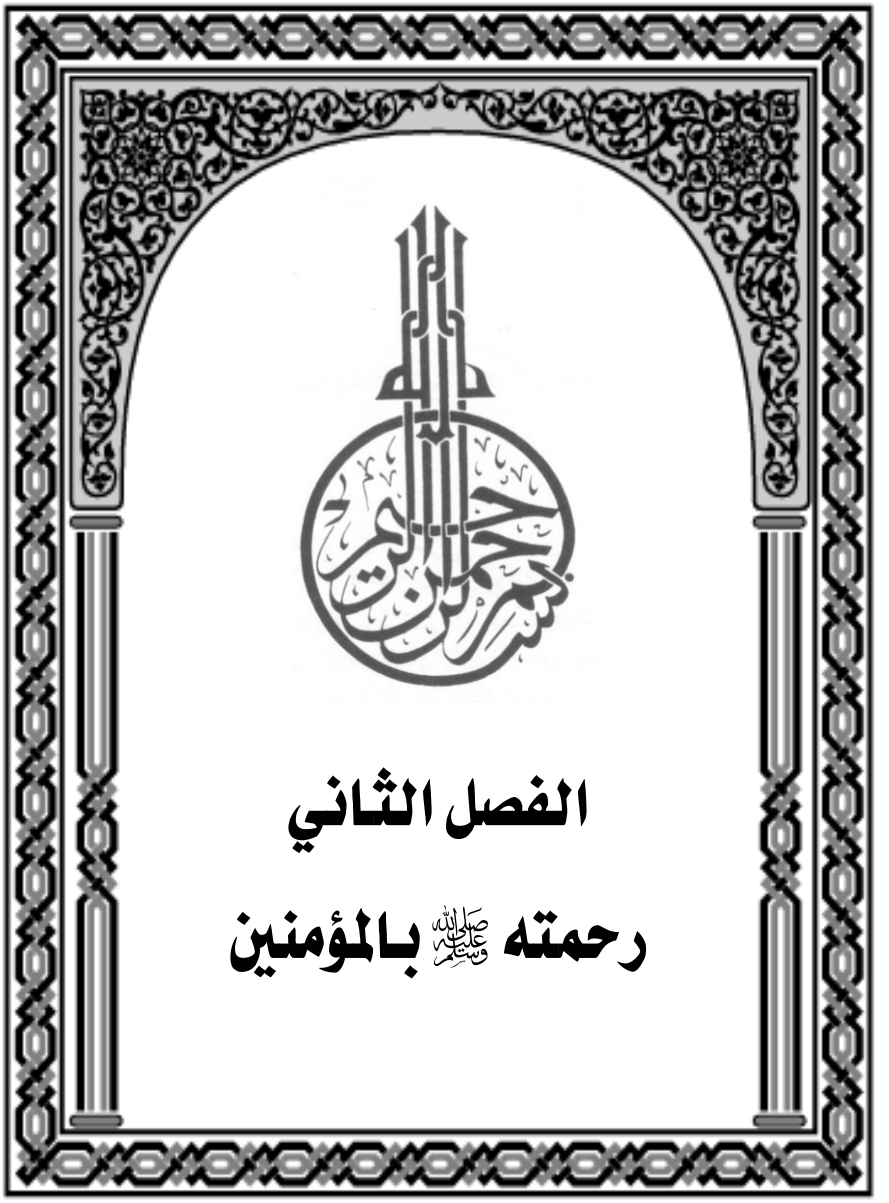

الفصل الثاني

رحمته ﷺ بالمؤمنين

عناوين الفصل الثاني

أولاً : رحمته ﷺ بالأطفال..

ثانياً: رحمته ﷺ بالضعفاء ..

ثالثاً: رحمته ﷺ وتكريمه للنساء..

رابعاً: رحمته ﷺ بأصحابه..

أولاً: رحمته ﷺ بالأطفال

جوانب رحمته ﷺ بالأطفال

تمهيد:

١. من رحمته ﷺ أنه كان يدخل السرور على قلوب الأطفال..
٢. من رحمته ﷺ أنه كان يُقبِّل أولاده وأحفاده..
٣. من رحمته ﷺ أنه كان يضمُّهم إلى صدره الشريف ..
٤. من رحمته ﷺ أنه كان يبكي لموت الأطفال..
٥. من رحمته ﷺ عنايته بالأيتام بشكل خاص..

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

كان العرب في الجاهلية يقتلون البنات من الأطفال خشية العار، ويقومون بوأدهن -أي: دفنهن- تحت التراب وهن أحياء، فحرَّم ذلك رسول الله ﷺ بشدة، ونزلت الآيات في القرآن الكريم تنذر من كان يفعل ذلك في الجاهلية؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [سورة التكوير] ترهيباً لهم من هول العذاب يوم القيامة.

وكان بعض العرب في الجاهلية يقتلون أيضاً أطفالهم خشية الفقر والفاقة، فحرَّم ذلك رسول الله ﷺ بشدة، ونزلت الآيات في القرآن الكريم تشنع على من كان يفعل ذلك في الجاهلية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [سورة الإسراء]، وذكر الله تعالى

في سورة الأنعام عشرة أمور من المحرمات، بدءاً بالشرك بالله، ثم عقوق الوالدين، ثم قتل الأولاد خشية الفقر، فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴿١٥١﴾﴾ [سورة الأنعام].

كما عالج القرآن الكريم هذا الموضوع في مواضع أخرى لِلَفْتِ الانتباه إلى هذه الجريمة النكراء التي كانت تُنفَّذ في الجاهلية، وهكذا كان مجيء رسول الله ﷺ رحمة للناس عامة، وللأطفال خاصة؛ حيث دفع عنهم الظلم العنيف، وأسس لثقافة وسلوك مع الأطفال يفيضان بالرحمة والعطف والحنان.

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه خادمُ النبي ﷺ: (ما رأيتُ أحداً كان أرحمَ بالعيالِ من رسول الله ﷺ.....)[1].

إن رحمته ﷺ بالأطفال درسٌ لنا -نحن الآباء والأمهات والإخوة والأخوات-، يعلِّمنا كيف يجب أن نتعامل مع الأطفال، فنحن في طبيعة تعاملنا مع الأطفال نقسو عليهم أحياناً، ونربيهم على الضعف، نربيهم بالاستعلاء، نريد من الطفل أن يتصرف مثل الكبار، نريده هادئاً لا يتحرك..، لا يتكلم كثيراً..، لا يلعب..، لا يتصرف أبداً من دون إذن الكبار.

احذروا

إننا نقهر طفولته، ونكبت مواهبه، ونعقّد نفسيته، فينشأ ضعيفاً، ويكبر ضعيفاً، ويعيش بعيداً عن الإبداع والتميز وقوة الشخصية.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣١٦) [٩٤٨].

والنبي ﷺ منذ أكثر من (١٤٠٠) سنة يقول لنا بأعماله وتوجيهاته: إن هذه الأساليب التربوية خاطئة.

وعلماء الصحة النفسية وعلماء النفس والتربويون يقولون لنا: إن هذه الأساليب التربوية خاطئة...

إن حسن التعامل مع الأطفال بالرحمة والعطف والحنان له تأثير بالغ في شخصية الطفل، وتوازُنِهِ النفسيِّ، وعلاقاتِهِ الإيجابية مع أهله ومجتمعه، ونجاحه في حياته.

فائدة

إن مستقبل الإنسان وصفاته التي ستظهر عندما يكبر إنما تأتي من أهم مراحل حياته؛ وهي مرحلة الطفولة، لذلك تُعَدّ مرحلة الطفولة من أخطر مراحل الحياة على الإطلاق

ويأسَفا إن كثيراً من الآباء والأمهات في مجتمعاتنا لا ينتبهون إلى هذه المرحلة، ولا يحملون الثقافة المطلوبة للتعامل مع الأطفال، فلذلك نجد نتائج هذه الجهالات من الآباء والأمهات تنعكس على تربية الأبناء، فإذا وجدت طفلاً ضعيف الشخصية، لا يملك الثقة بنفسه، ضعيف الإرادة، لا يملك روح الشجاعة، ولا القدرة على المبادرة، ولا يملك الثقة بالنجاح... فإن هذا كله نتيجة لما زُرع فيه بطريقة خاطئة في مرحلة الطفولة، من خلال معاملة مَن حوله من الآباء والأمهات والأهل والمجتمع.

إن ما يبدو لك أنه أمر بسيط ولا تُلقي إليه بالاً؛ يمكن أن يكون له تأثير عميق جداً في حياة طفلك.

لذلك كان رسول الله ﷺ يرحم الأطفال، ويعاملهم بالعطف والحنان، ويقول معلماً ومحذراً لنا جميعاً: «**من لا يَرحمْ لا يُرحَم**»[1].

فائدة

إن الأطفال بحاجة إلى عطف وحنان آبائهم وأمهاتهم، ويجب أن يُشعِرهم الأهل بهذا الحنان الدافئ المتدفق، ولا يَدَعوهم فينشغلوا عنهم، مما يُشعر الأطفال بالوحدة والعزلة

وعلينا أن نوقد شعلة الحنان بلا انقطاع، وبشكل متّزن بلا إفراط ولا تفريط، وأن نضع الأشياء في مواضعها، فإذا استطعنا ذلك فسوف نحصل على جيل من هؤلاء الأبناء متّزن الشخصية، متّزن العواطف في النظر إلى الناس والتعامل معهم، أي: نحصل على جيل متميز بحق.

لقد كان رسول الله ﷺ يتعامل مع الأطفال بالرحمة والعطف والحنان، فلم يكن في بيته جباراً ولا متكبراً، ولا منشغلاً عن واجبات بيته وأهله، وكان حكيماً يضع الأشياء في مواضعها، وكان يتحمل مسؤوليات تبليغ الرسالة

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٧) [١١٦٢]، ومسلم برقم (٢٣١٨) [٩٤٨]، واللفظ للبخاري.

ومسؤوليات بناء الأمة، ومع كل ذلك عندما يدخل إلى بيته يعطي لبيته وأهله حقهم، يعطي الزوجة حقها، ويعطي الطفل حقه.

جوانب رحمته ﷺ بالأطفال:

رحمته بالأطفال (١) من رحمته ﷺ أنه كان يدخل السُّرور على قلوب الأطفال:

الطفل لا يتغذى بالطعام فقط، أين عمليَّة شحنه بالعواطف الجياشة بالمحبة والعطف والحنان؟! أين تغذيته بهذا الغذاء؟! معظمنا قد نسيه، بل إن بعض الأمهات تغذي أولادها بالكراهية، إنها تدعو على طفلها، والنبي ﷺ نهى الوالدين عن الدعاء على الأولاد، **يقول النبي** ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»[(١)].

لاشك أن هذا الطفل الذي يسمع أمَّه ويراها تدعو عليه فإنه سيكرهها، هي تعلِّمه كيف يكرهها، وهي تعتقد أنه لا يفهم، بل هو يفهم، ويختزن المعلومات في عقله الباطن، فالطفل في عمر أقل من خمس سنوات يختزن المعلومات ويعي أشياء كثيرة، وبعض الآباء والأمهات يتصرفون بشكل خاطئ أمام أطفالهم وهم يعتقدون أنهم لا يفهمون، لذلك تصرفوا دائماً بشكل لائق أمام أولادكم، فلا تغضب أيها الزوج على زوجتك أمام أولادك، ولا تتكلم

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٩٠٥) [٣٢٢] واللفظ له، وأبو داود برقم (١٥٣٦) [١٨٢]،وهو حسن.

بكلام غير مناسب أمام أولادك، فإن هذا يسبب صَدْعاً نفسياً في نفوس الأطفال، وأنتِ -أيتها الأم- يجب ألاَّ يرى منك أطفالُك إلا كل الحب والاحترام لزوجك، وأن لا تتصرفي أيَّ تصرف يجرح مشاعر الأولاد، لقد كان النبي ﷺ يضم أحفاده إلى صدره، وهذه جرعة حنان، إنَّ أولادَكَ وأحفادك وأولادَ أقاربك بحاجة لجرعة الحنان هذه، لاعِبْهم ومازِحْهم بما ينمي عقولهم، أما إذا قلتَ للطفل: لا تتكلم، لا تضحك، لا تتحرك...، سيصبح متخلِّفاً، والآن في علم الصحة النفسية يُقال: يجب أن تعطي للطفل هامشاً كبيراً من الحركة، فتشجعه، وتعلِّمه الكلام ومخاطبة الناس لكي ينطلق، وأن يجلس مع الكبار، فليس عيباً أن تدعه يجلس مع الكبار، ولا تحذِّره من الاقتراب من الطعام أمام الناس حتى لا يصبح لديه عقدة نفسية؛ لأن الطفل يريد أن يأكل ويشتهي الطعام، ولا يستطيع الاقتراب، ويخاف؛ لأن الأهل قد حذَّروه ونبَّهوه.

انظر إلى رسول الله ﷺ ماذا كان يفعل إذا أُتي بباكورة الثَّمر؟!.. فقد كان أصحابه - رضي الله عنهم- من شدة محبتهم له يحضرون له باكورة ثمارهم، وهو في مجلسه مع أصحابه، فيأخذ الثمرة ويضعها على عينيه، ثم يضعها على شفتيه شكراً لله وتذللاً بين يديه، ويدعو: «**اللهم بارك لنا في ثمرنا**..»، ولم يكن يأكلها أو يعطيها لأبي بكر رضي الله عنه أو عمر رضي الله عنه، بل ينظر مَن أصغر الصبيان في المجلس، ثم يعطيه إياها.

فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ كان يؤتى بأول الثمر **فيقول**: «اللهم باركْ لنا في ثَمَرِنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدِّنا، اللهم إن إبراهيم عبدُكَ وخليلُك ونبيُّك، وإني عبدُك ونبيُّكَ، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعو للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومِثْلِهِ معه»، ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر(١).

وكان رسول الله ﷺ **يلاعب الأطفال ويمازحهم**...

عن يعلى بن مرّة قال: (خرجنا مع النبي ﷺ ودُعينا إلى طعام فإذا حسين يلعب في الطريق فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه فجعل الغلام يفرُّ هاهنا وههنا ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه ثم اعتنقه **ثم قال النبي ﷺ**: «حسين منّي وأنا من حسين أَحبَّ الله من أحبَّ حسيناً الحسينُ سبط من الأسباط»)(٢).

فائدة

يا للدهشة!! لم يمنع مقامُ النبوة ومسؤوليةُ قيادة الأمة رسول الله ﷺ من ملاعبةِ حفيده أمام الناس، يلاحق الطفل وهو يفر منه هنا وهناك، ورسول الله ﷺ - فداه أمي وأبي- يضاحكه، ثم يمسك به بلطف ويعتنقه ويقبله أمام الناس.

فهل تخصِّص وقتاً لملاعبة أطفالك ؟!

(١) أخرجه مسلم برقم (١٣٧٣) [٥٤٠].

(٢) صحيح الأدب المفرد للبخاري برقم [٣٦٤/٢٧٩] (١٤٦) وهو حسن.

وعن أبي بكرة ﷺ:(أن رسول الله ﷺكان يصلي فإذا سجد وَثَبَ الحسنُ على ظهره وعلى عنقه فيرفع رسول الله ﷺ رفعاً رفيقاً لئلا يُصْرَعَ قال: فعل ذلك غير مرةٍ. فلما قضى صلاته قالوا: يا رسول الله رأيناك صنعت بالحسن شيئاً ما رأيناك صنعتَه! قال: «إنه ريحانَتي من الدنيا وإن ابني هذا سيِّدٌ وعسى الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين»)[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ **قال**: (كان النبيُّ ﷺ أحسنَ الناس خُلُقاً، وكان لي أخٌ يُقال له: أبو عمير –قال:أحسبُهُ فَطيم–، وكان إذا جاء، **قال**: «يا أبا عمير، ما فعل النُّغَير؟»، نُغَرٌ كان يلعب به)[2]، والفطيم:مَن فُطِمَ حديثاً عن الرضاع، والنُّغَير: طائر صغير ملوَّن، من فصيلة الحسّون ورتبة العصفوريات.

و كان رسول الله ﷺ يمسح على رؤوس الأطفال ويلاطفهم ويسلم عليهم، **عن أنس** ﷺ **قال**: (أن النبيَّ ﷺكان يزورُ الأنصار ويسلِّمُ على صبيانهم ويمسحُ رؤوسَهُم)[3].

فائدة

وهذا يقوي شخصية الطفل ويفتح مداركه، لذلك علينا إذا التقينا الآباء ومعهم أولادهم أن لا نهمل الأولاد وكأنهم غير موجودين، يجب أن نهتمَّ بهم، ونستقبلهم، ونكرمهم كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" برقم (٢٠٥١٦) [١٤٨/٣٤]، وهو صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٦٢٠٣) [١١٩٤]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢١٥٠) [٨٨٧]، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم (٤٥٩)[٢٠٥/٢]، وهو صحيح.

رحمته بالأطفال (٢) **ومن رحمته ﷺ أنه كان يُقبّل أولاده وأحفاده:**

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فرأى النبيَّ ﷺ يقبِّل أولاده فقال: تقبِّلون الصبيان؟ فما نقبلهم، **فقال النبي** ﷺ: «أوَأَمْلِك لك أَن نَزَعَ الله من قلبك الرحمةَ؟!»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه **قال**: (قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرعُ بنُ حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم **قال**: «من لا يَرْحَم لا يُرحم»[(٢)].

و كان رسول الله ﷺ رقيق القلب تجاه أطفاله، كان يتحرك قلبه إليهم شوقاً وحناناً، **يقول أنس** رضي الله عنه: (ما رأيتُ أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، كان إبراهيم مُسْتَرْضَعاً في عوالي المدينة[(٣)]، فكان ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت، وإنه لَيُدَّخَن، وكان ظئرُه[(٤)] قَيْناً[(٥)]، فيأخذه فيقبّله، ثم يرجع، قال عمرو: فلمّا تُوفي إبراهيم **قال رسولُ الله** ﷺ: «إنَّ إبراهيم ابني، وإنه مات في الثَّدي، وإنَّ له لَظِئرين تكمِّلانِ رَضَاعَهُ في الجنةِ»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٩٩٨) [١١٦٢]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٣١٧) [٩٤٨]، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٩٩٧) [١١٦٢]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٣١٨) [٩٤٨]،واللفظ للبخاري.

(٣) العوالي: القرى عند المدينة.

(٤) الظئرُ: المرضعة وَلَدَ غيرِها، وزوجها يقال له ظئرٌ أيضاً.

(٥) القَيْنُ: الحدَّاد.

(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٣١٦) [٩٤٨].

هكذا كان رسول الله ﷺ يتحمل المشقة بالذهاب إلى عوالي المدينة، صاعداً وماشياً في طريق وعرة حتى يرى ولده إبراهيم، فيملأ عينيه من رؤيته، وقلبَه من تقبيله، ثم يرجع ليتابع أعماله في نشر الرسالة وقيادة الأمة، فأين نحن من رسول الله ﷺ في رحمته بالأطفال؟!.. إن رسول الله ﷺ يعلمنا أن نخصص أوقاتاً لأطفالنا وألاَّ ننشغل عنهم.

فائدة

فهل عرفتم بماذا تغذون أولادكم؟ ليس بالطعام فقط يتغذى الأطفال، بل يحتاجون مع غذاء الجسد إلى غذاء روحيّ ونفسيّ، ويحتاجون للعاطفة والحنان.

رحمته بالأطفال (٣) ومن رحمته ﷺ أنه كان يضمُّهم إلى صدره الشريف، ويحملهم على عاتقه:

انظر كيف كان يعامل رسول الله ﷺ الأطفال، كان يلاعبهم، ويغمرهم بحنانه عندما يضمهم إلى صدره، وكان يحملهم على عاتقه، وهذا يؤثر في نفسية الطفل، فيعطيه من خلال هذه التغذية الروحية والتربوية قوة، فينشأ ويترعرع على قوة الشخصية، وعلى مواجهة الناس، فالطفل وهو يمشي على الأرض يرى الناس حوله مثل العمالقة، وعندما تحمله على عاتقك يطلُّ على الناس من الأعلى وكأنه أصبح يرى العالم من حوله كما يراه باقي الناس.

يروي البراء رضي الله عنه **فيقول**: (رأيت النبيّ ﷺ والحسن بن علي على عاتقه **يقول**: «اللهم إني أحبُّه فأحِبَّه»[1]، يطلب من الله أن يحبه...

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٧٤٩) [٣٧٥٥]، ومسلم برقم (٢٤٢٢) [٩٨٥]، واللفظ للبخاري.

وعن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- **قال**: (كان رسول الله ﷺ يأخذني فيُقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمُّها **ويقول**: «اللهم ارحمهما فإني أرحمهما»[1].

رحمته بالأطفال (٤) ومن رحمته ﷺ أنه كان يبكي لموت الأطفال:

كان من شدة رحمته ﷺ بالأطفال رقيقَ القلب، فإذا مات ولد من أولاده كان يبكي، نعم، مع مقام النبوة يبكي لأنه رحمة مهداة.

دخل رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف ﷺ: وأنت يا رسول الله؟! -أي: تبكي على الأطفال- **فقال** ﷺ: «يا ابن عوف، إنها رحمةٌ»، ثم أتْبَعَهَا بأخرى **فقال**ﷺ: « إن العينَ تدمع، والقلبَ يحزن، ولا نقول إلا ما يَرْضى ربُّنا، وإنَّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[2].

وعن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما-، أن ابنةً للنبي ﷺ أرسلت إليه ــ وهو مع النبي ﷺ وسعد وأُبي ــ : نَحْسِبُ أن ابنتي قد حُضِرَت —حضرها الموت-، فاشهَدْنا -تطلب مجيئه إليها-، فأرسل إليها السلام، **ويقول**: «إن لله ما أخذَ وما أعطى، وكلُّ شيءٍ عندَه مسمى، فلتَحْتَسِبْ ولتَصْبِر»، فأرسلت تُقسم

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٠٣) [١١٦٣].

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١٣٠٣)، [٢٥٤]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٣١٥)، [٩٤٧]، واللفظ للبخاري.

عليه -من أجل أن يأتي إليها-، فقام النبي ﷺ، وقمنا، فرُفع الصبي في حجر النبي ﷺ ونفسه تقعقع، ففاضت عينا النبي ﷺ، فقال له سعد رضي الله عنه: ما هذا يا رسول الله؟ **قال**: «هذه رحمة وضعها الله في قلوب من شاء من عباده، ولا يرحم اللهُ من عباده إلا الرحماءَ»[1].

وتحدث رجل إلى رسول الله ﷺ في أحد مجالسه مع أصحابه، يسأله عن الخلاص من الجرائم التي كانوا يرتكبونها في الجاهلية بقتل بناتهم وهن أحياء، وذلك بدفنهنّ أحياء تحت التراب فقال: (يا رسول الله! إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان، فكنا نقتل الأولاد، وكانت عندي بنتٌ لي، فلما أجابت، وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها -أي لتخرج معي-، فدعوتها يوماً فاتبعَتْني، فمررت حتى أتيت بئراً من أهلي غير بعيد، فأخذت بيدها، فَرَدَّيْتُ بها في البئر، وكان آخِرَ عهدي بها أن تقول: يا أبتاه! يا أبتاه! فبكى رسول الله ﷺ حتى وَكَفَ دمعُ عينيه[2]، فقال له رجل من جلساء رسول الله ﷺ: أَحْزَنْتَ رسول الله ﷺ **فقال له-أي النبي** ﷺ-: «كُفّ، فإنه يسأل عمَّا أَهَمَّهُ»، **ثم قال له**: «أعد علي حديثك» فأعاد، فبكى حتى وكف الدمع من عينيه على

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٦٥٥)، [١١١١]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٩٢٣)، [٣٥٨]، واللفظ للبخاري.

(٢) وكف دمعُ عينيه: وَكَفَ الدمعُ: سال الدمع، ووكفت العين بالدمع إذا تقاطر. انظر: [لسان العرب: باب وكف ٣٦٢/٩]

لحيته، **ثم قال له:** «إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا ، فاستأنِف عَمَلَكَ»[1].

هكذا بكى رسول الله ﷺ متأثراً بصيحات الفتاة التي تستغيث بوالدها ألاّ يدفنها تحت التراب ويقتلها، ولكن قلب أبيها القاسي، والوحشية المفرطة التي كان عليها جعلته يتابع دفنها وقتْلها.

وبعد إسلامه استيقظ قلبه، وترقَّت إنسانيته وأحسّ بهول الفاجعة التي صنع، فراح يتلمس مخرجاً للخلاص من عذاباته الداخلية والنفسية، ولكن الذي مات لن يعود للحياة، ولم يبق إلا سبيل التوبة والعمل الصالح بعد الإيمان، واستئناف حياة نظيفة طاهرة بعيدة عن الظلم والمظالم، حياة قائمة على الرحمة والإحسان على خُطا رسول الله ﷺ... نعم، إن الله تعالى قد وضع عن الجاهلية ما عملوا ....

فائدة

إن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، ويعفو عن الأعمال التي ارتكبها الإنسان قبل إسلامه .. فاستأنِف عملك الصالح وفق قواعد الإسلام القائمة على الرحمة...

(١) رواه الدارمي في مقدمة سننه برقم (٢) [١/١٥٣].

رحمته بالأطفال (٥) **ومن رحمته ﷺ عنايته بالأيتام بشكل خاص:**

أ – فمن رحمته ﷺ أنه دعا إلى كفالة اليتيم:

هكذا كانت رحمته ﷺ بالإنسان الطفل بشكل عام، أما رحمته بالإنسان الطفل اليتيم؛ فالجميع يعلم أن رسول الله ﷺ كان يحث المسلمين على كفالة اليتيم، **ويقول** ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»[١] وأشار بالسبابة والوسطى وفَرَّج بينهما شيئاً.

حقيقة

هل تحب أن ترافق النبي ﷺ في الجنة؟؟ تكفل برعاية يتيم ووفّر له ما يحتاج من الأمور المادية والمعنوية والتربوية...

ب – ومن رحمته ﷺ أنه دعا إلى حفظ حق اليتيم:

فكان يدعو ويحث المسلمين على حفظ حقوق الأيتام، **فيقول** ﷺ: «إني أُحَرِّجُ[٢] عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة »[٣] .

ويقول ﷺ : «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاّ بِالْحَقِّ وَأَكْلُ

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٣٠٤)، [١٠٥٠].

(٢) أي: أُضيق وأُحرم على من ظلمهما.

(٣) أخرجه الحاكم في "مستدركه" برقم (٢١١)، [١٢١/١]،وهو صحيح.

الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ »[1]. فاحرص على مال اليتيم، وقم بتنميته، واحذر أشد الحذر أن تفرِّط به...

ج – ومن رحمته ﷺ أنه دعا إلى العناية باليتيم وغمْرِه بالحنان والعطف والعناية به:

فكان رسول الله ﷺ يشجع على الزواج بأم اليتيم، والعناية بأيتامها..، وكان ﷺ يتواضع للأيتام ويخاطبهم على قدر عقولهم...

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: (أيمت أمي وقدمت المدينة فخطبها الناس فقالت: لا أتزوج إلا برجل يكفل لي هذا اليتيم. فتزوجها رجل من الأنصار. قال: فكان رسول الله ﷺ يعرض غلمان الأنصار في كل عام فيلحق من أدرك منهم قال: فعرضت عاماً فألحق غلاماً وَرَدَّني فقلت: يا رسول الله، لقد ألحقتَه ورددتني ولو صارعتُهُ لصرعتُه. قال: «فصارِعْهُ» فصارعتُهُ فصرعتُهُ، فألحقني) [2]

* * * * *

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٧٦٦) [ص/٥٣٣]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٨٩) [ص/٦٣] واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدركه" برقم (٢٤١١) [٢/٧٧]، وهو صحيح.

بسم الله الرحمن الرحيم
إن الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون
صدق الله العظيم

ثانياً :رحمته ﷺ بالضعفاء

جوانب رحمته ﷺ بالضعفاء

١- من رحمته ﷺ أنه كان يرعاهم ويواسيهم في مختلف شؤونهم..

٢- من رحمته ﷺ أنه كان يحبهم ولا يميل عن صحبتهم إلى صحبة أصحاب النفوذ..

٣- من رحمته ﷺ أنه كان يقضي لهم حاجاتهم ..

٤- من رحمته ﷺ أنه كان يحث على مساعدة الضعفاء والمساكين..

٥- من رحمته ﷺ أنه كان يتلطف بالخدم ويأمر بإعطائهم حقوقهم.

٦- من رحمته ﷺ أنه كان يحذر من عدم إعطاء الأجير أجره.

٧- من رحمته ﷺ أنه كان يرحم المسنين ويكرمهم.

٨- من رحمته ﷺ أنه كان يخص أصحاب الاحتياجات الخاصة من الضعفاء بمكانة اجتماعية متميزة.

بسم الله الرحمن الرحيم

جوانب رحمته ﷺ بالضعفاء ..

رحمته بالضعفاء (١) كان يرعاهم ويواسيهم في مختلف شؤونهم:

كان ﷺ يطلب من أصحابه أن يبحثوا ويستقصوا أحوال الضعفاء، وأن يبلغوه عن حاجاتهم ليقضيها لهم ويساعدهم، وكان يؤكد أن قوة الأمة وانتصارها وبحبوحة العيش فيها إنما تكون بالاهتمام بالضعفاء رعاية ومساعدة وكفاية.

يقول النبي ﷺ: «ابْغُوني ضُعَفَاءكم، فإنما تُرزقُونَ وتُنصرون بضعفائكم»[1]، لذلك كان رسول الله ﷺ يرعاهم ويواسيهم في مختلف

(١) أخرجه أبو داود برقم (٢٥٩٤) [٢٩٣]، والترمذي برقم (١٧٠٢)، [٢٩٣]، واللفظ له، وهو صحيح.

شؤونهم، ويقضي حاجاتهم، فمن رحمته ﷺ بالإنسان رحمته بالضعفاء والمساكين، فقد كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم، ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم[1].

هكذا كان رسول الله ﷺ يزور ضعفاء المسلمين، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم، وليس كما يفعل بعض الناس اليوم: يبحثون عن الأغنياء ويزورونهم، ويتوددون إليهم، ويشهدون جنائزهم، لعلهم ينالون من جاههم أو ثروتهم نصيباً...!!

يجب ألاَّ نستعلي أو نتكبر على الضعفاء والمساكين الذين أصابهم الفقر أو المرض، لماذا يستعلي بعضنا ويتكبر على الضعيف والمسكين؟ أوَليس هذا الضعيف إنساناً يتمتع بكامل حقوقه الإنسانية ؟!..

فائدة

إن محمداً رسول الله ﷺ مع مقامه النبوي العالي كان يتعامل مع الضعفاء أحسن المعاملة: يجالسهم، ويؤنسهم، ويلاطفهم، ويزورهم، ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم، كان رسول الله ﷺ يهتم بالضعيف تكريماً لإنسانيته عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴿٧٠﴾﴾[سورة الإسراء]، فكل من يحمل صفة إنسان يجب أن يحترَم لإنسانيته بصرف النظر عن حَسَبه أو نَسَبه أو غناه أو فقره أو مركزه...

هذه هي رسالة رسول الله ﷺ للإنسانية.

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه برقم (٣٧٩٢) [٥٤٩/٢] وهو صحيح.

رحمته بالضعفاء (٢) كان ﷺ يحبهم ولا يميل عن صحبتهم إلى صحبة أصحاب النفوذ:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (أحبوا المساكين فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين»[(١)].

وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين**»[(٢)] إنه ﷺ يحب المساكين ويحب أن يصاحبهم، وكان لا يميل عن صحبتهم إلى صحبة غيرهم عملاً بوصية الله تعالى له: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[سورة الكهف].

قال سلمان، وخباب بن الأرت –رضي الله عنهما–:(فينا نزلت هذه الآية: جاء الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ، وعُيَيْنَة بْنُ حِصْنٍ الفَزارِيّ، وذووهم من المؤلَّفَةِ قُلوبُهُمُ فوجدوا النبي ﷺ قاعداً مع بلال وصُهَيب وعمَّار وخبَّاب في ناسٍ من ضُعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروهم، فأتوه فقالوا: يا رسول الله لو

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٤١٢٦) [١٦١/٤] قال الألباني:" الحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الصحة" وقال الحافظ في التلخيص: " أسرف ابن الجوزي فذكر هذا في الموضوعات" وقال البيهقي: ووجهه عندي أنه لم يسأل حال المسكنة التي يرجع معناها إلى القلة (الفقر)، وإنما سأل المسكنة التي يرجع معناها إلى الإخبات والتواضع.

(٢) من حديث طويل أخرجه الترمذي برقم (٣٢٣٥) [٥١٤]، وهو صحيح.

جلست في صَدْرِ المسجد، ونَفَيْتَ عَنَّا هؤلاء وأرْوَاح جبَاهِهِمُ ، وكان عليهم جِبَابُ صُوفٍ ولم يكن عليهم غيرها، لجَالسْنَاكَ وأخذنا عَنْكَ، فقال رسول الله ﷺ:« ما أنا بِطَارِدِ المؤمنين»، قالوا : فإنَّا نُحِبُّ أن تَجْعَلَ لنا منك مَجْلِساً تعرفُ به العربُ فَضْلَنَا، فإن وُفُودَ العرب تَأتِيكَ، فَنَسْتَحْيِي أن تَرَانا العربُ مع هؤلاء الأعْبُدِ، فإذا نحنُ جئنا فأبْعدهم عَنَّا، فإذا نحنُ فَرَغنَا فاقْعُدْ مَعَهُمْ إن شئت، فقال: «نعم » طَمَعاً في إيمانهم. قال: ثم قالوا: اكْتُبْ لنا عليْك بذلك كتاباً. قال: فَدَعا بالصَّحِيفَةِ، ودعا عليَّاً لِيَكْتُبَ، قال: ونحن قعود في ناحيةٍ، إذ نزل جبريل عليه السلام بقوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ إلى قوله : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة الأنعام:٥٢-٥٣] فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة من يَدِهِ، ثم دعانا فأتيناه وهو يقول: « سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كتبَ ربُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ » وكنَّا نقعدُ معه حتى تَمَسَّ رُكْبَتُنَا رُكْبَتَهُ، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ... ﴾ [الكهف : ٢٨] فترك القيام عَنَّا إلى أن نقوم عنه وقال: « الحَمْدُ للَّهِ الذي أمَرَنِي أنْ أصْبِرَ نَفْسِي مَعَ قومٍ من أمَّتِي معكُم المَحيا ومَعَكُم المماتُ ».[1]

إذن، علينا أن نتعامل مع الإنسان بصفته قيمة إنسانية، وهذا درس بليغ للدعاة يجب أن ينتبهوا إليه، ويتأسوا بالحبيب المصطفى ﷺ الذي كان –من

(١) تفسير اللباب في علوم الكتاب [١٦٠/٨]

خلال هذه القيمة الإنسانية التي قدسها الله تعالى- يذهب بنفسه لزيارة رجل ضعيف فَقَدَ بصره...

عن جبير بن مطعم ﷺ **قال: قال رسول الله** ﷺ: «اذهبوا بنا إلى بني واقفٍ نزور البصير»، قال سفيان: هم حي من الأنصار، وكان محجوب البصَر !! [1].

وعَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيُّ أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ -وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنْ الْأَنْصَارِ -أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي ،وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي ، فَإِذَا كَانَتْ الأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ تَأْتِينِي فَتُصَلِّيَ فِي بَيْتِي فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ عِتْبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَذِنْتُ لَهُ ،فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ:« أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ

(١) أخرجه البزار برقم (٣٤٢٥) [٣٥٠/٨]، والطبراني في "الكبير" برقم (١٥٣٤) [١٢٤/٢] واللفظ له، والبيهقي في "الكبرى" برقم (٢٠٨٥١) [٣٧٣/١٠]، وقال الهيثمي في "المجمع" [٣١٩/٨]: (رواه البزار والطبراني، ورجال البزار رجال الصحيح غير إبراهيم بن المستمر العروقي، وهو ثقة).

مِنْ بَيْتِكَ ؟»قَالَ: فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ الْبَيْتِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَبَّرَ فَقُمْنَا فَصَفَّنَا فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ[1].

سؤال

أيذهب بعضُ دعاتنا لزيارة الضعفاء أو مكفوفي البصر أكثر، أم يذهبون إلى أصحاب الجاه والمال أكثر؟؟! إن الناس عند رسول الله ﷺ سواءٌ من الناحية الإنسانية، وهو أكثر ميلاً لمجالسة وزيارة الفقراء والضعفاء، ومواساتهم وتفقد احتياجاتهم...

وكان رسول الله ﷺ يحذر من إقامة الولائم للأغنياء التي لا يدعى إليها الفقراء **فيقول**: «شَرُّ الطعامِ طعامُ الوليمة؛ يُدعى لها الأغنياءُ، ويُترك الفقراء....»[2]، فالتكريم لذات الإنسان الذي خلقه الله تعالى وكرَّمه، حتى وإن كان فقيراً أو ضعيفاً أو أعمى... **أوَليس إنساناً!؟**

رحمته بالضعفاء (٣) و كان ﷺ يقضي لهم حاجاتهم:

وكان رسول الله ﷺ انطلاقاً من رحمته بالضعفاء والمساكين يقوم بخدمتهم ويمشي معهم ليقضي حوائجهم، ولا يمنعه موقعه ومكانته -وهو نبي الله- ومسؤولياته في قيادة الأمة من مرافقتهم ومصاحبتهم حتى يقضي حوائجهم، **فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى**:(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ وَيُقِلُّ اللَّغْوَ وَيُطِيلُ الصَّلاةَ وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ وَلا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٢٥) [١٠٣]، المساجد في البيوت.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥١٧٧) [١٠٢٥]، ومسلم برقم (١٤٣٢) [٥٦٧]، واللفظ للبخاري.

حَاجَتـه) [1]؛ لـذلك عليـك أن تـساعد الأرملـة والمـسكين، وأن تقـضي لهمـا حاجاتهما ليكون في قلبك رحمة كما في قلبه ﷺ.

عن أنس رضي الله عنه **قال**: (جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ــ وكان في عقلها شيء ــ فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجةً، **فقال**: «يا أم فلان، اجلسي في أي نـواحي الـسكك[2] شئت حـتى أجلـسَ إليـك»، قـال: (فجلست فجلس النبي ﷺ إليها حتى قضَتْ حاجتها)[3]. أي إنه ﷺ ذهب معها ومشى وهي امرأة عجوز، حتى بلغت المكان الذي تقصده، وأعطاها من وقته وجهده واهتمامه حتى حصلت على حاجتها من خلال مساعدة النبي ﷺ لها.

فداك أبي وأمي يا رسول الله ما أعظم رحمتك! ما أعظم تواضعك! ما أعظم إنسانيتك!

رحمته بالضعفاء (٤) و كان ﷺ يحث على مساعدة الضعفاء والمساكين:

يقـول أبـو هريـرة رضي الله عنه **أن النبـي ﷺ قـال**: «الـسَّاعي علـى الأَرْمَلَـةِ، والمـسكين، كالمجاهـد في سـبيل الله»، وأحْـسِبُهُ **قـال**: «وكالقـائم لا يفْتُـرُ، وكالصائم لا يُفْطِرُ»[4].

---

(١) أخرجه النسائي في "سننه" برقم (١٧٢٨) [٢/٢٨٠] وهو صحيح.

(٢) السكة : الطريق العام.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٣٢٦) [٩٥٠].

(٤) أخرجه البخاري برقم (٥٣٥٢) [١٠٥٩]، ومسلم برقم (٢٩٨٢) [١١٩٥]، واللفظ لمسلم.

هل تستطيع أن تصوم الدهر؟؟!!

هل تستطيع أن تقوم الليل بلا انقطاع طيلة عمرك؟؟!!

إنك إن ساهمت واجتهدت في مساعدة الفقير، سواء أكان أرملة أم مسكيناً..، فلك الأجر والثواب كأنك صمت الدهر كله!! وقمت الليل طيلة عمرك!! وكأنك جاهدت في سبيل الله تعالى!!

رحمته بالضعفاء (٥) و كان رسول الله ﷺ يلطف بالخدم و يأمر بإعطائهم حقوقهم:

كان رسول الله ﷺ أكثر الناس لطفاً بالمستخدمين من عمال وخدام و أُجراء ...**يقول أنس بن مالك** رضي الله عنه : «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ لُطْفًا بِالنَّاسِ..»[(١)].

ويقول أنس رضي الله عنه : «خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أفّ ولا لِم صنعت و لا ألا صنعت»[(٢)].

ونبّه رسول الله ﷺ إلى أهمية العناية الفائقة بالعمال وبخاصة الخدام، وقد جعلهم رسول الله ﷺ إخوة لنا، وعلينا أن نطعمهم من طعامنا وليس من فتات طعامنا، وأن نلبسهم من لباسنا و ليس مما بلي من لباسنا، وأمر رسول

(١) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر العسقلاني برقم [٣٨٢٩] (٥٩٧/١٥).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم [٦٠٣٨] (١١٦٨).

الله ﷺ ألاّ نكلفهم من الأعمال فوق طاقتهم .بل طلب منا أكثر من ذلك أن نساعدهم ونعينهم...

عن المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذر بالربذة [1] وعليه حلةٌ وعلى غلامه حلةٌ فسألته عن ذلك فقال: إني سابيت رجلاً فعيرته بأمِّه .**فقال لي النبي** ﷺ : « يا أبا ذر أعيرّته بأمه !!إنك امرؤٌ فيك جاهليةٌ ،إخوانُكم خولُكم[2]، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم ،فإن كلَّفتموهم فأعينوهم»[3].

فهل نرحم الضعفاء كما كان يرحمهم رسول الله ﷺ ؟!!..

كم من الناس الذين يحرمون خدمهم من الطعام عقوبةً لهم ؟!!..

كم من الناس الذين يضربون، بل يعذّبون خدمهم بطريقة وحشية عقوبة لهم ؟!!..

كم من الناس الذين لا يُداوون خدمهم من أمراضهم و يهملونهم ؟!!.

كم من الناس الذين لا يُسكنون خدمهم بأماكن تليق بكرامة الإنسان ؟!.. يسكنونهم في الأقبية المظلمة التي لا ترى الشمس ولا النور !!..

---

(١) مكان معروف بين مكة و المدينة.

(٢) اسم يطلق على العبد أو الأمة لأنهم يتخولون الأمور أي :يصلحونها.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم [٣٠] (٢٩).

كم من الناس الذين يتكبرون على خدمهم و يهينونهم شتماً وإذلالاً، حتى إن بعضهم لا يعاملهم كما يعامل بعض الناس كلابهم من العناية والرعاية ؟!!..

كان رسول الله ﷺ يُكرِّم الضعفاء، ويجلس معهم ،ويصاحبهم، ويتناول الطعام معهم ...

رحمته بالضعفاء (٦) وكان رسول الله ﷺ يُحَذِّرُ من عدم إعطاء الأجير أجره:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:« قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ،وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ»(١).

فمن حق الأجير أن تعطيه أجره كاملاً، بل من الإحسان أن تكرمه بزيادة العطاء جَبْراً لخاطره؛ لأنه إنسان ضعيف بحاجة إلى من يقويه على مصاعب الحياة ...

وفي هذا الحديث إشارةٌ مهمةٌ إلى موضوع خطير للغاية ،وهو **موضوع الاتجار بالبشر** !!و هو مضمون قول النبي ﷺ: « ورجل باع حراً فأكل ثمنه».

فرسول الله ﷺ يحرم الاتجار بالبشر؛ لأن الإنسان مكرم عند الله تعالى وهو حر لا يجوز بيعه ولا شراؤه؛ لأن الله تعالى خلقه حراً ...

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم [٢٢٧٠] (٤٢٣).

وقد وضع النبي ﷺ نظاماً لتحرير العبيد ،حتى جعل من أهم الأعمال التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى أن يحرر العبيد ...

ويا أسفا فإن العالم الغربي الذي يدعي الحضارة و يتاجر بموضوع حقوق الإنسان هو الذي أسس لأعمال الاتجار بالبشر!!.

ففي حقبة استعماره للعديد من الدول الضعيفة ،ظهرت في أوروبة وأمريكة مؤسساتُ الاتجار بالبشر و بخاصة من القارة الإفريقية ...

حيث كانوا يأسرون الأفارقة ،و يسوقونهم ،و يبيعونهم في مراكز بيع العبيد المنتشرة في أوروبة و أمريكة، و كانوا يسومونهم سوء العذاب ...وتتحدث الوثائق التاريخية عن ملايين الأفارقة الذين ماتوا تحت التعذيب، بسبب سوء المعاملة حيث كانوا يقومون بشحنهم بسفن مخصصة لذلك وبطريقة وحشية تشمئزُّ منها النفوس البشرية ...فكانوا يعاملونهم كالحيوانات، ويتم عرضهم للبيع كالحيوانات وكانوا يضعونهم أحياناً في الأقفاص...

لقد تم بيع عشرات الملايين منهم، ومات الملايين منهم ... وما زالت منظمات الاتجار بالبشر تعمل حتى في عصرنا الحاضر، وبخاصة تجارة الأطفال والنساء الذين يتاجرون بهم لصالح شبكات الدعارة والشذوذ الجنسي، وهؤلاء التجار يستغلون الكوارث الطبيعية والنزاعات والحروب لتحقيق مآربهم الدنيئة، و أكبر دليل على ذلك ما حصل في البوسنة والهرسك أثناء حرب التطهير العرقي والديني التي شنّها الصرب على المسلمين هناك في أواخر القرن

العشرين، وما حصل في مناطق الكوارث في إندونيسية بعد "التسونامي" الذي اجتاح شواطئها، وما حصل في مناطق الحروب كالصومال و غيرها...

بل تطور الاتجار بالبشر إلى ما هو أشد خطورة من ذلك، وهو **الاتجار بالأعضاء البشرية** !!..

هل هذه نتائج الحضارة المزيفة ؟!!...

لقد ترقّت الآلة و تطوّرت و تحضّرت، ولكن الكثير من الناس عندما فقدوا الصلة بالله تعالى، وتخلّوا عن التزامهم بشريعة الله تعالى و دينه، تحولوا إلى أشد من الوحوش ضراوةً و إيذاءً!!..

حقيقة

عندما يفقد الإنسان القيم الروحية والالتزام الديني يتحول إلى إنسان شديد التخلف ولكن بثوب حضاري

رحمته بالضعفاء (٧) و كان رسول الله ﷺ يرحم المسنين ويكرمهم:

كان رسول الله ﷺ يرحم المسنين و يكرمهم دون النظر إلى مكانتهم الاجتماعية أو إلى لونهم أو عرقهم أو دينهم...

يقول النبي ﷺ: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا »[1].

(١) أخرجه الترمذي في "سننه"برقم [١٩١٩] (٣٢٤) وهو صحيح.

ومن أكثر ما يثير الدهشة ما تقرأ في سيرته العطرة مِنْ تلطُّفه بكبار السن، حتى إنه ليأبى أن يأتيه كبير السن لزيارته رحمةً به، بل يصرُّ على أن يذهب بنفسه إليه حتى ولو لم يكن مسلماً!!..

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت:

(... فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، أَتَى أَبُو بَكْرٍ بِأَبِيهِ يَقُودُهُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: « هَلاَّ تَرَكْتُ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيَهُ فِيهِ ؟ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ إِلَيْهِ أَنْتَ، قَالَ: (قَالَتْ): فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ مَسَحَ صَدْرَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَسْلِمْ، فَأَسْلَمَ)[1].

رحمته بالضعفاء (٨) وكان رسول الله ﷺ يخص أصحاب الاحتياجات الخاصة منهم بمكانة اجتماعية متميزة:

وفي هذا إشارة منه ﷺ للاستفادة من أصحاب الاحتياجات الخاصة، فقد استخلف رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم وهو أعمى مرتين على المدينة المنورة أثناء غيابه..

عَنْ أَنَسٍ ﷺ: « أَنَّ النَّبِيَ ﷺ اسْتَخْلَفَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ عَلَى الْمَدِينَةِ مَرَّتَيْنِ»[2]، و زاد الإمام أحمد في رواية «يصلي بهم وهو أعمى»[3].

---

(١) سيرة ابن هشام (٤/٤٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود في" سننه" برقم [٢٩٣١](٣٣٢) وهو صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في "مسنده "برقم [١٣٠٠٠] (٢٠/٣٠٧) وهو حسن.

ولعلك تدرك أهمية هذا المنصب و مكانته عند الناس ، و في هذا إشارة منه ﷺ للاستفادة من أصحاب الاحتياجات الخاصة، و تمكينهم من العمل حسب تخصصهم وما يتناسب مع مواهبهم، وقد سبق رسول الله ﷺ بل فاق بهذا المجتمعات التي تنبهت في سنوات متأخرة من القرن العشرين للعناية بأصحاب الاحتياجات الخاصة!!..

و قد حذر رسول الله ﷺ من الإساءة للضعفاء أصحاب الاحتياجات الخاصة فقال: «لعنَ الله مَن كَمَّهَ –أضلَّ– أعمى عن السبيل – أي عن الطريق–»[1].

ما أعظمَ رحمتك يا رسول الله بالضعفاء !!.. وما أشدَّ عنايتك بهم ، وبخاصة إحساسك المرهف بمشاعرهم و احتياجاتهم!!..

فائدة

لعلك تدرك الآن كم رفع النبي ﷺ من قيمة الإنسان، وكم كرَّمه ودعا إلى الإحساس به وتقدير آلامه ومعاناته، والعمل على رفع هذه المعاناة عنه...

إنه الإسلام دين الرحمة، وإعلاء القيم الإنسانية!!

* * * *

(١) أخرجه البخاري في صحيح الأدب المفرد برقم[٨٩٢/٦٨٥] (٣٣٢).

ثالثاً:

رحمته ﷺ وتكريمه للنساء

جوانب رحمته ﷺ وتكريمه للنساء

أ - رحمته ﷺ بعموم النساء..

ب - رحمته ﷺ بالأمهات ..

ج - رحمته ﷺ بالزوجات ..

د - رحمته ﷺ بالبنات ..

أ ـ رحمته ﷺ بعموم النساء

جوانب رحمته ﷺ بعموم النساء

تمهيد:

- حال المرأة في المجتمعات الجاهلية.
- حال المرأة في المجتمعات غير العربية.
- المفهوم الحقيقي لقضية تحرير المرأة.

حال المرأة في ظلال وتعاليم النبي ﷺ.

أولاً :النبي ﷺ يقرر للمرأة حقوقها ويدافع عنها.

١- حق المساواة الكاملة مع الرجال إنسانياً.

٢- حق المساواة الكاملة مع الرجال إيمانياً.

٣- حق المساواة الكاملة مع الرجال في التعلم والتعليم.

٤- حق المساواة الكاملة مع الرجال في التملك وحق التصرف بما تملك.

٥- وأعطى رسول الله ﷺ المرأة الحق بالعمل.

ثانياً :النبي ﷺ يُعلي من مكانة المرأة ويرفع من شأنها:

١- كان يشاور النساء ويسمع لمشورتهن حتى في الأمور السياسية.

٢- كان رسول الله ﷺ يبايع النساء كما يبايع الرجال.

٣- كان رسول الله ﷺ يجير من أجارته المرأة .

٤- كان رسول الله ﷺ يأمر الرجل بالخروج مع زوجته لتؤدي فريضة الحج، ولو احتاج الأمر أن يترك الخروج للجهاد.

٥- كان رسول الله ﷺ يحذر من تضييع حق المرأة.

٦- كان رسول الله ﷺ يحث على السعي على الأرملة ومساعدتها.

٧- كان رسول الله ﷺ يدعو للرفق بالنساء.

٨- كان رسول الله ﷺ يُعلن أنه قد حُبب إليه النساء؛ ليلفت نظر المسلمين إلى العناية بهن وتكريمهن وإعلاء شأنهن.

٩- كان رسول الله ﷺ يؤيد المرأة في الدفاع عن حقوقها.

١٠- كان رسول الله ﷺ يوصي بالنساء خيراً.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

جاء رسول الله ﷺ برسالة الإسلام الخالدة في وقت كان فيه حال المرأة في المجتمعات البشرية سيئاً للغاية، ومتخلِّفاً بشكل مريع، وسنضرب على هذا مثالين اثنين:

المثال الأول: حال المرأة في المجتمعات العربية الجاهلية:

- ذكر القرآن الكريم والسنة الشريفة صوراً من إذلال المرأة واحتقارها وحرمانها من كثير من الحقوق المتعلقة بإنسانيتها... بدءاً من قتلها -وهي طفلة- بدفنها تحت التراب للتَّخلص منها من دون ذنب ارتكبَته، إلى مشاعر الكراهية السائدة في المجتمع الجاهلي تجاه ولادة البنات، ومدى الهمّ والغمّ والحزن الذي يعتري الأب في المجتمع الجاهلي عندما تلد له زوجته بنتاً... فتقع

الكارثة على رأسه حسب الثقافة والتربية التي نشأ عليها، فلا يدري ما يصنع؟! وتصيبه الحيرة الكبيرة فلا يعلم كيف يتصرف؟! أيقتل طفلته بدفنها ودسِّها حية تحت التراب؟!! أم يُبقيها ويصحَبه بوجودها الذلُّ والهوانُ والعارُ -حسب اعتقادهم-؟!

وهو في حيرته هذه تجده مملوءاً غيظاً لا يستطيع أن يجد له تصريفاً، ويتوارى بهذا الهوان من الناس كئيباً مغموماً.

لقد صور القرآن الكريم هذا الوضع المشين أدق تصوير، وعبَّر عنه أبلغ تعبير فقال: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة النحل].

حقيقة

ولا حاجة للتوسع في توضيح صورة الذل والمهانة التي كانت تعيشها المرأة في المجتمع الجاهلي، فمن يمتلك القدرة على دفن ابنته وهي على قيد الحياة تحت التراب ليقتلها بيديه وأمام عينيه؟؟!! ماذا تتوقع منه أن يَصنع مع المرأة على كافة المستويات؟!

- إنَّ من يَقتل طفلته وهي على قيد الحياة بدفنها تحت التراب لا يجد حرجاً أن يحرم المرأة من الميراث...! ولا يجد حرجاً من أن يَرثها كأنها متاع...! نعم، كانت المرأة في الجاهلية تُورَثُ كما يورث المتاع..!!

فإذا مات رجل وله زوجة فإن أقاربه يتسابقون إليها؛ فمن سبق وألقى عليها الخمار كان أولى بها، فيرثها مع ما يرثه من متاع، وهي لا حول لها ولا قوة ولا رأي ولا قرار!

فجاء رسول الله ﷺ برسالته السّمْحة العادلة، فحرَّم هذه العادات الجاهلية، وأعاد الله تعالى للمرأة مكانتها، ودفع عنها هذا الظلم فقال الله تعالى : ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [سورة التكوير] وقال محرِّماً وموجِّهاً: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝١٩﴾[سورة النساء].

وكانت الحياة الجاهلية تفرض على المرأة نظاماً ظالماً في أمور كثيرة ومنها نظام الحِداد على زوجها إذا مات، **تقول زينب بنت سلمة** رضي الله عنهما: (كانت المرأة إذا تُوفي عنها زوجُها دَخَلَت حِفْشاً[1]، ولَبِسَت شَرَّ ثيابها، ولم تمسَّ طيباً حتى تمرَّ بها سنة، ثم تُؤتَى بِدابَّة -حمارٍ أو شاةٍ أو طائرٍ- فَتَفْتَضُّ به[2]، فَقلَّما تفتضُّ بشيء إلا ماتَ، ثم تخرجُ فتعطَى بعرةً، فترمي بها، ثم تراجِع بعدُ ما شاءتْ من طِيب أو غيرِه)[3].

(١) حفشاً: أي البيت الصغير الذليل القريب السمك سمي به لضيقه.

(٢) تَفْتَضّ به: أي تَمسح به جلدها.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٣٣٧) [١٠٥٥]، ومسلم برقم (١٤٨٩) [٦٠١]، واللفظ للبخاري.

وهي ترمي بعرة وكأنها تقول: إن كل هذه المعاناة -حداداً على زوجي- تساوي عندي أقل من بعرة!!.

وهكذا تمكث سنة بمكان وضيع مهين، لا تغتسل ولا تتنظف!! ثم تنظِّف جلدها الذي غدا نتناً بالتمسح بحيوان!! ثم تخرج!!

ويتحدث المؤرخ والباحث **الدكتور غوستاف لوبون** عن حال المرأة عند العرب قبل ظهور الإسلام **فيقول**:

(وكان الرجال قبل ظهور محمد يعُدُّون منزلة النساء متوسطة بين الأنعام والإنسان من بعض الوجوه، أي أداةً للاستيلاد (أي الحصول على الأولاد) والخدمة وكانوا يعدُّون ولادة البنات مصيبةً، وشاعت عادة الوَأْدِ، وصار لا يجُادَل فيها كما لو كانت البنات جِرَاءً يُقذفُ بها في الماء) [1].

هذه صورة بعض ما كان يعتري المرأة في المجتمعات العربية الجاهلية.

المثال الثاني: حال المرأة في المجتمعات غير العربية:

ولم يكن حال المرأة في المجتمعات غير العربية أحسن حالاً، وإن اختلفت الصور.

(فالمرأة في الهند -كما ذكر "غوستاف لوبون"-: تَعُدُّ بعلها ممثلاً للآلهة في الأرض، وتُعَدُّ المرأة العَزَب[2] والمرأة الأَيِّمُ على الخصوص منبوذتين في المجتمع الهندوسي، والمنبوذ عندهم في رتبة الحيوانات.

(١) انظر: حضارة العرب، د. غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر ص ٤٠٢ ومابعدها.

(٢) المرأة العَزَب: التي لم تتزوج.

وموت الزوج الهندوسي قاصم لظهر زوجته، فلا قيام لها بعده، فالمرأة الهندوسية إذا آمَتْ -أي مات زوجُها- ظلَّت في الحِدَادِ **بقية حياتها**، وعادت لا تُعامَل كإنسان، وعُدَّ نظرُها مصدراً لكل شُؤمٍ على ما تنظر إليه، وعُدَّتْ مُدَنِّسةً لكل شيء تمسه، وأفضل شيء لها أن تقذف نفسها في النار التي يُحرَق بها جثمان زوجها، وإلا لقيت الهوان الذي يفوق عذاب هذه النار!!) [1].

- وفي اليونان -مهد الفلسفة- كان اليونانيون القدماء يبيعون النساء في الأسواق كما يباع المتاع!

- وظلَّت النساء حتى منتصف القرن التاسع عشر -طبقاً للقانون الإنجليزي العام- غير معدودات من "الأشخاص" أو "المواطنين" الذين اصطلح القانون على تسميتهم بهذا الاسم؛ لذلك لم يكن لهن حقوق شخصية، ولا حق في الأموال التي يكسبنها، ولا حق ملكية في شيء.

ويقول "هربرت سبنسر" الفيلسوف الإنكليزي في كتابه "وصف علم الاجتماع": (إن الزوجات كانت تباع في إنكلترة فيما بين القرن الخامس والقرن الحادي عشر...، وشر من ذلك ما كان للشريف النبيل -روحانياً كان أو زمنياً- أي: الإقطاعي ورجل الدين- من الحق في الاستمتاع بامرأة الفلاح مدة أربع وعشرين ساعة بعد عقد زواجها عليه -أي على الفلاح-)[2].

---

(١) نقلاً عن"حضارات الهند" تأليف "غوستاف لوبون" (ص:٦٤٤-٦٤٦)، انظر: ماذا عن المرأة للدكتور نور الدين عتر (ص:١٨).

(٢) المصدر السابق ص(١٨-١٩)

حقيقة

ولعلك تستغرب هذا وتكاد ألاّ تصدقه!! ولكني أقول للمستغربين: ماذا ستفعلون إن علمتم أن النساء تباع الآن في أسواق خاصة في القرن الواحد والعشرين في عصر تحرير المرأة المزعوم؟!!

لعلك تدهش ولا تصدق!! إذن اسمع ما نقلته قناة الجزيرة الوثائقية في برنامج (إسرائيل من الداخل)، والذي بثته في أواخر شهر شباط عام (٢٠١٠م):

نقلت القناة المذكورة أن هناك شبكات عالمية تحركها (مافيا) غربية إسرائيلية تقوم بأخذ النساء من روسيا وأوكرانيا ومن شرق أوروبا عموماً لتقوم ببيعها في أسواق خاصة في ضواحي تل أبيب وأماكن أخرى في العالم كما تباع الحيوانات في المزادات؛ حيث يتم عرضهن على المشترين، ولكل واحدة منهن سعر يتناسب مع مواصفاتها، ولا تستطيع إحداهن الإفلات من قبضتهم؛ لأنها تهدَّد بقتل أسرتها في بلدها، ويحتفظ مالكها بجواز سفرها وكافة أوراقها فلا تستطيع الهروب، ويُسَقْنَ للعمل في مواخير الدعارة.

هذه هي أسواق النخاسة في القرن الواحد والعشرين، عصر تحرير المرأة المزعوم !!!.. ويبين المؤرخ والباحث **الدكتور غوستاف لوبون** حال المرأة قبل الإسلام لدى الأمم والأديان الأخرى **فيقول**:

[ويسهل إثبات هذا ببياننا أن جميع الأديان والأمم التي جاءت قبل العرب أساءت إلى المرأة، وهذا ما أوضحناه في كتابنا الأخير، فلا نرى غيرَ تكرار ما ذكرناه فيه لإقناع القارئ:

كان الأغارقة على العموم، يعدُّون النساء من المخلوقات المنحطة التي لا تنفع لغير دوام النسل وتدبير المنزل، فإذا وضعت المرأة ولداً دميماً قضوْا عليها، ومن ذلك قول مسيو ترُوبلُونْغ: (كانت المرأة السيئة الحظ التي لا تضع في إسبارطة ولداً قوياً صالحاً للجندية تُقتل)، وقال: (كانت المرأة الولود تؤخذ من زوجها بطريق العارية لتلد للوطن أولاداً من رجل آخر)، ولم يَنَلْ حظوةً من نساء الإغريق في دَوْر ازدهار الحضارة اليونانية سوى بنات الهوى ...

وكان جميع قدماء المشترعين يبدون مثل تلك القسوة على المرأة، ومن ذلك قول شرائع الهندوس: (ليس المصير المقدَّر والريح والموت والجحيم والسم والأفاعي والنار أسوأ من المرأة). ولم تكن التوراة أرحم بالمرأة من شرائع الهند، ومن ذلك قول سِفْرُ الجامعة إن (المرأة أَمَرُّ من الموت)، وإن (الصالح أمامَ الله ينجو منها .. رجلاً واحداً بين ألف وجدت، أما امرأةً فبين كلِّ أولئك لم أجِد...) [1] وتَعُدُّ جميع الشرائع الهندوسية واليونانية والرومانية... المرأة من فصيلة الإماء أو الصبيان، ومن ذلك قول شريعة مَنُو (تخضع المرأة في طفولتها لأبيها وفي شبابها لزوجها وفي تأيُّمها لأبنائها إذا كان لها أبناء، وإلا فإنها تخضع لأقرباء بعلها، أي لا يجوز ترك أمرها لها) ويقرُب من هذا ما ورد في شرائع اليونان والرومان، فقد كان سلطان الرجل في رومة على زوجته مطلقاً، وكانت تعدُّ أمةً لا قيمة لها في المجتمع، ولم يكن لها قاض سوى زوجها الذي بيده حقُّ حياتها وحقُّ موتها، ولم تعامل الشريعة اليونانية المرأة بأحسنَ من هذا، وهي لم تعترف لها بأيّ حق ولا بحق الميراث] [2].

(١) سفر الجامعة، الإصحاح السابع، (٢٦ – ٢٨).

(٢) ينظر: حضارة العرب للدكتور غوستاف لوبون ص ٤٠٦ وما بعدها..

ويقول المؤرخ والباحث وِل ديورانت: (وجملة القول أن قوانين التلمود، بوجه عام، من وضع الرجال، وأنها لذلك تحابي الذكور محاباة بلغ من قوتها أن بعثت في نفوس أحبار اليهود الفزع من قوة المرأة، وهم يلومونها، كما يلومها الآباء المسيحيون، لأنها أطفأت "روح العالم" بسبب تشوف حواء المنبعث عن ذكائها.. وفي القضاء ـ على حد قول أحد الأحبار ـ "تعدل شهادة مائة امرأة شهادة رجل واحد" وكانت حقوق النساء الملكية محددة في التلمود بالقدر الذي كانت محددة به في انجلترا في القرن الثامن عشر؛ فمكاسبهن وما يؤول إليهن من ملك لهن حق لأزواجهن..)[1].

والمرأة بحسب الكتاب المقدس تصبح في أيام طمثها (العادة الشهرية) نجسة، وكل من يمسُّها من الناس يصبح نجساً، وكل متاع أو فراش تمسُّه يصبح نجساً، وكل من يمسُّ هذا المتاع أو يجلس عليه يصبح نجساً، وعليه غسل ثيابه، وعليه أن يستحم !!.. وعليها أن تأخذ بعد انقطاع دم الحيض أو الاستحاضة يمامتين أو فرخي حمام إلى الكاهن ليذبح الأولى عن خطيئتها، والثانية تكفيراً عنها أمام الرب من سيل نجاستها !! فتأمل !!.. **وهذا النص من توراتهم:**

(وإذا كانت إمرأة لها سيل وكان سيلها دماً في لحمها فسبعة أيام تكون في طمثها، وكل من مسها يكون نجساً إلى المساء، وكل ما تضطجع عليه في طمثها يكون نجساً، وكل ماتجلس عليه يكون نجساً، وكل من مسّ فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء، وكل من مسّ متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء، وإن كان على الفراش أو على المتاع الذي هي جالسة عليه عندما يمسّه يكون نجساً إلى المساء، وإن

(١) ينظر كتاب قصة الحضارة، المبادئ الأخلاقية في التلمود ص ٤٨٥٣ وما بعدها.

اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون نجساً سبعة أيام، وكل فراش يضطجع عليه يكون نجساً) [1].

ثم يقول: (وإذا طهرت من سيلها تحسب لنفسها سبعة أيام ثم تطهر، وفي اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين أو فرخي حمام وتأتي بهما إلى الكاهن إلى باب خيمة الاجتماع، فيعمل الكاهن الواحد ذبيحة خطية، والآخر محرقة ويكفر عنها الكاهن أمام الرب من سيل نجاستها) [2] .

وهذا ما يعتقد به المؤمنون في الغرب بحسب كتابهم المقدس !!..، ثم لا يجدون حرجاً أن يتزعموا قضية تحرير المرأة، ويوجهون سهامهم إلى الإسلام ويقلبون الحقائق !!.. وأحرى بهم أن يستروا عوراتهم الفاضحة، ولا يستتروا وراء الشعارات...

المفهوم الحقيقي لقضية تحرير المرأة:

ولو توقفنا قليلاً عند **قضية تحرير المرأة** التي نسمعها كل يوم، وتساءلنا؟! ويحق لنا أن نتساءل؟! ما هو المقصود بـ (تحرير المرأة)؟

إذا كان المقصود تمكين المرأة من حقوقها الإنسانية، ورفع الظلم الواقع عليها في موضوع حق العمل وحق التملك وحق التصرف بما تملك، وحق التعليم... إلى آخره، فإننا ندعو لهذه الحقوق؛ لأن الإسلام هو الذي سبق وقرر هذه الحقوق للمرأة -كما سنذكر لاحقاً-، أما إذا كان المقصود هو رفع الشعار، والتستر من ورائه لإخراج المرأة من قيمها العليا ومبادئها الدينية، ومحاربة الدين تحت هذه الذرائع، والتستر بهذه الشعارات لجعل المرأة رخيصة

(١) الكتاب المقدس، سفر اللاويين، الإصحاح الخامس عشر، (١٩ – ٢٤).
(٢) المصدر السابق ، (٢٨ – ٣٠).

يسهل الاستحواذ عليها وعلى جسدها، وإعلاء لغة الجسد وإلغاء لغة العقل والفكر والعلم والأخلاق...، فلاشكَّ سنقف في مواجهة هذا الخداع وهذه الأضاليل الكاذبة وهذا الظلم الفاضح للمرأة.

لقد أثبتت المرأة المسلمة الملتزمة بإسلامها بقوة في عالمنا المعاصر أنها تمتلك من الحرية ما لا يمتلكه الكثير من نساء العالم، فقد وصلت إلى أعلى المراتب في التحصيل العلمي في كثير من التخصصات العالية؛ فأصبحت طبيبة متخصصة بأعلى التخصصات، ومهندسة، ومدرِّسة، وقاضية، وإعلامية متميزة، ووزيرة، وعضواً في البرلمان، وأستاذة جامعية، وكاتبة وباحثة، وتقلدت مسؤوليات إداريةً وقياديةً، ودخلت عالم الصناعة والتجارة وغير ذلك، ونافست الرجال وأثبتت جدارتها وتميُّزها، مع أنها لم تتخلَّ عن التزامها الإسلامي، بل هي متمسكة به أشد التمسك، ولم تسقط أمام لغة الجسد، بل أعلت لغة العقل والفكر والعلم والأخلاق والإبداع...

حقيقة

وأما ما يحتاجه جسد المرأة من حظوظ فإن الإسلام لم يحرمها من ذلك، بل أباحه لها، ورشّده بأعلى امتيازات السعادة وفق قانون الحلال والبعد عن الحرام.

والذين يحاربون الإسلام بذريعة بعض العادات الاجتماعية البالية، والتي تحمل في طياتها الظلم للمرأة فإنهم مخادعون ويتسترون وراء ذلك؛ لأنهم يهدفون إلى محاربة الإسلام أساساً، ويبطنون ما لا يظهرون، وهم يعلمون أن الإسلام هو الذي يقف بقوة في وجه كافة العادات البالية الجاهلية التي تلحق الظلم بالمرأة، **ومن هذه العادات الجاهلية:**

- عدم السماح للخاطب برؤية من يرغب بالزواج منها ..
- عدم السماح للمرأة بالتعلم.

- عدم أخذ رأيها فيمن يتقدم للزواج منها.
- عدم السماح لها بالتملك، أو فرض وصاية الرجال على تصرفها بما تملك ...الخ.

و سيأتي معنا أن هذا مخالف لتوجيهات النبي ﷺ والشريعة المطهرة.[1]

حقيقة

ونحن إذ لا نحترم أفكار الذين يتستَّرون وراء قضية تحرير المرأة بقصد الإساءة للإسلام، أو بقصد جعل المرأة رخيصة يسهل الاستحواذ عليها وعلى جسدها، فإننا بكل تأكيد نحترم الذين يتبنّون قضية تحرير المرأة، ويقصدون ـ كما يقصد الإسلام ـ الوقوف بوجه من يحرمها حقوقها الإنسانية والدينية، ونقف في جبهة واحدة معهم لإعلاء مكانة المرأة في العقل والفكر والعلم والأخلاق والإبداع...، ومحاربة الفكر الذي يدعو لاستغلال المرأة من خلال إعلاء لغة الجسد الحيواني، ودفع المرأة إلى أسواق النخاسة المعاصرة بأشكالها المختلفة، وتفريغها من مضمونها الراقي وقيمتها العليا بصفتها صانعةً للإنسان والمجتمع...

لقد جاء رسول الله ﷺ فأخرج المرأة من ظلمات الجاهلية وممارساتها المذِلَّة لها؛ إلى نور الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية.

أخرج رسول الله ﷺ المرأة من عالم الدُّونية والمهانة والاحتقار؛ إلى عالم العزة والرفعة والمساواة، وأنهى التميز العنصري ضدها، وحماها من الأنظمة والتقاليد الظالمة الفاسدة، ووقف إلى جانبها يدفع عنها البغي والاعتداء على حقوقها الإنسانية.

(١) انظر الصفحة التالية وما بعدها..

- **حال المرأة في ظلال تعاليم النبي ﷺ ...**

لقد ارتقى الإسلام في احترام المرأة وتكريمها أعلى مرتبة، وذلك من خلال المبادئ والحقوق التي جاء بها الإسلام ومارسها وطبّقها النبي ﷺ ، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال الأسس التالية:

أولاً: النبي ﷺ يقرر للمرأة حقوقها ويدافع عنها:

لقد قرر النبي ﷺ للمرأة حقوقاً كثيرة ومن هذه الحقوق:

حقوق المرأة (١) حق المساواة الكاملة مع الرجال إنسانياً:

- أكَّد رسول الله ﷺ على أن المرأة والرجل في أصل الخلقة الإنسانية متساويان، يقول النبي ﷺ: «**إن النساء شقائق الرجال**»[(١)].

قال ابن الأثير: أي: نظائرهم وأمثالهم[(٢)].

- كما أكد الله تعالى أن الرجل والمرأة مخلوقان من نفس واحدة، فهما متساويان إنسانياً. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[سورة النساء] . وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [سورة الشمس].

فالرجل والمرأة من نفس إنسانية واحدة، ولذلك قرر الشرع -مثلاً- أن الرجلَ يُقتَل إذا قتل امرأةً عمداً وظلماً، كما يُقتل إذا قتل رجلاً بالشروط نفسها، وبعبارة أخرى: (يُقتَل الرجل بالمرأة، وتُقتَل المرأة بالرجل) فهما متساويان ومن نفس إنسانية واحدة.. (وعند الفقهاء تفاصيل..)

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٢٣٦) [٥٠]، والترمذي في "سننه" برقم (١١٣) [٣٨] واللفظ له، وهو صحيح.

(٢) تحفة الأحوذي للمباركفوري [٣٦٩/١].

حقوق المرأة (٢) حق المساواة الكاملة مع الرجال إيمانياً:

- بيّن الله تعالى طريق الفجور والهلاك، وطريق التقوى والفلاح والسعادة، وأعطى الاختيار للنساء كما أعطاه للرجال تماماً. قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾[سورة الإنسان].

وأعمال المرأة محفوظة ومعتبرة كأعمال الرجل تماماً، وتنال عليها الجزاء من الله تعالى مثل الرجل، ومن ذلك ما ذَكَرَتْه الآية الكريمة التالية من أعمال الهجرة والجهاد وتحمُّل الأذى في نصرة الرسالة والرسول ﷺ حيث تقول: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة آل عمران].

- ولقد شرَّف الله تعالى المرأة المسلمة فكان من علو مكانتها وفعاليتها في نصرة الرسالة والرسول ﷺ أنها تحملت الأذى الشديد والتعذيب والاضطهاد، وصبرت وتحملت ورفضت أن تترك عقيدتها وأن تتخلى عن دينها.

فهذه سُمَيَّة والدة عمار بن ياسر -رضي الله عنهم أجمعين- تستشهد تحت التعذيب وهي تأبى غير الإسلام ديناً، فكانت الشهيدة الأولى في الإسلام بين النساء والرجال.

حقيقة

لقد حازت المرأة المسلمة شرف نيل أول شهادة في سبيل الله تعالى في الإسلام.

قال ابن إسحاق: (وكانت بنو مخزوم يَخرجون بعمار بن ياسر، وبأبيه وأمه، وكانوا أهلَ بيت إسلام، إذا حَمِيت الظهيرة، يعذبونهم برَمْضاء مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول ...: «صبرًا آل ياسر، موعدكم الجنة». فأما أمه فقتلوها، وهي تأبَى إلا الإسلامَ.)[1]

وقال ابن سعد: (أول شهيد في الإسلام سمية والدة عمار بن ياسر، وكانت عجوزاً كبيرة ضعيفة، ولما قتل أبو جهل يوم بدر قال النبي ﷺ لعمار: «**قَتَلَ اللهُ قاتلَ أُمّك**»)[2].

- وقرَّر الإسلام للمرأة أن تعيش حياة طيبة في الدنيا مثل الرجل تماماً إذا عملت الصالحات، ولك أن تتصور ماذا تعني الحياة الطيبة بكافة مدلولاتها، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة النحل].

فأين هذا من الفهم السقيم لدى الذين يتهمون الإسلام بظلم المرأة؟! ألا إنهم هم الظالمون المفترون.

- وجدير بنا أن نَتَنَبَّه إلى عظمة التوجيه الإلهي بتكرار وصف أعمال النساء إلى جانب أعمال الرجال في القرآن الكريم لتأكيد التنافس بين الرجال والنساء في هذه الأعمال، وذلك للحصول على مقام المغفرة والأجر العظيم في الآخرة.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/٣١٩وما بعدها)

(٢) أخرجه ابن سعد في "طبقاته" [١٠/٢٥١]، وله عزاه ابن حجر في "الإصابة في تمييز الصحابة" [٤/١٠]، وقال: (بسند صحيح).

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأحزاب].

- هذا كله...لتأكيد وجود عاملَين رئيسَين مؤثرَين في بناء المجتمع، هما الرجال والنساء.
- والرجال والنساء متساوون عند الله تعالى في الجزاء على أعمالهم: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، من دون تمييز بين امرأة ورجل: قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [سورة الزلزلة].

حقوق المرأة (٣) حق المساواة الكاملة مع الرجال في التعلُّم والتعليم:

- **قال رسول الله ﷺ**: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1].وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة طه]، وهذا يشمل المرأة والرجل على حدٍّ سواء، لذلك قامت المرأة المسلمة تجتهد في طلب العلم مثل الرجال في عصر النبوة، وأقبَلَت على رسول الله ﷺ لتتعلم منه ما تحتاج إليه من أمور الدين والدنيا.

(١) أخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم (٢٢٤) [٣٩] وهو صحيح.

عن زينب زوجة عبد الله بن مسعود -رضي الله عنهما-قالت: قال رسول الله ﷺ: «تصدَّقْنَ -يا معشر النساء- ولو من حُلِيِّكنّ»، قالت: فرجعتُ إلى عبدِ الله، فقلتُ: إنكَ رَجُل خفيفُ ذاتِ اليدِ، وإنَّ رسولَ الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة، فأْته فاسْأَلْهُ، فإن كان ذلك يُجزِي عني، وإلا صَرفتُها إلى غيركم، فقال لي عبد الله: بل ائْتِيه أنتِ، قالت: فانطلقتُ، فإذا امرأة من الأنصار بباب رسولِ الله ﷺ، حاجتي حاجتُها، قالت: وكان رسولُ الله ﷺ قد أُلْقِيَتْ عليه المهابةُ، قالت: فخرج علينا بلال، فقلنا له: ائتِ رسولَ الله ﷺ فَأخْبِرْهُ أَن امرأَتين بالباب تسألانك: أتُجزيءُ الصدقة عنهما على أَزواجهما وعلى أَيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن.

قالت: فدخلَ بلال على رسولِ الله ﷺ، فسأله، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**من هما؟**» قال: امرأة من الأَنصار وزينب، **فقال رسولُ الله** ﷺ: «أيُّ الزيانب؟» قال: امرأةُ عبدِ الله، **فقال له رسولُ الله** ﷺ: «لهما أجران: أجرُ القرابة، وأجرُ الصدقة»(١).

● واجتهد النساء بطلب العلم، ونافسن الرجال على حضور مجالس العلم مع النبي ﷺ، وطلبن أن يخصِّص لهن أوقاتاً، **فعن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه: (جاءت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذَهَبَ الرجالُ بحَديثكَ، فاجعل لنا من نَفْسِكَ يوماً نأتيك فيه تُعلِّمنا مما عَلَّمَك الله، **فقال**: «اجْتَمعن في يوم كذا

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١٤٦٦) [٢٨]، ومسلم في "صحيحه" برقم (١٠٠٠) [٣٨٧] واللفظ لمسلم.

وكذا، في مكان كذا وكذا»، فاجتمعن، فأتاهُنَّ رسولُ الله ﷺ، فعلَّمهنَّ مما علمه الله، ثم **قال** :«ما مِنْكُنَّ امرأة تقدِّم بين يَدَيْها من ولدها ثلاثة إلا كان لها حجاباً من النار» فقالت امرأة مِنْهن: يا رسول الله، أوِ اثنين؟ قال: -فأعادتها مرتين-، ثم **قال**: «واثنين، واثنين، واثنين»)[1].

وكان رسول الله ﷺ يؤكد على حق المرأة بالخروج إلى المسجد للعبادة وطلب العلم، **فقال**: «لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد»[2].

وَحَظُّ المرأة من المساجد:

١- طلب العلم.

٢- التقرب إلى الله تعالى بالعبادات والطاعات.

٣- العمل في حقل الدعوة إلى الله تعالى.

فأين واجب الدعوة إلى الله تعالى، ولماذا نقصر فيه؟؟!!

فائدة

وهذا يعني أنه مع مرور الزمن يجب أن يتغير الإنسان الذي يحضر في المساجد للتربية والعبادة وطلب العلم، يجب أن يخرج بنتائج إيجابية فتترقى روحه وأخلاقه ويزداد علمه ومعرفته وخبراته، وتتحسن تبعاً لذلك ظروفه المادية والمعنوية، وينعكس ذلك في علاقاته الأسرية والاجتماعية نجاحاً وتألقاً...

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٧٣١٠) [١٣٩٤]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٦٣٣) [١٠٥٦]. واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (٤٤٢) [١٨٧].

وكان رسول الله ﷺ يحث النساء على حضور صلاة العيدين حتى يشهدن الخير ومن ذلك التعلم من النبي ﷺ.

عن أم عطية-رضي الله عنها- قالت: (كنا نُؤمَرُ أن نخرُجَ يوم العيد، حتى نُخْرِجَ البِكْرَ من خِدْرِهَا، حتى نُخْرِجَ الحُيَّضَ، فيكُنَّ خلف النّاس فيكبِّرن بتكبيرهم، ويدعون بدعائهم، يرجون بركةَ ذلك اليوم وطُهْرَتَهُ)[1]، أي: التطهر من الذنوب فيه.

حقيقة

وهكذا تشارك المرأة بفعاليات متعددة، ويذكر التاريخ النهضة التي صنعها رسول الله ﷺ في المجتمع العربي إذ نهض بالمرأة وأعطاها الثقة بنفسها وفجر طاقاتها ومواهبها...

فلم يكن للمرأة قبل عصر النبوة هذه الحالة المعرفية والعلمية في المجتمع، أما في عصر النبوة فقد نافست النساء الرجال في العلم والمعرفة، فكيف حصل هذا؟!!...

إنها رحمة النبي ﷺ بالمرأة التي رفعتها من حضيض التخلف إلى ذروة التأثير الفاعل في المجتمع...

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٧١) [١٩٣]، ومسلم برقم (٨٩٠) [٣٤٣]. واللفظ للبخاري.

حقيقة

والمشكلة التي نعاني منها اليوم في مجتمعاتنا أن بعض الناس يسعى إلى تقزيم دور المرأة في المجتمع فلا تعيش إلا بلغة الجسد، بينما يدفعها الإسلام إلى مكانة العالمة والمجاهدة والداعية والمهاجرة والمربية، وتكافح وتناضل في سبيل مبادئها وقيمها الرفيعة...لتكون صانعة الأجيال والمجتمعات...

- ويَذكر لنا التاريخ عن عالمات ومعلمات كان الملوك يحضرون دروسهن، ومنهن أم الدرداء الصغرى . هجيمة الوصابية . زوج أبي الدرداء رضي الله عنه[1]- التي كانت تُدرِّس في المسجد الأموي بدمشق، ويقال إن الخليفة عبد الملك بن مروان كان يحضر بعض مجالسها.

وحسبك أن ترجع إلى كتب التراجم والأعلام والطبقات لتشهد فيها عدداً كبيراً من العالمات في عدة اختصاصات كالفقه والحديث والتفسير والطب والشعر...

وكانت السيدة عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ أشهر عالمات زمانها. **يقول ابن قيم الجوزية:** (وكانت السيدة عائشة -رضي الله عنها- مقدَّمةً بالعلمِ في الفرائض والسُّنن والأحكام والحلال والحرام والتفسير. قال

(١) تزوج بها بعد وفاة رسول الله ﷺ، أما أمّ الدرداء الكبرى -واسمها خيرة بنت أبي حدرد- فهي زوج أبي الدرداء الأولى، تزوج بها في حياة النبي ﷺ. ينظر "الإصابة في تمييز الصحابة" [٦٢٩/٧].

عروة بن الزبير عنها: ما جالستُ أحداً قطُّ أعلم بقضاء ولا بحديث الجاهلية ولا أروى للشعر ولا أعلم بفريضة ولا طبٍّ من عائشة. وقال عطاء: كانت عائشة أعلم الناس وأفقه الناس[1]، وقد ألَّف الزركشي كتاباً سماه: "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة" [2].

وكان لمشاهير الأئمة ضمن قائمة شيوخهم عددٌ من الشيخات العالمات. كما روى العشرات من الرجال عن عائشة، وأم سلمة، وأسماء بنت عميس، وحفصة بنت عمر، وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهن أجمعين.

فبسبب جهلنا منعنا المرأة من التعلم، فأنتجنا جيلاً من الأمهات الجاهلات الأميَّات اللواتي أنتجن أجيالاً من الجاهلين المتخلفين، فأنتج ذلك الجيل مجتمعاً متخلفاً ضعيفاً؛ انهار أمام الهجمات المركزة والشرسة والحاقدة لأعدائنا المستعمرين على المستوى العلمي والعسكري والثقافي.

فائدة

إن المرأة الجاهلة لا تستطيع أن تبني جيلاً متعلماً مؤهلاً متميزاً، انظروا إلى الأسر التي فيها الأم الصالحة والمتعلمة والمربية الحكيمة والتي تتابع مهامها بمنتهى الدقة والإتقان، انظروا إلى تلك الأسر وإنجازاتها في أولادها...نجد بشكل عام إنجازات طيبة في إنتاج جيل متميز ناجح على عدة مستويات...

(١) هداية الحيارى لمحمد بن ابن أبي بكر ابن قيم الجوزية، (ص/١٨٧).

(٢) تحقيق سعيد الأفغاني- المطبعة الهاشمية بدمشق- عام ١٩٣٩م

حقوق المرأة (٤) حق المساواة الكاملة مع الرجال في التملك وحق التصرف بما تملك:

● ألغى رسول الله ﷺ العادات والتقاليد الجاهلية التي حَرَمَتِ المرأة من التملك، وقد أعطى الله تعالى المرأة هذا الحق، فقال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ... ﴿٣٢﴾﴾[سورة النساء].

فللمرأة الحق بالعمل وكسب الرزق إذا رغبت في ذلك من حيث المبدأ، وهناك تفاصيل يرجع إليها في كتب الفقه، ولها الحق بالاستقلالية الكاملة في شؤونها المالية عن وصاية الرجال.

● ومع أنها غير مكلَّفة بالإنفاق على أحد، إلا أن رسول الله ﷺ ربّى النساء على حب الإنفاق في سبيل الله كما ربى الرجال، والأمر منوط بإرادتها، ولا يستطيع أحد أن يُكرِهها على نفقة لا ترغب فيها، علماً أنها غير مكلفة بالإنفاق على نفسها أو زوجها أو أولادها أو أهلها.

وفي مجتمعاتنا المعاصرة هناك جاهلية تمارس ضد المرأة وننسبها ظلماً للإسلام وهو من ذلك براء، بل إن الإسلام يحارب هذه العادات الجاهلية ويقف في وجهها، لقد ألغى رسول الله ﷺ كل العادات والتقاليد الجاهلية التي حرمت المرأة من التملك والتصرف بما تملك ومكّنها النبي ﷺ من التصرف بأموالها بلا وصاية من أحد.

وهذا لا يمنع من التشاور والتشارك بالرأي مع الزوج أو الأب، والتفاهم لوضع الخطط والبرامج لتحقيق النجاح الأكبر، فكبار رجال الأعمال لهم مستشارون في عدة اختصاصات، والتشاور والتفاهم في الأسرة من أهم مبادئ النجاح.

● ولعلك تدرك قيمة المكانة التي أعطاها الإسلام للمرأة في المجتمع وقد أصبحت تنفق على زوجها وأطفالها الفقراء، وتتصدق من مالها الخاص دون وصاية من أحد!!

فكانت المرأة تعتق العبيد، وتتصدق في سبيل الله تعالى، وتنفق بالمعروف على أهلها...

عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: قلت: يا رسول الله، ألِيَ أجرٌ أن أُنفقَ على بني أبي سلمة؟ إنما هم بنيَّ؟! **فقال**: «أنفقي عليهم، فلك أجرُ ما أنفقت عليهم»[(١)].

وأعتقت السيدةُ عائشة -رضي الله عنها- بَريرةً[(٢)].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (شهدتُ الصلاةَ يوم الفطر مع رسولِ الله ﷺ وأبي بكر، وعمرَ، وعثمانَ، فكلهم يُصَلِّيها قبل الخُطبة، ثم يخطبُ بعدُ، فنزل نبيُّ الله ﷺ، فكأني أنظر إِليه حين يُجَلِّسُ الرجالَ بيده، ثم

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١٤٦٧) [٢٨٦].
(٢) والحديث عند البخاري برقم (٢٥٦٣) [٤٨٥]، ومسلم برقم (١٥٠٤) [٦١٠].

أقبَلَ يشُقُّهم، حتى أتى -ـ صفوف -النساءِ مع بلال، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ..... ﴿١٢﴾﴾ [سورة الممتحنة]، حتى فرغ من الآية كلّها، ثم قال حين فرغ: «**أنتُنَّ على ذلك؟**» وقالت امرأةٌ واحدةٌ، لم يُجِبْهُ غيرُها: نعم يا رسولَ الله، قال: «**فتصدقنَ**»، وبسط بلال ثوبَه، فجعلْنَ يُلقينَ الفَتَخَ[1] والخواتيمَ في ثوب بلال)[2].

حقيقة

وهكذا حرر رسول الله ﷺ المرأة من الظلم الذي نزل بها وأعطاها حقَّ التصرف فيما تملك، بيعاً، وشراءً، ووكالة، وكفالة، ووقفاً، ودِيناً، وصدقة، وتبرعاً، وإقراراً، وعقوداً...

ويشهد المؤرخ والباحث ول ديورانت بأن الإسلام أعطى المرأة حق التملك والتصرف بمالها من غير وصاية من زوجها فيقول: (وكان مركز المرأة المسلمة يمتاز عن مركز المرأة في بعض البلاد الأوربية من ناحية هامة، تلك هي أنها كانت حرة التصرف فيما تملك لا حق لزوجها أو لدائنيه في شيء من

(١) الفَتَخ: قال عبد الرزاق: هي الخواتيم العظام، وقال الأصمعي: هي الخواتيم التي لا فصوص لها.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٤٨٩٥) [٩٦٣]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٨٨٤) [٣٤١]، واللفظ للبخاري.

أملاكها. وكانت في داخل بيتها الأمين تغزل وتنسج، وتطرز، وتدير بيتها، وتعنى بأبنائها، وتمارس بعض الألعاب...) [1]

- **المرأة وحدود تصرفها بمال زوجها:**

وكذلك أعطى رسول الله ﷺ المرأة فوق ذلك حقّ التصرف ببعض مال زوجها من غير مفسدة أو مضرة. وذلك في الجوانب التالية:

١- فهي تنفق من مال زوجها على الفقراء:

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أنفقت المرأة من كَسْبِ زوجها عن غير أمره فله نصفُ أجره»[2]. وعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: **قال رسول الله** ﷺ: «إذا أنفقتِ المرأةُ من طعام بيتها –غيرَ مُفسدةٍ– كان لها أجرُها بما أنفقتْ، ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجرَ بعضٍ شيئاً»[3].

٢- وهي تنفق من مال زوجها على أولادها عند الضرورة:

قالت هند بنت عتبة –رضي الله عنها– للنبي ﷺ: «يا رسول الله إنَّ أبا سفيانَ رجلٌ شحيحٌ، لا يُعْطِيني من النفقة ما يكفيني وَيكفي وَلدي إلا ما

(١) قصة الحضارة، أحوال العهود الإسلامية ص/٤٥٧١.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٣٦٠) [١٠٦١].

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١٤٢٥) [٢٧٨]، ومسلم في "صحيحه" برقم (١٠٢٤) [٣٩٥] واللفظ لهما.

أخذتُ من ماله بغير علمه، فهل عليّ في ذلك من جُناح؟ **فقال رسول الله** ﷺ: «خُذِي من ماله ما يكفيك ويكفي بَنِيْكِ».(١)

وحسبك أن تشهد ما أعطى رسول الله ﷺ للمرأة من حقوق حتى أصبحَت قادرة على التصرف ببعض مال زوجها عند الضرورة من غير مفسدة، وهذا يحتاج منتهى النضج والحكمة من النساء، وأن يضعن الأشياء في مواضعها بدقة، ولا يعني هذا إطلاق يد النساء في جيوب أزواجهن يعثن فساداً، أو يتصرفن بالشهوات والأهواء بلا ميزان، وأيضاً هذا لا يمكن أن يتحقق لولا ثقة النبي ﷺ بعقل وحكمة تلك النسوة اللاتي أجازهن بالتصرف، وكلَّفهن رعاية بيت الزوج، وحمَّلهن المسؤولية عن ذلك.

إن إعطاء النبي ﷺ الإذن للنساء بالتصرف ببعض مال الزوج عند الضرورة من غير إذنه، يجب أن يفهم بمنتهى الدقة...

وهو إذن مرتبط بشروط؛ منها :

أولاً: وجود الضرورة الملحة، كأن يقصِّر الرجل في تقديم الطعام لأهله لدرجة وقوع الضرر، وهو قادر على الإنفاق ولكنه يبخل...

ومثل ذلك الحاجات الضرورية كاللباس والدواء وغيرهما...

ثانياً: إذا كان الرجل يقصر بسبب فقره وعدم توفر المال الكافي معه، فلا يصح التصرف بماله من دون إذنه، بل يجب التعاون معه والبحث عن مصادر إضافية لجلب المال، ولو أن تساعده زوجته...

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٢١١) [٤١٢]، ومسلم في "صحيحه" برقم (١٧١٤) [٧١٢]، واللفظ لمسلم.

ثالثاً: لا يجوز التصرف بمال الزوج من غير إذنه لشراء الكماليات، وهي التي يمكن الاستغناء عنها...

رابعاً: القاعدة والمبدأ في الإسلام ألا تتصرف المرأة بمال زوجها من غير إذنه، وأما الاستثناء بالتصرف فيكون عند الضرورة كما ذكرنا آنفاً...

حقوق المرأة (٥) وأعطى رسول الله ﷺ المرأة الحق بالعمل:

إذا احتاجت المرأة إلى العمل فإن الإسلام لا يمنعها من ذلك كمبدأ عام، وبخاصة عند وجود ضرورة ومصلحة للأسرة بالعمل..

فقد أذن رسول الله ﷺ لامرأة مطلَّقة في أثناء عدتها أن تعمل وتسعى على رزقها، وفتح لها السبيل أمام حياة متجددة بعد وفاة زوجها.

يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه: (طُلِّقَت خالتي، فأرادتْ أن تَجُدَّ نخلَها، فزجرها رجلٌ أن تخرجَ، فأتت النبيَّ ﷺ فقال: «**بلى، فجُدِّي نَخْلَكِ**[1]، **فَإِنَّكِ عسى أَن تَصَدَّقي أو تفعلي معروفاً**»)[2].

وهكذا أَذِن رسول الله ﷺ لهذه المرأة بالعمل في الزراعة، وأذن لرُفيدة أن تعمل ممرِّضة، ومعلوم أن السيدة خديجة كانت تعمل بالتجارة، وكانت زينب زوج النبي ﷺ تعمل بالخرز والدباغة.

(١) فجدي نخلك: أي اقطعي واجني ثمارها.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (١٤٨٣) [٦٠٠].

● ولم يشترط العلماء على المرأة والرجل في العمل إلا الأمانة والحفاظ على العفة والأخلاق، وأن لا يكون فيه فسادٌ كالاختلاط[1] غير الجاد والمنضبط الذي يؤدي إلى الحرام، وأن يكون العمل مباحاً شرعاً.

وخصُّوا المرأة بإضافات منها:

أن يكون العمل مناسباً لطبيعة جسمها، وألاّ يضر بمسؤولياتها الكبيرة في تربية الأولاد ورعاية أسرتها وبيتها، وأن يتمَّ ذلك بالاتفاق والتشاور مع الزوج أو الأب إن كانت عَزَبًا[2].

● ومن اللافت للنظر أن رسول الله ﷺ كان يأذن للنساء بالخروج للجهاد في معاركه الحربية، -كما ذكرنا- أنه أذِن لرفيدة بأن تعمل ممرضة، وعندما أصيب سعد بن معاذ رضي الله عنه أمر أن يُنقل إلى خيمتها لإسعافه، **فقال**: «اجعلوه في خيمة رُفيدة حتى أعوده من قريب»[3].

وكان رسول الله ﷺ يُقرع بين أزواجه إذا أراد الخروج للجهاد.

---

(١) **هل الاختلاط حلال أو حرام؟** والجواب: يمكن أن يكون حلالاً أو حراماً بحسب طبيعة هذا الاختلاط، فالاختلاط الذي تفرضه الضرورات، والقائم على الانضباط بآداب الإسلام، والمتسم بالجدية في الأدب والحشمة باللباس والكلام، وغض النظر، ومعرفة الإنسان ما له وما عليه ضمن حدود الشرع، بحيث لا تنتج عنه مفسدة ولا حرام في قول أو عمل، هو اختلاط جائز.. أما اختلاط بلا ضرورة مع الغرباء أو الأرحام، مع عدم الالتزام بالجدية والضوابط الشرعية فلا يصح...

(٢) عَزَبٌ:تطلق على الرجل أو المرأة إذا كانا غير متزوجين، ويُقال أيضاً امرأة عَزْبَاءُ.

(٣) سيرة ابن هشام [٢٣٩/٣].

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أَرادا أَنْ يَخْرُج سفراً أَقْرَعَ بيْنَ أَزْواجِهِ، فأيَّتُهُنَّ خرجَ سَهْمُهَا خرجَ بها معَهُ، فأقْرَعَ بيْنَنَا في غَزاةٍ غَزَاها، فخرجَ سهْمي، فخرجتُ معه -بعدَما أُنزِلَ الحِجابُ-)..... [1]

وعن أنس رضي الله عنه أن أم سليم -رضي الله عنها- اتخذت يوم حنين خنجراً، فكان معها، فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، هذه أمُّ سليم معها خنجر، **فقال لها رسول الله** ﷺ: «ما هذا الخنجر؟» قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرتُ به بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك، قالت: يا رسول الله، اقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك، **فقال رسول الله** ﷺ: «يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن»[2].

من بعدنا: أي من سوانا، انهزموا بك: أي انهزموا عنك...

والطلقاء: هم الذين أسلموا من أهل مكة يوم الفتح وكانوا سبب الانهزام في أول الأمر... وسُموا بذلك لأن النبي ﷺ منَّ عليهم وأطلقهم ، وكان في إسلامهم ضعف، فاعتقَدَت أم سليم -رضي الله عنها- أنهم منافقون، وأنهم استحقوا القتل بانهزامهم.

وعن الرُّبيِّع بنت مُعَوِّذٍ -رضي الله عنها- قالت: (كنا نغزو مع النبي ﷺ فنسقي القوم ونخدُمهم ونردُّ الجرحى والقتلى إلى المدينة)[3].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٦٦١) [٥٠٤]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٧٧٠) [١١١٢]، واللفظ للبخاري.
(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (١٨٠٩) [٧٥٥].
(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٨٨٣) [٥٥٤].

وبشَّر رسول الله ﷺ أمَّ حرام بنة ملحان بأنها ستغزو وتجاهد في أول المعارك الحربية البحرية، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (دخل رسول الله ﷺ على ابنة مِلحان فاتَّكأ عندها، ثم ضحك، فقالت: لِمَ تضحك يا رسول الله؟ **قال**: «ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مَثَلُهم مثلُ الملوك على الأسِرَّةِ»، فقالت: يا رسولَ الله، ادعُ الله أن يجعلَني منهم، **قال**: «اللهم اجعلها منهم»، ثم عاد فضحك، فقالت له مثلَ أو مِمَّ ذلك؟ فقال لها مثل ذلك، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، **قال**: «أنتِ من الأولين، ولستِ من الآخِرين»، قال أنس رضي الله عنه: فتزوَّجَت عبادةَ بنَ الصامت، فركبَت البحرَ مع بنت قَرظة، فلما قفَلَت ركبت دابتها، فوَقَصَتْ[1] بها، فسقطت عنها فماتت)[2].

وربما تعرضت المرأة للأَسْر أثناء وجودها في الجهاد، وهذا ما حصل مع زوجة أبي ذر –رضي الله عنهما–.

يقول عمران بن حُصَيْنٍ: (...وأُسِرَت امْرأةٌ من الأنصار، وأُصيبت العضباءُ[3]، فكانت المرأَة في الوثَاقِ، وكان القومُ يُريحونَ نَعَمَهم بين يدَيْ بُيوتِهم، فانفلتت ذَات ليلةٍ من الوَثاقِ، فأتتِ الإبلَ، فجعَلتْ إذا دَنت من

(١) فوقصت بها: أي كسرت عنقها.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٨٧٧) [٥٥٣].

(٣) العضباء: ناقة النبي ﷺ.

البعير رَغا، فَتَتركُهُ حتى تنتهيَ إلى العَضباءِ، فلم تَرْغُ، قال: وهي ناَقةٌ مُنوَّقَةٌ[1]، فقعدتُ في عَجُزها، ثم زَجَرْتُها فانطلقتْ ونَذِرُوا بها[2]، فَطلبوها، فأعجَزتهم، قال: ونَذرتْ لله إنْ نجَّاها الله عليها لتنْحرنَّها، فلما قَدِمَت المدينةَ رآها الناسُ، فقالوا: العَضْباءُ، ناقةُ رسولِ الله ﷺ، فقالت: إنها نذَرَت إن نجاها الله عليها أن تنحرها، فأتوْا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له، **فقال**: «سبحان الله!! بِئْسَما جَزَتْهَا، نذَرَت لله إن نَجَّاها الله عليها لتَنْحرنَّها؟ لا وَفاءَ لِنَذْرٍ في معصيةٍ، ولا فيما لا يملك العبدُ») [3].

سؤال

فأين بعض نساء عصرنا المتحللات من القيم العظمى للمرأة المسلمة المجاهدة، والتي تمتلك الشجاعة أن تحرر نفسها من قبضة جلاديها وآسريها؟!.. أين هنَّ من مجاهدات البحرية....طالبات الشهادة عاشقات الموت في سبيل الله؟!!...

هذه بعض الحقوق في المساواة مع الرجال التي قرَّرها رسول الله ﷺ بشريعته السمحة للمرأة.

- كما أن المرأة أصبحت تتحمل المسؤولية عن أعمالها مثل الرجال سواء بسواء، في بيعها وشرائها وإقرارها وعقودها وجناياتها.

– فإن سرقت وقع عليها حدُّ السرقة.

(١) ناقة منوقة: أي مذللة مدربة.

(٢) ونذروا بها: أي علموا بها.

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (١٦٤١) [٦٧٣].

- وإن زنت وقع عليها حدُّ الزنى.
- وإن شربت الخمر وقع عليها حدُّ شرب الخمر.
- وإذا ارتدَّت عن الإسلام وقع عليها حدُّ الردة عن الإسلام.
- وإذا قتلت وقع عليها حدُّ القتل...

كلُّ ذلك بشروطه؛ كما ورد في كتب الفقه.

ثانياً: النبي ﷺ يُعلي من مكانة المرأة ويرفع من شأنها:

كان رسول الله ﷺ يعلي من مكانة المرأة وذلك من خلال المواقف التالية:

مكانة المرأة (١) كان يشاور النساء ويستمع لمشورتهن حتى في الأمور السياسية:

فرسول الله يعلي من مكانة المرأة في المجتمع ويشاورها، بعد أن كان الرجل في المجتمع الجاهلي، يتوارى من القوم إذا ولدت زوجته فتاة.. فهذه المرأة أصبحت لها مكانةٌ ودورٌ في المجتمع الإسلامي، مكانة سياسية ومجتمعية، وأصبح القائد الأعلى للدولة يشاورها...

وهذا ما فعله -عليه الصلاة والسلام- بعد صلح الحديبية مع أم سلمة زوجته -رضي الله عنها-[1]:

فقد خرج رسول الله ﷺ قاصداً مكة لأداء العمرة مع أصحابه في السنة السادسة للهجرة، ولما بلغ قريشاً نبأ قدومه ﷺ أصرت على منعه من دخول مكة، وأرسلت له سهيل بن عمرو لمفاوضته على صلح كان من جملة بنوده:

(١) هند بنت أمية -رضي الله عنها-.

- وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكفُّ بعضهم عن بعض.
- على أنه من أتى محمداً ﷺ من قريش -مسلماً- بغير إذن وليه ردَّه إليهم.
- ومن جاء قريشاً ممن مع محمد ﷺ -مرتداً عن الإسلام- لم يردُّوه إليه.

وغضب الصحابة من هذه الشروط المجحِفة، وقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستشيط غضباً، فأتى أبا بكر رضي الله عنه، فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى قال: فعلامَ نعطي الدنيَّة[1] في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر، الزَم غَرزَهُ[2]، فإني أشهد أنه رسول الله. قال عمر رضي الله عنه: وأنا أشهد أنه رسول الله.

ثم أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ألست برسول الله؟ **قال**: «بلى»، قال: أولسنا بالمسلمين؟ **قال**: «بلى»، قال: أوليسوا بالمشركين؟ **قال**: «بلى»، قال: فعلام نعطي الدنيَّة في ديننا؟ **قال**: «أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني»، قال: فكان عمر يقول: ما زلتُ أتصدق وأصوم وأصلِّي وأعتق من الذي صنعت يومئذٍ مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً[3].

فائدة

هكذا ديننا، وهكذا شرعنا ..

تعاملٌ حكيم، واحترام للعقل والرأي، ليس فيه : (لا تعترض فتنطرد)، بل فيه استيعاب للناس على قدر عقولهم وأفهامهم، ممزوج ذلك بالرحمة واللين والعفو والدعاء لهم بالمغفرة

(١) نعطي الدنية: أي نعطي النقيصة والحالة الناقصة .

(٢) الزم غرزه: أي الزم أمره.

(٣) سيرة ابن هشام، صلح الحديبية [٣٠٧/٣].

يقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

إذاً (**لا تعترض فتنطرد**) هذه قاعدة مخالفة للسنة النبوية الشريفة المطهرة، المنطق الشرعي والتربوي يقول للقائد والمعلم والمربي: إن عليك واجبَ استيعاب الأتباع ومخاطبتهم على قدر عقولهم كما فعل رسول الله ﷺ، لم يتكلم مع عمر وهو مقطب الحاجبين، ولم يغضب من تصرفه ويحقد عليه، ولم يقم بطرده، بل استوعبه بكل لطف ورحمة...وقال له: «أنا عبد الله، ولن أخالف أمره، ولن يضيعني..».

فمن منا في مقام الرسول وهو الذي يوحى إليه؟!!...ومع كل ذلك استقبل النبي ﷺ غضب عمر واعتراضه باللطف والتواضع والكلمة الطيبة وبالأسلوب الإيجابي...

وعن **المِسْوَر بن مَخْرَمَة**: قال: فلما فرغ من قضية الكتاب –المعاهدة– قال **رسول الله** ﷺ لأصحابه: «**قُوموا فانحروا، ثم احْلِقوا**»، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلمَّا لم يَقُمْ منهم أحد دخل على أُمِّ سَلَمَةَ –رضي الله عنها–، فذكر لها ما لَقيَ من الناس، قالتْ أُمُّ سلمةَ: يا نبيَّ الله، أَتُحِبُّ ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلِّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَكَ، وتدعو حَالِقَكَ فيحلقك. فخرج فلم يكلِّم أحداً منهم حتى فعل

ذلك، نحرَ بُدْنَه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يَحْلِقُ بعضاً، حتى كادَ بعضُهم يقتُلُ بعضاً غمّاً)[1].

وهنا أقف وقفة مع تعامل رسول الله ﷺ مع هذه الأحداث !!.

كيف تعامل مع التمرد والمخالفة؟!!. لقد أمرهم أن ينحروا ويحلقوا رؤوسهم فلم يستجيبوا !! ...

حكمة

لقد تعامل مع المخالفة بالصمت!!، وأحياناً يكون الصمت والحلم أبلغ الحكمة!!.

والملاحظ في الموقفين أن النبي ﷺ لم يواجههما ويقابلهما بأسلوب سلبي، بل بأسلوب إيجابي؛ لأنه ﷺ يتعامل مع محبِّين، مع أناس عشقوا الرسالة والرسول، وفدَوه بأموالهم وأنفسهم وأهليهم، ومعالجة الأمور مع المحبين تختلف عن معالجتها مع الأعداء الحاقدين.

وهكذا أطفأ الله تعالى نار فتنة لا يستطيع أحدٌ أن يقدِّر نتائجها!!.. ببركة رأي حكيم ومشورة سديدة لأم سلمة، زوجة النبي ﷺ، وبها أنقذ الله المسلمين من الوقوع في معصية الرسول ﷺ، فتأمَّل عِظَمَ المكانة التي أوصل رسول الله ﷺ إليها المرأة، فأصبحت تشارك برشاد رأيها وصواب عقلها وعمق تفكيرها في حلِّ معضلات سياسية تجتاح الأمة في أدق مراحل تكوينها.

(١) ينظر الحديث بطوله عند البخاري برقم (٢٧٣١)[٥٢٢]

مكانة المرأة (٢) وكان رسول الله ﷺ يبايع النساء كما يبايع الرجال على شروط يحدِّدها لهن:

قالت أم عطية: (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جمع نساء الأنصار في بيت، ثم بعث إليهن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قام على الباب فسلم، فَرَدَدْنَ عليه السلام، فقال: أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكن، قلنا: مرحباً برسولِ الله وبرسوله، قال: تُبايعنَ على ألاّ تُشركن بالله شيئاً، ولا تسرقن، ولا تزنين، ولا تقتُلن أولادكن، ولا تأتين ببهتان تَفتَرينه بين أيدِيكُن وأرجُلِكُن، ولا تعصينَ في معروف؟ قلنا: نعم، فمددنَ أيديهنَّ من داخلٍ، ومد يده من خارج البيت، ثم **قال:** «اللهم اشهد»[1].

وهكذا كان للنساء دور مجتمعيٌّ وسياسيٌّ تبناه رسول الله ﷺ بنفسه.

مكانة المرأة (٣) وكان رسول الله ﷺ يُجير مَن أجارته المرأة كما يجير من أجاره الرجل المسلم:

عن أم هانئ بنت أبي طالب -رضي الله عنها- قالت: ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ عامَ الفتح، فوجدتُه يَغْتَسِلُ، وفاطمةُ ابنتُه تَسْتُرُهُ، فسلَّمتُ عليه، **فقال:** «مَنْ هذه؟» فقلتُ: أنا أمُّ هانئ بنْت أبي طالب، فقال: «مَرْحباً بأُمِّ هانئٍ»، فلما فرغ من غُسْلِهِ قام فصلَّى ثمانِي ركعات مُلْتَحِفاً في ثوبٍ واحدٍ، قُلْتُ: يا رسول الله، زَعَمَ ابن أمي عليٌّ أنه قاتِلٌ رجلاً قد أجَرْتُهُ

(١) رواه أحمد في مسنده برقم (٢٧٣٠٩) [٤٥/٢٨٨] وهو صحيح.

-فلان بن هُبَيْرة- **فقالَ رَسُولُ الله** ﷺ: «قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ» قالت أمّ هانئ: وذلك ضحىً[1].

يا الله!! ما أعظم هذه المكانة التي رفع رسول الله ﷺ المرأة إليها!!! كيف كانت في عصر الجاهلية؟! وكيف أصبحت في عصر الإسلام ؟!

إنها نقلة من عصرٍ كان الرجال يوارون وجوههم من قومهم إذا وُلدت لهم الأنثى، إلى عصر أصبحت المرأة فيه ذات مكانة رفيعة؛ حتى أنها تستطيع أن تفرض على المجتمع الإسلامي حمايتها لإنسان ليس على دين قومها، وهو مطلوب للقتل! وذلك بعد موافقة القائد العام. نعم: «**قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ**».

مكانة المرأة (٤) **وكان رسول الله ﷺ يأمر الرجل بالخروج مع زوجته لتؤدي فريضة الحج ولو احتاج الأمر أن يترك الخروج للجهاد.**

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال النبي ﷺ: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي مَحْرَم ولا يدخل عليها رجلٌ إلا ومعها محرم» فقال رجلٌ: يا رسول الله، إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا وامرأتي تريد الحجَّ! **فقال** ﷺ: «اخرجْ معها»[2].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٣١٧١) [٦٠٨]، ومسلم في " صحيحه " برقم (٣٣٦) [١٥٢]، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١٨٦٢) [٣٥٤].

وفي هذا إشارة واضحة لحقِّ الزوجة على زوجها، وأهمية الاهتمام بشؤون المرأة لأداة فريضتها، ومساعدتها وتيسير ذلك عليها، وتأكيد على أهمية ألاّ تسافر المرأة إلا مع ذي مَحْرم..

مكانة المرأة (٥) وكان رسول الله ﷺ يُحذِّرُ من تضييع حق المرأة:

فيقول: «اللهم إني أُحَرِّجُ حَقَّ الضعيفين اليتيم والمرأة»[(١)].

تحذير

وحريٌ بالآباء والإخوة الذكور الذين يأكلون حقوق النساء في الميراث أن ينتبهوا لهذا التحذير، وأن يبادروا لإعادة الحقوق إليهن، وإلا فإنهم بذلك يرتكبون إثمًا ويأكلون حراماً.

مكانة المرأة (٦) وكان رسول الله ﷺ يحثُّ على السعي على الأرملة ومساعدتها، بسبب ضعفها الناجم عن فقدانها لزوجها:

فيقول: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائمِ الليلَ الصائمِ النهارَ»[(٢)].

فائدة

والعجيب! كم يعتني بعضنا بما تعوَّد عليه من صلاة وقيام، وينسى هذه النظرة الإنسانية العميقة عند رسول الله ﷺ، من خلال إحساسه بالإنسان الضعيف وتذوقه مرارة حاجته!!

(١) أخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم (٣٦٧٨) [٣٩٥] وهو حسن.
(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٣٥٣) [١٠٥٩].

لقد جعل النبي ﷺ الذي يسرع في تلبية حاجة الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله تعالى، فتأمل.

مكانة المرأة (٧) وكان رسول الله ﷺ يدعو للرفق بالنساء:

فقد روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ارفق يا أنجشة ويْحكَ بالقوارير»[(١)]، فرسول الله ﷺ يَحثُّ أنجشةَ أن يخفف سرعته في قيادة الإبل التي تركبها النساء رفقاً بهن!!

انظر إلى هذا الإحساس المرهف بالآخر الذي يتميَّز به رسول الله ﷺ، إنه يتذوق معاناة وآلام الناس، فيسعى لمساعدتهم ورفع معاناتهم!

أين نحن في سلوكنا اليومي من هذا؟؟!!

تنبيه

أين شعورنا بمعاناة الآخر؟؟!!
كثير منا لا يهمّه إلا نفسه وكفى، أما احتياجات الآخرين فليست من شأنه ولا من اهتماماته.

ثم انظر إلى هذه الكناية اللطيفة التي استعملها رسول الله ﷺ للتعبير عن حال المرأة من الرهافة والرقة!! حيث قال: (رفقاً بالقوارير).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٦٢١٠) [١١٩٥]، ومسلم في صحيحه" برقم (٢٣٢٣) [٩٤٩]، واللفظ للبخاري.

مكانة المرأة (٨) **وكان رسول الله ﷺ يعلن أنه قد حُبب إليه النساء، وبذلك يلفت نظر المسلمين إلى العناية بهنَّ وتكريمهنَّ وإعلاء شأنهنَّ:**

روى أنس رضي الله عنه **أن النبي ﷺ قال:** «حُبِّب إليَّ النساءُ والطِّيْبُ، وجُعِلَت قرةُ عيني في الصلاة»[1].

فائدة

هل هذا حب شهواني أم حب رحماني؟؟!! حب الرحمة والعطف والنصرة. لو كان حباً شهوانياً لما جُمع مع حبه ﷺ للصلاة، فلا تجتمع الشهوانية مع نورانية العبادة وروحانيتها...

إنه يلفِتُ انتباه المجتمع إلى هذه المرأة التي ظُلِمت وقُهِرت وأُهينت، وهذه دعوة منه ﷺ لرعايتها وإعطائها حقوقها وحمايتها واحترامها.

علماً بأن رسول الله ﷺ هو إنسان وبشر كباقي البشر، يجوع، ويشبع، وينام، ويتعب، ويتزوج، وينجِب الأولاد، ولكنه كان ربانياً راقياً روحياً وإنسانياً، وكان يوحى إليه من الله تعالى، إنه صاحب رسالة ربانية المصدر، إنسانية التوجه.

إنه حبٌّ تستحقُّه صانعة الإنسان والمجتمع التي تلد الأولياء والعباقرة والقادة العظماء، وتكريمٌ للمرأة ليس بعده تكريم من الرحمة المهداة رسول الله ﷺ الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين.

---

(١) أخرجه النسائي في "سننه الكبرى" برقم (٨٨٣٣) [١٤٩/٨] وهو صحيح.

مكانة المرأة (٩) وكان رسول الله ﷺ يؤيد المرأة في الدفاع عن حقوقها:

حقيقة

ومن المدهش أن يكرِّم رسول الله ﷺ المرأة إلى درجة يسمح لها أن تناقشه بإلحاح، وتجادله في حقوقها التي هدَرَهَا زوجها، فيحلم عليها، ويوسع صدره لمسألتها، ويستوعب انتفاضتها، والله تعالى يستمع لشكواها، وينتصر لحقها، وينزل في نصرتها آيات تتلى إلى يوم القيامة في كتابه العزيز..

إنها خولة بنت ثعلبة -رضي الله عنها- وذلك أن أوساً زوجَها كان شيخاً كبيراً قد ساء خُلُقه، فدخل عليها يوماً فراجعته بشيء فغضب فقال: (أنت عليَّ كظهر أمي)، وكان الرجل في الجاهلية إذا قال ذلك لامرأته حَرُمت عليه_ وكان هذا أول ظهار في الإسلام_ فندم من ساعته، فدعاها فأبَت، وقالت: والذي نفس خولة بيده لا تصل إليّ -وقد قلتَ ما قلتَ- حتى يحكم الله تعالى ورسوله ﷺ فينا، فأتَت رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن أوساً تزوجني، وأنا شابة مرغوب فيّ، فلما خلا سني، ونثرت بطني -كثر ولدي-، جعلني عليه كأمِّه، وتركني إلى غير أحد، فإن كنت تجد لي رخصة يا رسول الله تنعشني بها وإياه، فحدثني بها.

فقال ﷺ: «ما أمرت في شأنك بشيء حتى الآن» -وفي رواية: «ما أراك إلا قد حَرُمت عليه»-.

قالت: ما ذَكَرَ طلاقاً، وجادلت رسول الله ﷺ مراراً، ثم قالت: اللهمَّ إني أشكو إليك شدة وحدتي وما يشقُّ عليّ من فِراقه، وفي روايةٍ قالت: أشكو إلى الله تعالى فاقتي وشدة حالي – وإن لي صبية صغاراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليَّ جاعوا–، وجعَلَت ترفع رأسها إلى السماء، وتقول: اللهم إني أشكو إليك، اللهم فأنزل على لسان نبيك ﷺ.

وما بَرحَت حتى نزل القرآن الكريم فيها، فقال **رسول الله** ﷺ: «يا خَوْلَةُ، أبشري»، قالت: خيراً، فقرأ ﷺ عليها: ﴿**قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١**﴾ [سورة المجادلة] الآية[1].

هذه قصة عظيمة المعاني والمدلولات والدروس المستفادة، نذكر منها:

أولاً: على الزوجة أن تحذر من استفزاز زوجها وإغضابه، لأن ذلك يؤثر على محبته لها ويوغر صدره تجاهها، ويمكن عند الغضب الشديد أن يتصرف بشكل خاطئ كما فعل أوس بن الصامت، وعلى النقيض من ذلك فإن حسن خلق الزوجة وتحببها إلى زوجها بالكلمة الطيبة والوجه البشوش الطلق، يفتح مغاليق قلب الزوج ويزيده حباً وارتباطاً بزوجته بل يصبح قلبه أسيراً لها..

ثانياً: يجب أن يكون الناظم الذي يحكم علاقة الزوجين هو شرع الله، وعلى الأزواج التمسك بأحكام الشرع وأن يرجعوا إلى أهل المعرفة والعلم

(١) تفسير الآلوسي [٣/٢٨].

ليسألوهم عن أحكام الشرع بكل مشكلة تواجههم، كما فعلت خولة بنت ثعلبة عندما أبت أن تلبي طلب زوجها بقربها بعد أن ظاهرها حتى تسأل رسول الله ﷺ عن حكم الإسلام في موضوعها.

ثالثاً: يجب على الزوج ألاّ يستعجل فيتكلم بكلام يندم عليه، وكما قالوا: إياك وما يُعتذر منه.

رابعاً: يجب على الزوج أن يراعي حقوق زوجته، وتضحيتها معه، وتحملها لمشقات الحياة في زواجها، وعليه أن لا ينسى ما قدمته له في شبابها، وألاّ يكون أنانياً فيتخلى عنها في شيخوختها، وينسى صحبة العمر، ويتسبب في تشرد الأولاد وما يترتب على ذلك من ويلات وأخطاء وعداوات..

خامساً: إن من حق المرأة أن تدافع عن حقوقها المشروعة، وقد أيدها الإسلام في ذلك، وانتصر الله تعالى ورسوله لها، وتم دفع ما لحق بها من ظلمٍ كما حصل مع خولة بنت ثعلبة.

فما أروع الإسلام وما أعظمه !!.. وما أشدّ جهلنا به وبسبل السعادة التي هيأها لنا...

وقد أخرج البخاري في "تاريخه" أنها -أي المجادِلة- استوقفت عمر يوماً، فأغلظت له القول، فقال رجل: يا أمير المؤمنين ما رأيتُ كاليوم شدَّة امرأةٍ على رجلٍ، ولا استماعَ رجلٍ لامرأةٍ. فقال ﷺ: ويحكَ وما يمنعني أن أستمع إليها، وهي التي استمع الله لها، فأنزل فيها ما أنزل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ..﴾ [سورة المجادلة] الآيات. فما أحقّني بأن أستمع لمن استمع الله له)[1].

(١) "التاريخ الكبير" للبخاري برقم (١٠٤٧) [٢٤٥/٧].

ما رأيك؟! بعد كل هذه القوة والمكانة الرفيعة التي حازتها المرأة في الإسلام حتى باتت تمتلك القدرة على مناقشة ومجادلة الأنبياء في حقوقها!!.. ويُنزل الله بقصتها آيات في القرآن الكريم تتلى إلى يوم القيامة ويتعبد المسلمون ربهم عز وجل بتلاوتها في صلاتهم، نعم؛ بعد كل هذا الذي أعطاه الله ورسوله للمرأة من مكانة ورفعة، نستمع إلى أصوات نشاز، ذات مرض وغرض، تتحدث عن ظلم المرأة في الإسلام!! وللقارئ أن يحكم على هذه الافتراءات.

مكانة المرأة (١٠) كان ﷺ يوصي بالنساء خيراً:

وكان من آخر وصاياه ﷺ قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى وصيته لأمَّته بالاهتمام بشأن المرأة وتكريمها وحمايتها، وكان مما **قال في خطبة الوداع**: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً»، ثم **قال** ﷺ: «ألا إن لكم على النساء حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً»(١)، والله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ... ﴿٢٢٨﴾﴾[سورة البقرة].

ويقول النبي ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنُهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خُلُقاً»(٢).

وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»(٣).

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (١١٦٣) [٢٠٦]، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٢) من حديث الترمذي في " سننه " برقم (١١٦٢) [٢٠٦]، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٣) أخرجه الترمذي في"سننه" برقم (٣٨٩٥) [٦٠١]، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وهكذا رفع رسول الله ﷺ من مكانة المرأة، وكان رحيماً بها، وأعطاها حقوقها التي تليق بمكانتها بصفتها صانعةَ للأجيال.

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما أرحمك بالنساء، بل ما أرحمك بكل المخلوقات...، كيف لا وأنت الرحمة المهداة...؟!

صلى الله عليك وآلك وصحبك، عدد خلقه وزنة عرشه، ومداد كلماته، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

* * *

ب. رحمته ﷺ وتكريمه للأمهات

جوانب رحمته ﷺ وتكريمه للأمهات:

١- تقديم الأم في البر.

٢- الهلاك للعاقين.

٣- السعادة للبارين.

٤- بر الأمهات مقدم على الجهاد.

٥- بر الأمهات مقدم على الهجرة.

٦- إشفاقه ﷺ على الأمهات.

٧- أمره ﷺ بالإحسان إلى الأم ولو كانت كافرة.

٨- كان ﷺ يكرم الأمهات من الرضاع وكذلك الحواضن.

٩- ومن رحمته ﷺ أنه كان يشعر بمعاناة أم الأيتام.

١٠- وكان ﷺ يبين فضل أمهات الأيتام المتفرغات لرعاية أيتامهن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تتناسب رحمة النبي ﷺ وتكريمه للأمهات مع المكانة الفائقة التي أولاها الله تعالى للوالدين؛ حيث قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الإسراء]

ولا شك أن وظيفة الأمومة في المجتمع هي من أعظم ما عرفته البشرية مكانة وأهمية، ولا يتقدم عليها شيء إلا وظيفة الأنبياء...

وتتجلى جوانب رحمته ﷺ وتكريمه للأمهات في النقاط العشر التالية:

رحمته بالأمهات (١) تقديم الأمّ في البِّر:

أولى رسولُ الله ﷺ بِرّ الوالدين -بشكل عام- وبِرَّ الأمِّ -بشكل خاص- اهتماماً عظيماً، فللأم مكانة خاصة رفيعة عند رسول الله ﷺ، وحقوق الأم عنده أولاً وقبل حقوق الأب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مَنْ أحَقُّ الناس بِحُسْن صَحابتي؟ **قال**: «أُمُّك»، قال: ثم مَنْ؟ **قال**: «أُمُّك»، قال: ثم مَنْ؟ **قال**: «أُمُّك»، قال: ثم مَنْ؟ **قال**: «أبُوك»[(١)].

هكذا كان جواب رسول الله ﷺ سريعاً موجزاً حاسماً، وبكلمة واحدة ليعبِّر عن جلال الأم وقدرها عنده.

وفي حديث آخر يوسع رسول الله ﷺ وصيته لتشمل الأمهات، ثم الآباء، ثم الأقربين:

يقول النبي ﷺ: « إن الله يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب »[(٢)].

ولعلك تدرك أهمية مكانة الأم عند رسول الله ﷺ من هذا التأكيد بالوصية بها مكرراً ذلك ثلاثاً، ثم لينتقل إلى الوصية بالأب من دون أن يكرر الوصية به كما كان الحال عند ذكر الأم.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٩٧١) [١١٥٨]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٥٤٨) [١٠٢٩]، واللفظ للبخاري.

(٢) صحيح الأدب المفرد للبخاري برقم(٦٠/٤٤) [ص/٥٢] وهو صحيح.

حقيقة

كلّ ذلك للفتِ انتباه الناس إلى مكانة الأم في الأسرة والمجتمع، فعلى جهودها وجهادها في تربية الأولاد يتوقف مستقبل الأمة، إنها صانعة الإنسان والمجتمع.

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددتها أعددت شعباً طيبَ الأعراقِ
الأمُّ أستاذ الأساتذة الألى شغلت مآثرهم مدى الآفاق[1]

ولأجل المخاطر والآلام والمعاناة التي تتعرض لها حياتها أثناء الحمل والولادة والرضاع والسهر والرعاية والتربية حتى يقف هذا الإنسان على قدميه قوياً قادراً شامخاً، أولاها النبي ﷺ رَحْمَتَه وتكريمه باعتبارها آية كونية تستمر من خلالها الحياة؛ ولذلك جعل الله تعالى الإحسان إليها وإلى الأب مقروناً بعبادته وتوحيده -جل وعلا- كما تقدم في الآية.

رحمته بالأمهات (٢) الهلاك للعاقِّين:

جعل رسول الله ﷺ التقصير في أداء حقوق الأم والأب وعقوقهما مقروناً بالشرك بالله تعالى، ومن أكبر الكبائر.

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: (كُنَّا عند رسول الله ﷺ، **فقال**: «ألا أُنبِّئكم بأكبرِ الكبائرِ؟-ثلاثاً-الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين، وشهادةُ الزور، أو

(١) انظر ديوان حافظ إبراهيم (٢٨٢/١) .

قولُ الزور»، وكان رسول الله ﷺ متَّكئاً فجلس، فما زال يكرّرُها حتى قلنا: ليته سكتَ»[1].

وفي رواية أخرى عن أنس ﷺ قال: سئل النبيُّ ﷺ عن الكبائر، قال: «**الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين، وقتلُ النفس، وشهادة الزّور**»[2].

وأخبر رسول الله ﷺ أن العاق لوالديه تقع عليه عقوبتان:

الأولى: أن الله تعالى لا ينظر إليه يوم القيامة، أي: لا يرحمه بل يعذبه.

والثانية: أن الله تعالى لا يُدخله الجنة.

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ الله ﷺ: « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاقُّ لوالديه، والمرأة المترجِّلة، والدَّيُّوثُ[3]، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنَّان بما أعطى»[4].

بل إن رسول الله ﷺ يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء أن يُذلَّ العاق...

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٦٥٤) [٥٠٣]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٨٧) [٦٣]. واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٦٥٣) [٥٠٣]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٨٨) [٦٣]، واللفظ للبخاري.

(٣) الديوث هو: هو الذي لا يغار على أهله.

(٤) أحمد في "مسنده" برقم (٥٣٧٢) [٢٧٢/٥]، والنسائي في "سننه الكبرى" برقم (٢٣٥٤) [٦٣/٣]، واللفظ له، وهو حسن صحيح.

يقول النبي ﷺ: «رَغِمَ أنْفُ[1] ثم رَغِمَ أنْفُ ثم رَغِمَ أنْفُ»، قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: «من أدرك أبويه عند الكبر أحدَهما أو كليهما فلم يدخل الجنة»[2].

ويقول النبي ﷺ: «إن الله حرَّم عليكم عقوقَ الأمهات، ومنعاً[3] وهاتِ[4]، ووأدَ البناتِ، وكره لكم قيلَ وقالَ[5]، وكثرةَ السؤالِ، وإضاعةَ المالِ»[6].

رحمته بالأمهات (٣) السعادة للبارِّين:

وبالمقابل: أكَّد رسول الله ﷺ أن الإحسان للوالدين وطاعتهما بالمعروف وبرَّهما من أحبِّ الأعمال التي يَتقرَّب بها العبد إلى ربه عز وجل.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «ثم بِرُّ الوالدين»، قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»[7].

---

(١) قال في "اللسان" [٢٤٥/١٢] مادة (رغم): ذلَّ عن كُرْهٍ وأرغَمَه الذُّلُّ.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (٢٥٥١) [١٠٣١].

(٣) منعاً: أي منع ما يتوجب عليكم من الحقوق كالزكاة.

(٤) وهات: طلب ما ليس لكم فيه حق.

(٥) قيل وقال: نقل كلام الناس بدون توثق من صحته، **يقول النبي** ﷺ:«كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع».

(٦) أخرجه البخاري في " صحيحه" برقم (٥٩٧٥) [١١٥٩]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٥٩٣) [٧١٢] واللفظ لمسلم.

(٧) البخاري في "صحيحه" برقم (٥٩٧٠) [١١٥٨]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٨٥) [٦٢]، واللفظ للبخاري.

ويعلِّمنا رسول الله ﷺ بأسلوب القصة -لما لها من تأثير في فن التربية والتعليم-، فيروي لنا قصة ثلاثة رجال وقعوا في الهلاك، وأنجاهم الله تعالى من الهلاك ببركة أعمال صالحة، وكان منها بِرُّ الوالدين.

يقول النبي ﷺ: «انطلقَ ثلاثةُ رهطٍ ممَّن كان قبلكم، حتى آوَوْا المبيتَ إلى غار، فدخلوه، فانحدرتْ صَخرَة من الجبل، فسَدَّت عليهم الغارَ، فقالوا: إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا أن تَدْعُوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخانِ كبيران، وكنتُ لا أَغْبُقُ[1] قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأَى بي طلبُ شَجَر يوماً، فلم أَرُحْ[2] عليهما حتى ناما، فَحَلَبْتُ لهما غَبوقَهُما، فوجدتهما نائمين، وكَرِهتُ أَن أَغْبِقَ قبلهما أهلاً أو مالاً، فَلَبِثْتُ والقَدَحُ على يدي أنتظر استيقاظهما، حتى بَرَقَ الفَجْر، فاستيقظا، فشرِبا غَبوقَهُما، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك، ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرَجَتْ شيئاً لا يستطيعون الخروج. قال الآخر: اللهم كانت لي بنتُ عمّ، كانت أحبَّ الناس إِليَّ، فأردتُها على نفسها، فامتنعت مني، حتى أَلَمَّتَ بها سَنَة من السنين، فجاءتني، فأعطيتُها عشرين ومائةَ دينار على أن تُخَلِّيَ بيني وبين نفسها، ففَعَلَت، حتى إذا قَدَرْتُ عليها، قالت: لا أُحِلُّ لَكَ أَن تَفُضَّ الخَاتَمَ إلا بِحقِّه، فتحَرَّجْتُ من الوقوع عليها، فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ الناس إِليَّ، وتركتُ الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافْرُج عنا ما نحن فيه، فانفرَجَتِ

(١) الغبوق: ما يحلب ويشرب بالعشي.

(٢) راحَ: سار في العشي، والمقصود هنا: لم يرجع إليهما مساءً حتى ناما.

الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم استأَجَرْتُ أُجَرَاءَ، فأعطيتُهم أجرَهم، غير رَجُل واحد، تَركَ الذي له وذهب، فَثَمَّرتُ أَجْرَهُ حتى كَثُرَتْ منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله، أَدِّ إِليَّ أجري، فقلت له: كلُّ ما ترى من أَجْرِكَ، من الإبل، والبقر، والغنم، والرقيق، فقال: يا عبد الله، لا تستهزئْ بي، فقلتُ: إِني لا أستهزئُ بك، فأخَذَه كلَّه، فاسْتاقه، فلم يترُكْ منه شيئاً، اللهم فإن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافْرُج عنا ما نحن فيه، فانفرجتِ الصخرة، فخرجوا يمشون»[1].

رحمته بالأمهات (٤) برّ الأمَّهات مقدَّم على الجهاد:

ومن المدهش حقاً أن تتوسع رحمة النبي ﷺ بالأمهات فيقدِّم رعايتهنَّ والإحسان إليهن على الجهاد في سبيل الله.

فعن معاوية بن جاهِمة السلمي أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أَرَدْتُ أن أغْزُوَ، وقد جِئْتُ أَسْتَشيرك، **فقال**: «هل لك من أمٍّ؟» قال: نعم! **قال**: «فالْزَمْها، فإن الجَنَّةَ عند رِجْلِها»[2].

وحسبك أن تتوقف عند عبارتين بليغتين من عبارات الحديث:

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٢٧٢) [٤٢٣]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٧٤٣) [١٠٩٦]، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه النسائي في "سننه الكبرى" برقم (٤٢٩٧) [٢٧٢/٤] وهو حسن صحيح.

الأولى: (فالزمها)، واللزومُ يعبِّر عن **مدى القرب** في المصاحبة، حتى يكاد أن يقول التصق بخدمتها ومحبتها، ثم الاستمرارية **والديمومة** حتى لا يكاد الولد أن يفارق أمه.

والثانية: (فإن الجنة عند رجلها): وهذا يعبر عن مدى قربك -أيها البارُّ بأمك- من الجنة، كما يعبر عن مدى التواضع وخفض جناح الذل المطلوب من الأولاد لأمهاتهم.

ويعمِّمُ رسول الله ﷺ تفضيل البر على الجهاد في سبيل الله ليشمل الوالدين، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذِنهُ في الجهاد، فقال: «**لكَ أبوان؟**» قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**»[1]. أي: جاهد بخدمتهما ومحبَّتهما وبرِّهما.

وهذا في جهاد فرض الكفاية، أما في جهاد فرض العين فعلى المسلم تلبية داعي الجهاد...

رحمته بالأمهات (٥) بر الأمهات مقدَّم على الهجرة:

وكان من رحمته ﷺ بالأمهات أنه يقبل من بعض الذين آمنوا به وصَدَّقوه ولم يروه، أن يمكثوا عند أمهاتهم لحاجتهن إلى الرعاية والخدمة، ولو منعهم ذلك من الهجرة إليه ولقائه.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٩٧٢) [١١٥٨] واللفظ له، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٥٤٩) [١٠٢٩].

فهذا سيدنا أويس القرني ﷺ، آمن برسول الله ﷺ وصدَّقه وهو مقيم في اليمن، وكم كان مشتاقاً للهجرة إلى رسول الله ﷺ ليكحِّل ناظريه برؤية وجهه الشريف، ولكن كان يمنعه من ذلك حاجة أمه إلى رعايته وكان شديد البرِّ بها... فأحب اللهُ تعالى أن يكافئ أويساً على برِّه بأمه فأوحى إلى نبيه ﷺ عن شأن أويس مع أمه، وهذه معجزة لرسول الله ﷺ، إذ كيف عرف بقصة أويس وإيمانه وتصديقه به، وبره بأمه، والرسول لم يره ولم يجتمع به، ولا يوجد أحد يعرف شيئاً عن أويس وقصته، حتى أخبر رسول الله ﷺ بذلك أصحابه، وأمرهم إذا التقوا أويساً أن يطلبوا منه الدعاء؛ لأن الله تعالى كافأه مكافأة ثانية بأن جعله مستجاب الدعاء بسبب بره بأمه، وهذه كرامة من كرامات سيدنا أويس ﷺ.

ففي هذه القصة إشارة إلى معجزة نبي، وكرامة ولي.

وكان سيدنا عمر ﷺ إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: مِنْ مراد ثم مِنْ قَرَن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرئت منه إلا موضعَ درهم؟ قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم، قال: سمعت **رسول الله ﷺ يقول**: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قَرن، كان به برص فبرئ منه إلا موضعَ درهم، له والدة هو بها بَرٌّ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فاستغفِرْ لي، فاستغفر له)[1].

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (٢٥٤٢) [١٠٢٦].

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : «جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبويَّ يبكيان، **فقال**: « ارجع عليهما فأضحكهما كما أبكيتهما»[(١)].

وأقبل رجل إلى نبيَّ الله ﷺ فقال: «أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، **قال**: «فهل لك من والديك أحدٌ حيٌّ؟» قال: نعم، بل كلاهما، **قال**: «فتبتغي الأجر من الله تعالى؟»...قال: نعم، **قال**: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»[(٢)].

رحمته بالأمهات (٦) إشفاقه ﷺ على الأمهات:

ومن رحمته ﷺ بالأمهات إشفاقه على عواطف الأم ومشاعرها نحو أولادها، حتى إنه ليخفف من صلاته إشفاقاً على الأم ووليدها الذي يبكي.

يقول النبي ﷺ: «إني لأدخلُ في الصلاة وأنا أُريدُ إطالتها، فأسمعُ بكاءَ الصَّبي فأتجوَّزُ[(٣)] في صلاتي، مما أعلمُ من شِدَّة وَجْدِ[(٤)] أُمِّه من بكائه»[(٥)].

انظر للإحساس المرهف عند النبي ﷺ، والشعور بمعاناة الأم وشدَّة تأثُّرها عاطفياً من بكاء وليدها.

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٢٥٢٨) [٢٨٧] وهو صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (٢٥٤٩) [١٠٣٠].

(٣) أتجوز: أي أقللها وأخففها.

(٤) وَجْدِ أمه: أي حزنها.

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٧٠٩) [١٤٩]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٤٧٠) [١٩٦]، واللفظ للبخاري.

رحمته بالأمهات (٧) أمره بالإحسان إلى الأم ولو كانت كافرة:

ومن عجب أن رسول الله ﷺ يكرم الأم ويدعو لإعطائها حقوقها والإحسان إليها ولو كانت كافرة!!

تقول أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما-: قَدِمَتْ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْش وَمُدَّتِهِمْ إِذْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ ﷺ مَعَ ابْنِهَا، فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: (إِنَّ أُمِّي[1] قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُهَا؟) **قَالَ**:« نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ» [2].

حقيقة

والحقيقة أن العجب سيزول إذا علمتَ أن موقف رسول الله ﷺ من حقوق الأمهات والإحسان إليهن هو موقف مبدئي، منطلق من منطلقات إسلامية إنسانية، بصرف النظر عن اللون والعرق والدين.

إنها قداسة الأمومة، إنها النظرة الإنسانية الشاملة التي تتجاوز العوائق والحدود لتكريم هذا الكائن البشري بما حمّله الله تعالى من مسؤوليات.

(١) اسم أمها " قتيلة " طلقها أبو بكر ﷺ في الجاهلية، وأتت إلى ابنتها أسماء راغبة بالصلة ، ومعها هدية زبيب وسمن...فأبت أسماء أن تدخلها بيتها أو تقبل هديتها حتى تسأل النبي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٩٧٩) [١١٦٠]، ومسلم في "صحيحه" برقم (١٠٠٣) [٣٨٨]، واللفظ للبخاري.

بل إن هذا الإحساس الإنساني المرهف عند رسول الله ﷺ يتعدى الأم الكائن البشري إلى الإحساس بمشاعر الأم من الكائنات الأخرى، فيغضب بشدة عندما يرى أنثى الحُمَّرة (نوع من الطيور صغيرة مثل العصفور) تصيح وتطير قريباً من الأرض، تصعد وتهبط، تفرش أجنحتها بسبب أخذ أولادها من عشها.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمَّرة فجعلت تفرش (تطير وترتفع وتظلل بجناحيها على من تحتها) فجاء النبي ﷺ **فقال**: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدَها إليها»[1].

رحمته بالأمهات (٨) كان ﷺ يكرم الأمهات من الرضاع وكذلك الحواضن:

ثم إن رسول الله ﷺ لم يتوقف عند تكريمه ورحمته للأمهات من النسب، بل تعدى ذلك لتكريم الأمهات من الرضاع والحواضن ...

مبدأ

والسبب هو المنطلقات الإسلامية الإنسانية بالتعامل مع امرأة ضمت إلى صدرها وليداً، وألقمته ثدييها وهي تحنو عليه من خلال ما جعل الله فيها من مشاعر إنسانية نحو طفل وليد هو بحاجة لحليبها حتى ينمو ويعيش.

ومثلها أيضاً امرأة احتضنت طفلاً صغيراً يتيماً، فقامت بتربيته وقدمت له ما يحتاجه من عناية وطعام ولباس ورعاية حتى كبر واشتد عوده واعتمد على نفسه.

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٢٦٧٥) [٣٠١]، وهو صحيح.

- **فهذا رسول الله ﷺ يُكرِّم أمَّه من الرضاع –حليمة السعدية بنت عبد الله بن الحارث من هوازن– :**

فبعد عودة النبي ﷺ من غزوة الطائف سالماً غانماً منتصراً، أتاه وفد من هوازن ممن دخلوا في الإسلام، فقالوا: يَا رَسُولَ اللّهِ، إنّا أَصلٌ وَعَشِيرةٌ ، وَقَد أَصَابَنَا مِن البَلَاءِ مَا لَم يَخفَ عَلَيك، فَامنُنْ عَلَيْنَا، مَنّ اللّهُ عَلَيْك. قَالَ: وَقَامَ رَجُلٌ مِن هَوَازِنَ، ثُم أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْر، يُقَالُ لَهُ زُهَيرٌ يُكْنَى أَبَا صُرَد، فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللّهِ إنما فِي الحَظَائِرِ عَمّاتُك وخالاتُك وحواضنُك اللاتي كُنّ يَكْفُلْنَك، وَلَوْ أَنّا مَلَحْنَا[1] لِلْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْر ، أَوْ لِلنّعمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، ثُم نَزَلَ مِنّا بِمِثْلِ الّذِي نَزَلْت بِهِ، رَجَونَا عَطفَهُ وَعَائِدَتَهُ[2] عَلَيْنَا، وَأَنْتَ خيرُ الْمَكفُولِينَ..."

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ :« أَبْنَاؤُكُم وَنِسَاؤُكُم أَحَبُّ إلَيْكُم أَم أَمْوَالُكُمْ ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ خَيّرتَنَا بَيْنَ أَموَالِنَا وأَحسَابِنَا، بَل تَرُدُّ إلَيْنَا نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَهُوَ أَحَب إلَيْنَا، فَقَالَ لَهُم:« أَمّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبدِ الْمُطّلِبِ فَهُوَ لَكُم، وَإِذَا مَا أَنَا صَلّيْت الظّهْرَ بِالنّاسِ، فَقُومُوا فَقُولُوا : إنّا نَسْتَشفِعُ بِرَسُولِ اللّهِ إلَى الْمُسلِمِينَ وَبِالْمُسلِمِينَ إلَى رَسُولِ اللّهِ فِي أَبنَائِنَا وَنِسَائِنَا، فَسَأُعطِيكُم عِندَ ذَلِكَ، وَأَسْأَلُ لَكُم» فَلَمّا صَلّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِالنّاسِ الظّهْرَ قَامُوا فَتَكَلّمُوا بالذي أَمَرَهُم بِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ :«وَأَمّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبدِ المطلبِ فَهُوَ

(١) ملحنا :أرضعنا

(٢) عائدته: فضله.

لَكُمْ ». فَقَالَ المهَاجِرُونَ :" وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ." وَقَالَت الأنْصَارُ : "وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ ".) [1].

وهكذا أعاد رسول الله ﷺ لهوازن أبناءهم ونساءهم إكراماً لمرضعته حليمة.

- **وهذا رسول الله ﷺ يكرم حاضنته أم أيمن –بركة بنت ثعلبة الحبشية–:**

فلما توفي أبوه قامت أم أيمن بحضانته ورعايته وخدمته، في حياة أمه آمنة، ولما نزلت عليه الرسالة **كان يقول**: «أم أيمن أمِّي بعد أمِّي»، وينادِيها بقوله: «يا أمَّه»، وعندما يراها **يقول**: «هذه بقية أهل بيتي»[2].

ما رأيكم؟!!...بعضنا إذا درس ونال الشهادات العالية، ولم يحمل معها الأخلاق العالية...لعله إذا وجد في بيئة يسمونها راقية، أو في اجتماع الطبقات المخملية، وظهرت والدته أو والده المزارع عَرَضاً...فإنه يتوارى حتى لا يعرف المترفون صلته بهما أو ببيئته الفقيرة!!...

مبادئ

أما رسول الله ﷺ نبي الأمة وقائد دولتها الأعلى فإنه إذا رأى حاضنته السوداء الأفريقية الفقيرة، يناديها بصوت قوي واثق أمام كل الناس " يا أُمّه "، معلناً صلته بها، ومحبته واحترامه وتقديره لما بذلته من أجله... إنه الرسول ﷺ صاحب المبادئ الراقية...

(١) انظر سيرة ابن هشام [٤/٤٨٨ وما بعدها].

(٢) الطبقات الكبرى " لابن سعد" [١٠/٢١٢].

وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويقدم لها المنح اعترافاً بفضلها.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لما قَدِمَ المهاجرون من مكة إلى المدينة، قَدِمُوا وليس بأيديهم شيء، وكان الأنصار أهلَ الأَرض والعقار، فقاسمهم الأنصار على أَن أعطوْهم أَنصاف ثمار أموالهم كلَّ عام، ويَكْفُونَهم العملَ والمؤونة، وكانت أُمُّ أَنس بن مالك أعطت رسولَ الله ﷺ عِذاقاً[1] لها، فأعطاها رسولُ الله ﷺ أُمَّ أيمن مَولاته، فلما فرَغَ رسولُ الله ﷺ من قتال أهلِ خَيبَرَ وانصرف إلى المدينة رَدَّ المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا مَنَحُوهم من ثِمارِهم، قال: فردَّ رسولُ الله ﷺ إلى أُمِّي عِذَاقَها، وأَعطى رسول الله ﷺ أُمَّ أيمن مكانَهُنَّ من حائطه) [2].

وعند مسلم: (قال ابن شهاب: وكان من شأن أُمِّ أيمن . أُمِّ أسامة بن زيدٍ . أنها كانت وَصيفةً لعبد الله بن عبد المطلب، وكانت من الحبشة، فلما ولدت آمنةُ رسولَ الله ﷺ بعدما تُوفِّيَ أبوه فكانت أُمُّ أَيمن تَحضُنُه، حتى كَبِرَ رسولُ الله ﷺ، فأعتقها، ثم أنكَحَها زيدَ بن حارثَة، ثم توفيت بعد ما تُوِّفِّيَ رسولُ الله ﷺ بخمسة أشهر) [3].

---

(١) العذق: النخلة بحملها، وجمعها عذاق.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٦٣٠) [٤٩٧]، ومسلم برقم (١٧٧١) [٧٣٥] واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم في " صحيحه" برقم (١٧٧١) [٧٣٥].

وكان رسول الله ﷺ يمازحها ويدخل السرور على قلبها..**فعن محمد بن قيس** قال: جاءت أم أيمن إلى النبي ﷺ فقالت: احملني. **قال**: «أحملك على ولد الناقة» فقالت: يا رسول الله، إنه لا يطيقني – أي لا يستطيع حملي–، ولا أريده، **فقال**: «لا أحملك إلا على ولد الناقة»، يعني أنه كان يمازحها. وكان رسول الله يمزح ولا يقول إلا حقاً، والإبل كلها ولد النوق[1].

- **وكان رسول الله ﷺ يكرم حاضنته فاطمة بنت أسد بن هاشم زوج عمه أبي طالب:**

الذي كفله بعد وفاة أمه آمنة، فقامت فاطمة بنت أسد برعايته وتربيته، وكانت تعتني به أكثر من أولادها: سيدنا علي، وطالب، وعقيل، وجعفر، وأم هانئ، وجمانة.

وكانت قد أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ وهاجرت إلى المدينة المنورة. **فعن أنس بن مالك** رضي الله عنه قال: (لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم – أمّ علي بن أبي طالب –رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها، **فقال**: «رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيّباً وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة».

ثم أمر أن تغسّل ثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه، وكفَّنها بِبُرْدٍ فوقه، ثم

(١) أخرجه ابن سعد في "طبقاته" [٢١٣/١٠].

دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه، **فقال**: «الله الذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقِّنها حجتها، ووسّع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين»، وكبَّر عليها أربعاً، وأدخَلوها اللَّحد هو والعباس وأبو بكر الصديق -رضي الله عنهم-)[1].

رحمته بالأمهات (٩) ومن رحمته ﷺ أنه كان يشعر بمعاناة أمِّ الأيتام:

فيحث على مساعدتها، فالكثير يعتني باليتيم وينسى أمَّه، فهي التي تحمَّلت موت زوجها، ورعاية أطفالها، ومكابدة صعوبات المعاش والحياة، فكم هي في حزن ومعاناة، فكان رسول الله ﷺ يستشعر هذه المعاناة! **فيقول** ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم ويقوم الليل»[2].

---

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك"رقم (٤٦٣٨) [١٢٤/٣]، والطبراني في "الكبير" برقم (٨٧١) [٣٥١/٢٤] واللفظ له، وقال الهيثمي في "المجمع" [٤١٤/٩]: (رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه روح بن صلاح، وثقه ابن حبان والحاكم، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٦٠٠٦) [١١٦٤]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٩٨٢) [٥٣٣]، واللفظ للبخاري.

رحمته بالأمهات (١٠) وكان ﷺ يُبيِّن فضل أمهات الأيتام المتفرِّغات لرعاية أيتامهن:

فكان ﷺ يتحدث عن فضل أمِّ الأيتام التي نذرت نفسها لرعاية أيتامها، فلم تتزوج إكراماً لهؤلاء الأيتام، ولربّما لو أرادت الزواج لوجدت السبيل لذلك، ولكنها آثرت أيتامها على نفسها، **يقول رسول الله ﷺ** في حقها: « أنا وامرأة سَفْعَاءُ الخدَّين كهاتين يوم القيامة- وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى- امرأةٌ ذات منصبٍ وجمالٍ آمت[1] من زوجها حَبَسَت نفسَها على أيتامها حتى بانوا أو ماتوا »[2]، إذاً، لها البشرى، هي مع رسول الله ﷺ؛ لأنها فرَّغت نفسها رحمةً بأيتامها.

* * * * *

(١) أي: مات عنها زوجها.

(٢) أخرجه أحمد في" مسنده" برقم (٢٤٠٠٦) [٤٣٢/٣٩]، وهو حسن لغيره.

ج. رحمته ﷺ وتكريمه للزوجات

جوانب رحمته ﷺ وتكريمه للزوجات:

١- منع إكراه المرأة على الزواج ممن لا ترغب فيه.

٢- كرّم رسول الله ﷺ الزوجة، فحمّلها مسؤولية بيت الأسرة.

٣- ومن رحمته ﷺ أنه أمر بإعطاء الزوجة حقها:

- إن لزوجك عليك حقاً.
- أن يوفر لها الزوج احتياجاتها النفسية والعاطفية والجسدية.
- إدخال السرور عليها.
- أن يساعدها زوجها.
- أن يتواضع لها زوجها.
- حل المشكلات معها باللطف والإنصاف.
- ألاّ ينشر زوجها سرها.
- لا تُكلَّف الإنفاق على نفسها وأهلها ولو كانت غنية.
- تكريم الزوجة بالوفاء والمحبة.

بسم الله الرحمن الرحيم

تتجلى رحمته ﷺ وتكريمه للزوجات من خلال النقاط الثلاث التالية:

رحمته بالزوجات (١) منع إكراه المرأة على الزواج ممن لا ترغب فيه:

أكد النبي ﷺ على ضرورة أخذ موافقة المرأة على زواجها، وأن يكون لها رأي فيمن ستختاره شريكاً لحياتها.

يقول النبي ﷺ: «لا تُنكَح الأيِّمُ حتى تُستأمَر[١]، ولا تُنكحُ البِكْرُ حتى تُستأذَن[٢]. قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ **قال**: «أن تَسْكُتَ»[٣].

ونهى رسول الله ﷺ عن إكراه المرأة على الزواج، لما سيترتب على هذا الزواج من إشكالات كثيرة، أهمها عدم تحقيق عدد من الأهداف المهمة من

(١) تستأمر: أي يطلب أمرها، ولا تقبل موافقتها إلا بنطق يدل على مرادها صريحاً.

(٢) تستأذن: أي يطلب إذنها، وهو أن يظهر ما يدل على رضاها بأي وجه ومنه السكوت بسبب حياء البنت البكر.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥١٣٦) [١٠١٨]، ومسلم في "صحيحه" برقم (١٤١٩) [٥٥٨]، واللفظ لهما.

الزواج، ومنها: أن يسكن الرجل إلى زوجته، وأن تسكن المرأة إلى زوجها، وتتحقق بينهما المودة والرحمة، وأن يُنشِّئا أولاداً أسوياء، والإكراه يلغي كل هذه الأهداف.

عن خنساء بنت خذام الأنصارية: (أن أباها زوَّجها وهي ثيِّب، فكرهَت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فردَّ نكاحها)[1].

أين هذا من واقعنا؟!!.. لقد أَخَذْنا من الإسلام اسمه.. وابتعدنا في التطبيق عنه، حتى لكأننا لم نسمع بهذا التوجيه!!!.. بل الأنكى من ذلك أننا نمارس سلوكاً جاهلياً ونحمّلُ الإسلام جهالاتنا وانحرافاتنا وأخطاءنا!!...

مظلوم هذا الإسلام....فكم هو بحاجة إلى أصحاب العقول الكبيرة، والحِكم العالية، والأفهام الواسعة، ليزرع فيهم هذه المبادئ الراقية فتنبت وتنمو وتزهر وتثمر قِيَماً حضارية عظيمة..

وهكذا جعل رسول الله ﷺ الخيار بيَد المرأة، وتكرر هذا من رسول الله ﷺ عدداً من المرات، وفي إحداها كان رجل يعشق زوجته وهي تكرهه، وتَشفَّع رسول الله ﷺ له عندها.

عن عبد اللَّه بن عباس -رضي الله عنهما-(أنَّ زوج بَريرةَ كان عبداً يقال له: مُغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفَها يبكي ودُمُوعُه تَسِيلُ على لحيته، **فقال النبيُّ** ﷺ للعباس: «يا عبَّاسُ، ألا تعجَب من حُبِّ مُغيث بريرةَ، ومن

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥١٣٨) [١٠١٩].

بُغْضِ بريرةَ مغيثاً؟!» فقال النبيُّ ﷺ: «لو راجعْتِه؟» قالت: يا رسول الله، تأْمُرني؟ قال: «إنما أشْفَع» قالت: لا حَاجَةَ لي فيه)[1].

هكذا صنع منها الإسلام امرأة حرة، قوية لدرجة أنها اتخذت قرارها ولم تقبل شفاعة...

وخيَّر رسول الله ﷺ المرأة في حالة أخرى، وهي تقرّ بعدم وجود عيب في زوجها إلا أنها لا تحبه!، **عن عبد الله بن عباس** -رضي الله عنهما- (أنَّ امرَأَةَ ثابتِ بن قيس أَتَتْ النبيَّ ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ثابتُ بن قيسٍ، ما أعْتِبُ عليه في خُلُقٍ، ولا دِينٍ، ولكني أكْرَهُ الكُفْرَ في الإسلام -تَعني تُبغِضُه- **فقال رسولُ الله** ﷺ: «أَتَرُدِّينَ عليه حَدِيقَتَهُ؟» قالت: نعم، قال رسولُ الله ﷺ: «اقْبَل الحديقةَ، وطَلِّقها تَطْلِيقَة»[2].

نعم، لقد استجاب رسول الله ﷺ لرغباتها، لأن زواجاً لا تكلِّله المحبة والألفة والسكينة والرحمة ليس بزواج، ولأن زواجاً يقوم على الإكراه ليس بزواج!!

تنبيه

يجب أن نفرق بين إكراه المرأة على الزواج - وهو أمر مرفوض- ، وبين التشاور مع الآباء والأمهات والأهل، والاستفادة من خبراتهم في اختيار الزوج الصالح، واجتناب الزوج السيء الذي تستحيل الحياة الزوجية الكريمة والسعيدة معه - وهو أمر مطلوب- .

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٢٨٣) [١٠٤٥].

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٢٧٣) [١٠٤٤]، ومسلم في "صحيحه"برقم (٢٩٨٤) [١١٩٦]،واللفظ للبخاري.

رحمته بالزوجات (٢) **كَرَّمَ رسول الله ﷺ الزوجة، فحمَّلها مسؤولية بيت الأسرة:**

فالمرأة في الإسلام هي عماد البيت وأساسه، بها سعادته أو شقاؤه، نجاحه أو إخفاقه، جنته أو ناره، استمراره أو انقطاعه، تألّقه أو انهياره، سكينته النفسية والعاطفية والجسدية لكل من فيه، أو تلفه ودماره؛ لأجل ذلك ولأجل دورها الكبير والعظيم في تحقيق المعاني الإيجابية المذكورة لبيت الأسرة جعلها رسول الله ﷺ راعية بيت الزوج؛ فهي تتحمل أهم مسؤولية في البيت وهي تربية الأولاد، إنها صانعة الإنسان، ومسؤوليتها تتناسب مع هذه المهمة العظيمة.

فائدة

لقد جعل الإسلام كل فرد في المجتمع يستشعر المسؤولية، بل ويتحمل جزءاً منها، من الأجير إلى الأمير. فلا يوجد في المجتمع الإسلامي إنسان عاطل، أو أنه لا يتحمل المسؤولية...

فالمجتمع الإسلامي الحقيقي هو مجتمع العاملين..، هو مجتمع الرواد المتحملين للمسؤوليات على كافة المستويات الخاصة والعامة..

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ألا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكلُّكم مَسؤْولٌ عن رَعِيَّتِهِ، فالإمامُ رَاعٍ، ومَسْؤولٌ عَن رَعِيَّتِهِ، والرجلُ رَاعٍ في أهله، وهو مَسؤولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمرأَةُ في بَيْتِ زَوجِها رَاعيةٌ، وهي مَسؤولَةٌ عن رَعيَّتِها، والخادم في مال سيده راع، وهو مسؤول عن رَعِيَّتِهِ»قال: فسمعت هؤلاء من النبي ﷺ، وأحسب النبي ﷺ قال: «والرجلُ

في مـالِ أبيـهِ راعٍ، ومَـسْؤولٌ عـن رعيَّتِـهِ، فَكُلُّكُـمْ رَاعٍ، وكُلُّكُـم مَـسؤولٌ عـن رعيَّتِهِ»[1].

يا لها من مسؤولية عظيمة ومكانة كبيرة حمَّلها النبي ﷺ للمرأة، إنها من أعظم المسؤوليات في المجتمع، إنها مسؤولية صناعة الإنسان المتميز!!

حقيقة

أتدرك الأمهات ضخامة هذه المسؤولية؟ أم أن المرأة المسلمة اليوم بدأت تستسلم للثقافة الفاسدة التي تدعوها لترك هذه المسؤولية وعدم إعطائها الأهمية اللازمة، والالتفات إلى مهام تُعدُّ سخيفة إذا ما قارنّاها مع مهمة صناعة الإنسان والمجتمع.

لماذا بدأنا ننظر إلى أُمٍّ تعمل في أي عمل في المجتمع من غير ضرورة على أنها حققت إنجازاً عظيماً؟! علماً بأن هذا العمل سيكون غالباً على حساب تربية الأولاد ورعايتهم وتعليمهم وتأهيلهم نفسياً وسلوكياً.

لماذا لا نضع الأمور في نصابها ونشعر بحقيقة مسؤوليات الأمومة وما تحتاجه من دعم وتكريم وتعظيم ومساعدة ؟!

إنني أؤكد أن قيام المرأة بمسؤولية رعاية الأسرة بنجاح وتميّز سيؤدي حتماً لإنتاج مجتمع ناجح ومتميّز.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٥٥٨) [٤٨٣]، ومسلم في "صحيحه" برقم (١٨٢٩) [٧٦٣]، واللفظ للبخاري.

حقيقة

إن أكبر الأزمات التي تعاني منها المجتمعات المتخلفة هي تخلف العملية التربوية لأبنائنا وأجيالنا في الأسرة، وانعكاس ذلك على كافة القيم التي تحرك أجيال الأمة، سواء على المستوى الوطني أو الاجتماعي أو الديني، أو على مستوى التأهيل الشخصي والإبداعي!!

ولذلك جعل رسول الله ﷺ الزوجة خير متاع ومُتَع الحياة مما تستطيبه النفوس إن كانت صالحة، يقول النبي ﷺ: «**الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**»(١).

فبصلاحها يسعد جميع من حولها من الزوج إلى الأولاد إلى الأهل...، والصلاح هنا لا يقتصر على التعبد والتقرب إلى الله تعالى وحسب؛ وإنما يشمل -إضافة إلى ذلك- على كل ما يتعلق بشؤون المرأة من عقلها إلى حكمتها إلى أخلاقها إلى علمها إلى عملها...

رحمته بالزوجات (٣) **ومن رحمته ﷺ أنه أمر بإعطاء الزوجة حقَّها:**

من الحقوق التي أعطاها النبي ﷺ للزوجة ما يلي:

(١) **إن لزوجكَ عليكَ حقاً:**

قرر رسول الله ﷺ للزوجة على زوجها **حقوقاً كثيرةً** يجب أن يؤديها الزوج، لا يُعفيه منها التفرغ للعبادة والتقرب إلى الله تعالى.

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (١٤٦٧) [٥٨٥].

وقد بَلَغَه ﷺ عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أنه كان يقوم الليل ويصوم النهار ويُقصِّر في حق زوجته، فنهاه عن ذلك وقال له: «أَلَمْ أُخْبَرْ أنك تقوم الليل وتَصومُ النهار ؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «فلا تَفْعَلْ،نَمْ وقُمْ، وصُمْ وأفطِرْ، فإنَّ لِجسدِك عليك حقًا، وإنَّ لِعَينِكَ عليك حقًا، وإنَّ لزوْرِك[1] عليك حقًا، وإنَّ لزوجِك عليك حقًا، وإنك عسى أن يطول بك عُمُرٌ وإنَّ من حَسْبك أن تصُومَ من كل شهر ثلاثة أيام، فإنَّ بكُلِّ حسَنَةٍ عشرَ أمثالها، فذلك الدَّهر كله»[2].

حقيقة

نعم، إنه الاعتدال والتوازن في كل شيء حتى في العبادة، فالإسلام دين الفطرة، لا يقبل من الإنسان أن يتطرف في أي شأن من شؤونه، فلا الحياة الروحية تطغى على احتياجات الجسد، ولا الحياة المادية تطغى على الحياة الروحية.

(٢) إن من حق الزوجة أن يوفِّر لها الزوج احتياجاتها النفسية والعاطفية والجسدية كافة، بل عليه أن يُحسِن إليها في كل شيء، بما في ذلك التودد إليها وملاطفتها وإكرامها.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنك لن تُنفقَ نفقة تبتغِي

---

(١) لزورك: ضيفك.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٦١٣٤) [١١٨٢]، ومسلم في "صحيحه" برقم (١١٥٩) [٤٤٨]، واللفظ للبخاري.

بها وجه الله إلا أُجِرْتَ عليها، حتى ما تجعلُ في فِي- أي فم- امرأتك»[1].

(٣) **وإن من حقها إدخال السرور عليها**، وإفساح المجال لشيء من المرح. **تقول السيدة عائشة** -رضي الله عنها-: (دخل عليّ رسولُ الله ﷺ وعندي جاريتان تُغنِّيان بغِناءِ بُعَاث، فاضطجع على الفراش، وحوَّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مِزْمَارَةُ الشيطان عند النبيِّ ﷺ؟! فأقبل عليه رسولُ الله ﷺ فقال: «دَعهما»، فلما غَفَل غَمَزْتُهما فخرجتا)[2].

(وكان يومَ عيد، يلعبُ السُّودان بالدَّرَق[3] والحِرَاب، فإما سألتُ رسولَ الله ﷺ، وإما قال: «تَشْتَهين تنظرين؟» قلتُ: نعم، فأقامني وراءه، خَدِّي على خَدِّه، وهو يقول: «دُونَكم يا بني أَرْفِدَةَ»[4]، حتى إذا مَلِلْتُ قال: «حَسْبُكِ؟» قلتُ: نعم، قال: «فاذهبي»)[5].

وكان رسول الله ﷺ يسابق السيدة عائشة -رضي الله عنها-: قالت:(خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ. فَقَالَ لِلنَّاسِ:« تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا. ثُمَّ قَالَ لِي:« تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ»

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٦) [٣٥]، ومسلم في "صحيحه" برقم (١٦٢٨) [٦٦٨]، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٩٤٩) [١٩٠].

(٣) الدَّرق: الترس المصنوع من الجلود، انظر: لسان العرب (٩٥/١٠).

(٤) أرفدة: جدهم من الحبشة.

(٥) أخرجه البخاري برقم (٩٥٠) [١٩٠]، ومسلم برقم (٨٩٢) [٣٤٤]، واللفظ للبخاري.

فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ[1] وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ. فَقَالَ لِلنَّاسِ: « تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ:« تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ» فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ:« هَذِهِ بِتِلْكَ »)[2].

٤ وإن من حقها أن يساعدها زوجها:

كان رسول الله ﷺ ألطف الناس وأكثرهم إحساساً بمعاناة الآخَر؛ لذلك كان لا يُثقِل على أهله، ويساعدهم، ويخدم نفسه تخفيفاً عنهم.

فكيف أنت في بيتك؟ هل تساعد أهلك؟ هل تساهم معهم في أعمال المنزل؟ هل تقتدي برسول الله ﷺ؟

تقول السيدة عائشة -رضي الله عنها- تصف النبي ﷺ: (كان بشراً من البشر، يفلي ثوبَه، ويحلبُ شاتَه، ويخدمُ نفسَه)[3]. وفي رواية: (كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته)[4].

---

(١) أي: سَمنتُ.

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (٢٦٢٧٧) [٣١٣/٤٣]،وهو صحيح.

(٣) انظر صحيح الأدب المفرد "للبخاري" برقم (٥٤١) [٢٠٤]، وأحمد برقم (٢٦١٩٤) [٢٦٣/٤٣]، واللفظ له،وهو صحيح.

(٤) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم (٦٤٤٠) [٣٥٢/١٤]وهو صحيح.

وفي رواية: (كان يكون في مهنة أهله –أي مساعدة أهله–، فإذا حَضَرَت الصلاة خَرَجَ إلى الصلاة)[1]. **وكان يقول**: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[2].

فائدة

وهكذا، كلَّما ازداد خيرك لأهلك زادت خيريّتك عند الله تعالى، وكلما كنت ألطف وأكثر إيناساً ورحمة ورأفة بأهلك اقتربت أكثر من الله تعالى، أما الجبارون المتكبرون فإنهم بعيدون عن الله تعالى..

أولئك الذين يهينون المرأة ويجرحون كرامتها بالكلمات القاسية الجارحة.

ادخل إلى بيتك بساماً ضحّاكاً، هيناً ليناً لطيفاً، تُؤنِس أهلك وتباسطهم وتمازحهم وتساعدهم، هكذا كان رسول الله ﷺ مع أهله.

عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ المؤمنينَ إِيمَاناً: أَحسَنَهُمْ خُلُقاً، وَأَلْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ»[3].

وسُئلت السيدة عائشة –رضي الله عنها–: كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في البيت؟ فقالت: (كان رسول الله ﷺ ضحاكاً وبساماً)[4].

هكذا كان رسول الله ﷺ مع أهله، لم يكن جباراً متكبراً كما هو حال بعض الرجال، إذا دخل منزله هرب الأطفال، وخفقت قلوب النساء من الخوف.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٧٦) [١٤٣].

(٢) تقدم تخريجه، وهو صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (٢٤٢٠٤) [٢٤٢/٤٠]وهو صحيح لغيره.

(٤) أخرجه ابن سعد في "طبقاته" [٢٤٥/٨].

فائدة

يجب أن يكون وقت دخولك على أهلك أجمل أوقات الزوجة والأولاد سعادة وبهجة وسروراً.

⑤ وإنَّ من حقِّها أن يتواضع زوجها لها، وألاّ يعاملَها باستعلاء واستكبار:

كان رسول الله ﷺ يتواضع لأهله ويَلْطُفُ بهم، فقد أرادت السيدة صفية زوجته –رضي الله عنها– ركوب البعير مرة فصعب عليها ذلك، فوضع لها ﷺ ركبته لتصعد عليها.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (قَدِمَ النبيُّ ﷺ خيبر، فَلَمّا فتح الله عليه الْحِصْنَ ذُكِر له جمالُ صفية بنتِ حُيَيِّ بن أخْطَب، وقد قُتِلَ زوجها، وكانت عروساً، فاصطفاها رسولُ الله ﷺ لنفسه، فخرج بها حتى بَلَغْنَا سَدّ الرَّوْحاء،حَلَّتْ فبنَى بها، ثم صنع حَيْساً[1] في نِطَع[2] صغير، ثم قال رسولُ الله ﷺ: «آذِنْ من حَوْلَكَ»، فكانت تلك وليمةَ رسول الله ﷺ على صَفية، ثم خرجنا إلى المدينة، قال: فرأيتُ رسولَ الله ﷺ يُحَوّي لها وراءه بعَباءة، ثم يَجْلِسُ عند بعيره، فيضع ركبته، فتضع صفيَّة رجلها على ركبته حتى تركب)[3].

---

(١) الحَيس: التمر يخلط بسمن و أقط..

(٢) نطع: جلودٌ تدبغ ويجمع بعضها على بعض.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٢٣٥) [٤١٦].

فداك أبي وأمي يا رسول الله ﷺ ما أشدَّ تواضعك!! لم يمنعك مقام النبوة، وموقع قيادة الأمة، ووجود الناس حولك ينظرون من أن تجلس على الأرض وتجعل من ركبتك سلَّماً ترقى عليه زوجتك مَحَبَّة وتَلَطُّفاً...

(٦) وإن من حقها حلّ المشكلات معها باللطف والإنصاف:

كان رسول الله ﷺ يحلّ المشكلات في بيته بأسلوب إيجابي لا يخلو أحياناً من المباسطة وروح الدعابة.

تقول السيدة عائشة -رضي الله عنها-: (قال لي رسول الله ﷺ: «إني لأعلمُ إذا كُنتِ عني راضية، وإذا كنتِ عَليَّ غَضْبى، قالت: فقلتُ: من أيْنَ تَعْرِفُ ذلك؟ فقال: أمَّا إذا كنتِ عنّي راضية: فَإنَّكِ تقولين: لا وربِّ محمد، وإذا كنتُ غَضْبى، قلتِ: لا وربِّ إبراهيم»، قالت: قُلتُ: أجَلْ واللهِ يا رسولَ الله، ما أهجرُ إلا اسمكَ)[1].

وهكذا طيَّب ﷺ خاطرها وعالج غضبها بكلمات رقيقات ممزوجات بروح المباسطة والدعابة.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان النبيُّ ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلَتْ إحدى أُمهات المؤمنين بِصَحْفَة فيها طعام، فَضَرَبتِ التي النبيُّ في بيتها يَدَ الخادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحفَةُ، فانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ رسولُ الله ﷺ فِلَق الصَّحفَةِ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول:

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٢٢٨) [١٠٣٥]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٤٣٩) [٩٨٩]، واللفظ للبخاري.

«غَارتْ أُمُّكم»، ثم حَبَسَ الخادم، حتى أُتيَ بِصَحفَة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصفحةَ الصحيحة إِلى التي كُسِرَتْ صَحْفَتُها، وأمسك المكسورة في بَيْتِ التي كَسَرَتْ)[1].

وبأسلوب حكيم عالج رسول الله ﷺ غيرة زوجته، وأعاد أجواء الهدوء والراحة إلى بيته.

وصية

وبما أن الإنسان - بشكل عام- لا يخلو من نقص؛ فعلى الزوج أن يصبر على زوجته، ويتحمَّل بعض أخطائها، وينصفها ويتعامل معها بلطف وواقعية، وألاَ يطلِّقها لأدنى سبب؛ ولأن الرجل نفسه لا يخلو من عيوب، فلا حلَّ إلا بالتلطف والتعايش والرضى، والتحمل ومعالجة الأخطاء بأسلوب إيجابي، بأسلوب المحب لا بأسلوب الكاره.

وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ولكنَّ عينَ السخطِ تبدي المساويا[2]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لا يَفْرَكْ[3] مؤمنٌ مؤمنةً، إن كَرِه منها خُلُقاً رضي منها آخَرَ»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٢٢٥) [١٠٣٤].

(٢) ديوان الإمام الشافعي (ص/١٥٧).

(٣) أي: لا يبغض.

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (١٤٦٩) [٥٨٦].

(٧) وإن من حق الزوجة على زوجها ألاّ ينشر سرَّها:

ولذلك حذر رسول الله ﷺ الزوج تحذيراً شديداً من هذا الفعل الذي يؤدي إلى حلِّ عقد الأسرة فقال: «إنَّ من أعظمِ الأمانة عندَ الله يوم القيامةِ: الرَّجُلُ يُفْضي إلى امرأته وتُفْضي إليه، ثم ينشُرُ سِرَّها»[(١)].

لقد نهى رسول الله ﷺ عن هذا بشدة، بسبب ما يترتب عليه من مفاسد كبيرة، وخراب للأسرة وهدم لكيانها...

(٨) ومن رحمته ﷺ أنه لم يكلِّف الزوجة الإنفاق على نفسها وأهلها ولو كانت غنية:

فالمرأة في الإسلام لا تكلَّف مسؤولية الإنفاق على نفسها أو على أولادها ولو كانت غنية موسرة، وهي غير ملزَمة بالإرضاع إلا في حال تعذُّر إرضاع الطفل إلا منها، وعلى الزوج استئجار مرضعة، فإن لم يفعل، يحق للأم أن تطالبه عن طريق القاضي بدفع أجرة الرضاع[(٢)].

و على الزوج أن يوفِّر لزوجته خادمة لخدمتها ومساعدتها إذا كان موسراً[(٣)].

ولكن الإسلام ألزمها بتحمل مسؤولية تربية ورعاية الأولاد، وجعل بيتها سعيداً وسكناً معنوياً ومادياً لزوجها.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (١٤٣٧) [٥٧٠].

(٢) ينظر "موسوعة الفقه الإسلامي وأدلته" للدكتور وهبة الزحيلي [٧٣٩٣/١٠].

(٣) المصدر السابق [٧٣٩٣/١٠].

وإذا رغبَت في العمل فقد أعطاها رسول الله ﷺ الحق أن تعمل وتسعى لتحصيل رزقها حتى ولو كانت معتدَّة. **عن جابر بن عبد الله** رضي الله عنه قال: (طُلِّقَت خالتي، فأرادتْ أن تَجُدَّ نخلَها، فزجرها رجل أن تخرجَ، فأتت النبيَّ ﷺ فقال: «بلى، فجُدِّي نَخْلَكِ[1]، فَإِنَّكِ عسى أَن تَصَدَّقي أو تفعلي معروفاً»)[2].

وحسبك أن تلاحظ أن النبي ﷺ لم يقل لها عسى أن تنفقي على نفسك أو أولادك لأنها غير مكلفة، بل قال لها: عسى أن تصدقي أو تفعلي معروفاً، ولها أن تنفق على نفسها إن شاءت لكنها غير ملزمة، والالتزام على مَن له الولاية.

الله أكبر!!...ما أعظم الإسلام..وما أعظم ما قدمه رسول الله ﷺ للنساء في المجتمع الإسلامي..

ولكن السؤال: أين حقائق هذا الإسلام في سلوكنا وأعمالنا وأخلاقنا؟...

يا ترى ما هو التصور الذي نقدمه عن الإسلام لغير المسلمين؟!...

دعوا الوقائع تتحدث...وما أشد إيلامها حين تتحدث!!...

(٩) ومن رحمته ﷺ تكريمه لزوجاته بالوفاء والمحبة:

فمن صور وفائه ﷺ لزوجته خديجة -رضي الله عنها- ما روته السيدة **عائشة -رضي الله عنها-: قالت:** (كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن

(١) أي: اقطعي واجني ثماره.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (١٤٨٣) [٦٠٠].

الثناء، قالت: فغِرْتُ يوماً، فقلتُ: ما أكثر ما تذكرها، حمراءُ الشِّدْقِ[1] قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها. قال: «ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء»)[2].

وكان رسول الله ﷺ يُصرِّحُ بحب زوجته خديجة -رضي الله عنها-، (وكان ﷺ إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة»، قالت: فأغْضَبْتُه يوماً، فقلت: خديجةَ[3]؟ فقال: «إني رُزِقْتُ حُبَّها»)[4].

وكان رسول الله ﷺ يكرم صديقات خديجة —رضي الله عنها- فيرسل لهن الهدايا كما ورد في الحديث السابق، وكان يستقبلهن ويهشُّ لهن.

فعن عائشة —رضي الله عنها- قالت: (جاءت عجوزٌ إلى النّبيّ ﷺ وهو عندي، فقال لها رسول اللّه ﷺ: «من أنت؟» فقالت: أنا جثامة المزنيّة، فقال: «بل أنت حسّانة المزنيّة، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخيرٍ بأبي أنت وأمّي يا رسول اللّه، فلمّا خَرَجَت، قلتُ: يا رسول اللّه، تُقبِل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «إنّها كانت تأتينا زمن خديجة، وإنّ حُسن العهد من الإيمان»[5].

(١) حمراء الشدق: هي العجوز التي سقطت أسنانها وظهرت حمرة لثتها.
(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (٢٤٨٦٤) [٤١/٣٥٦]وهو صحيح.
(٣) أي: أمَا زلتَ تكرر ذكرها.
(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (٢٤٣٥) [٩٨٨].
(٥) أخرجه الحاكم في "المستدرك" برقم (٤٠) [١/٥٧]،وهو صحيح.

ومن حبه ﷺ لها -رضي الله عنها- أنه لم يتزوج عليها حتى ماتت وعمرها خمسة وستون عاماً، وعاش معها رسول الله ﷺ خمسةً وعشرين عاماً، ونزل في قبرها قبل أن يدفنها.

الله أكبر ما أعظم وفاءك وتكريمك يا رسول الله !!.. لزوجتك التي آمنت بك ونصرتك وبذلت ما تملك دعماً وتأييداً لك..

هل رأيتم حباً مثل هذا الحب ؟!!..

هل رأيتم وفاءً مثل هذا الوفاء ؟!!..

إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

وكان رسول الله ﷺ يُصرِّح أيضاً بحبه لزوجته عائشة، ولا يجد حرجاً أن يتحدث بهذا لأصحابه.

عن أبي عثمان النهدي: أَنَّ رسولَ الله ﷺ بعث عمرو بن العاص رضي الله عنه على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيتُه، فقلت: أَيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: «عائشةُ»، قلتُ: مِنَ الرِّجال؟ قال: «أبوها»، قلتُ: ثم مَن؟ قال: «عمرُ»، فعدّ رجالاً، فسكتُّ، مَخَافةَ أن يجعلني في آخرهم)[1].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٣٤٥٨) [٨٢٣]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٣٨٤) [٩٧٢]، واللفظ للبخاري.

فأين نحن من رسول الله ﷺ؟! فبعضنا لا يذكر اسم زوجته على بطاقة الزفاف مخافة أن يعاب، ويضع بدل ذلك (كريمة فلان)، ولعل فلاناً عنده عدة بنات فمَن تكون الزوجة؟

وإذا كان القصد من حفلة الزواج هو الإعلان ليعرف الناس أن فلاناً تزوج فلانةً فإن المقصود لم يتحقق في هذه الصورة.

* * *

د.رحمته ﷺ وتكريمه للبنات

جوانب رحمته ﷺ وتكريمه للبنات:

١- اهتم رسول الله ﷺ اهتماماً خاصاً بالبنات، وشجع على الاستكثار منهن.

٢- كان رسول الله ﷺ يهتم بابنته فاطمة، ويكرمها إكراماً فريداً.

٣- كان رسول الله ﷺ شديد العطف على البنات.

٤- كان رسول الله ﷺ يبكي عند سماعه لرجل يصف وأد ابنته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من جوانب رحمته وتكريمه للبنات مايلي:

رحمته بالبنات (١) **اهتم رسول الله ﷺ اهتماماً خاصاً بالبنات، وشجَّع الوالدين على الاستكثار منهن**، بسبب ما تعرَّضن له من قتل ووأد وقهر وحرمان في الجاهلية، فقد حثَّ رسول الله ﷺ على العناية بالبنات ورعايتهن والإحسان إليهن حتى يكبرن، وبَشَّر من يفعل ذلك بأنه سيكون رفيقه في الجنة؛ تكريماً له وأجراً وثواباً على عمله.

يقول النبي ﷺ: «من عَالَ ابنتين أو ثلاث بنات أو أختين أو ثلاث أخوات حتى يَبِنَّ[1] أو يموت عنهن كنتُ أنا وهو كهاتين -وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى-»[2].

(١) يَبِنَّ: أي ينفصلن عنه بتزويج أو موت.

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (١٢٤٩٨) [١٩/٤٨٠]، وهو صحيح.

وجاء في الصحيحين عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: دخلت عليَّ امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي شيئًا غير تَمرة واحدةٍ، فَأعطيتُها، فقسمَتها بين ابنَتيها، ثم قامت فَخرجَت، فدخل النبي ﷺ، فحدّثته **فقال**: «مَنِ يَلِيْ من هذه البَنَات شيئاً، فأحْسَنَ إليهنَّ،كُنَّ له سِتْرًا من النار»[(١)].

وفي رواية لمسلم **فقال** ﷺ: «إن الله أوجب لها بها الجنة، وأعتقها بها من النار»[(٢)].

ثم يُعمم رسول الله ﷺ فيحث على الإحسان والرعاية لأيّة فتاة سواء كانت بنتاً أو أختاً أو بنتاً للآخرين، ويبشر من يفعل ذلك بأنه سيكون رفيقه في الجنة. **يقول النبي** ﷺ: «من عالَ جاريتين[(٣)] حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو –وضمَّ أصابعه–»[(٤)].

رحمته بالبنات (٢) **وكان رسول الله ﷺ يهتم بابنته فاطمة اهتماماً خاصاً، ويكرمها إكراماً فريداً**، ويحسن إليها إحساناً عظيماً.

عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: (كنّ أزواجَ النبيِّ ﷺ عنده لم يُغادِرْ منهنّ واحدةً، فأقبلتْ فاطمة تمشي، ما تُخْطئ مِشْيَتُها من مِشيةِ رسولِ الله

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٩٩٣) [١١٦٢]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٦٢٩) [١٠٥٥]، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (٢٦٣٠)، [٢٦٣٢].

(٣) عال جاريتين: أي فتاتين قام عليهما بالمؤونة والتربية والرعاية والإحسان.

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (٢٦٣١) [٢٦٣٢].

ﷺ شيئاً، فلما رآها رَحَّب بها، وقال: مَرْحَباً بابْنَتِي، ثم أجْلَسَهَا عن يمينه -أو عن شماله- ثم سارَّها، فَبَكَت بكاء شديداً، فلما رأى جَزَعَها سارَّها الثانية، فضَحِكَت، فقلتُ لها: خَصَّكِ رسولُ الله ﷺ من بين نسائه بالسِّرار، ثم أنتِ تبكين؟ فلما قام رسولُ الله ﷺ سألتُها: ما قال لكِ رسولُ الله ﷺ؟ قالت: ما كنتُ لأفْشِيَ على رسولِ الله ﷺ سِرَّه، قالت: فلمَّا تُوفِّي رسولُ الله ﷺ قلتُ: عَزَمْتُ عليكِ بما لي عليك من الحق، لَمَا حَدَّثْتِنِي ما قال لكِ رسولُ الله ﷺ، قالت: أمَّا الآن فنعم، أمَّا حين سارَّني في المرة الأولى، **فأخبرني**: «أن جبريل عليه السلام كان يُعارِضُه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وإنه عارضه الآن مرتين، وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلفُ أنا لكِ»، قالت: فَبَكَيْت بكائي الذي رأيتِ، فلما رأى جَزَعِي سارَّني الثانية، **فقال**: «يا فاطمةُ، أما ترْضيْ أن تكوني سيّدةَ نساءِ المؤمنين -أو سيدةَ نساءِ هذه الأمة-؟» قالت: فضحكتُ ضحكي الذي رأيت»[1].

وكان رسول الله ﷺ يكره أن يؤذي أحدٌ ابنتَه فاطمة حتى في مشاعرها. فكان يقول: « فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني»[2]، وعندما خطب سيدنا علي رضي الله عنه ابنة أبي جهل ليتزوج بها على فاطمة، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، **فخطب في الناس على المنبر وقال:**

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٦٢٨٥) [٣/١٢١٠]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٤٥٠) [٩٩٥]، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه". برقم [٣٧١٤] (ص/٧١٠).

«إنَّ بنيْ هشام بن المغيرة استأذنوا في أن يُنكحوا ابنتَهم عليَّ بن أبي طالب، فلا آذنُ، ثم لا آذن،ثم لا آذن، إلا أن يريد ابنُ أبي طالب أن يُطلِّقَ ابنتي، وينكحَ ابنتهم، فإنما هي بَضْعَة مني، يَريبُني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها»[1]، وفي رواية: «إن فاطمة مِنِّي، وأنا أتخوَّفُ أن تُفتنَ في دينها، ثم ذكر صِهراً له من بني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاهرته إياه، قال: حدَّثني فصَدَقني، ووعدني فوفَّى لي، وإني لستُ أحرِّم حلالاً، ولا أحِلُّ حراماً، ولكنْ والله، لا تجتمع بنتُ رسولِ اللهﷺ وبنتُ عدوِّ الله أبداً»[2].

رحمته بالبنات (٣) وكان ﷺ شديد العطف على البنات:

فكان يخرج إلى المسجد وهو يحمل البنت من أهله، ويصلي وهو قائم يحملها، فإذا سجد وضعها.

عن أبي قتادة رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ كان يصلِّي وهو حامل أُمامةَ بنتَ زينب بنتِ رسولِ الله ﷺ ولأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس- فإذا سجد وَضَعَها، وإذا قام حمَلها)[3].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٢٣٠) [١٠٣٥].

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٣١١٠) [٥٩٥]

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥١٦) [٥١٣]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٥٤٣) [٢١٩]، واللفظ للبخاري.

وفي هذا إشارة إلى العناية بالبنات، وإظهار ذلك حتى في مواقف العبادة والتقرب إلى الله تعالى، وبخاصة في مجتمع كان يَكْرَهُ البنات لدرجة أن الرجلَ يواري وجهه من الناس من سوء ما بُشِّر به إذا وَلَدَت زوجتُه بنتاً.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة النحل].

رحمته بالبنات (٤) وكان ﷺ يبكي عند سماعه لرجل يصف وأد ابنته:

تقدم أنه في مجلس من مجالس رسول الله ﷺ مع أصحابه، ذكر رجل قصة وأده لابنته في الجاهلية وكيف كانت تستغيث به وهو يضع التراب فوقها وهي على قيد الحياة، فبكى رسول الله ﷺ من هذه الوحشية، وهذا الظلم الهائل الذي وقع على هذه الطفلة، ولما انتهى طلب منه أن يعيد القصة مرة ثانية لينبِّه الحاضرين إلى هول هذه الجريمة النكراء التي كانت ترتكب بحق الفتيات في المجتمع الجاهلي.

لقد ذكر هذا الرجل هذه القصة لرسول الله ﷺ بعد أن دخل في الإسلام وحَسُن إسلامه، والألم يعتصر قلبه من جريمته البشعة بعد أن أيقظ الإسلامُ إحساسَه، ونوَّر قلبه، ورقَّى مشاعره الإنسانية، لقد أتى إلى رسول الله ﷺ يسأله عن الخلاص مما ارتكبَت يداه، **فقال**:

(يا رسول الله! إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان، فكنا نقتل الأولاد، وكانت عندي ابنة لي، فلما أجابت، وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها -أي لتخرج معي-، فدعوتها يوماً فاتبعَتْني، فمررت حتى أتيت بئراً من أهلي غير بعيد، فأخذت بيدها، فَرَدَّيْتُ بها في البئر، وكان آخِرَ عهدي بها أن تقول: يا أبتاه! يا أبتاه! فبكى رسول الله ﷺ حتى وَكَفَ دمعُ عينيه، فقال له رجل من جلساء رسول الله ﷺ: أَحْزَنْتَ رسول الله ﷺ فقال له-أي النبي ﷺ-: «كُفّ، فإنه يسأل عمَّا أَهَمَّهُ»، **ثم قال له**: «أعد علي حديثك» فأعاد، فبكى حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته، **ثم قال له**: «إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا ،فاستأنِف عَمَلَكَ»[1].

وأرشده رسول الله ﷺ إلى أن الذي حدث قد مضى وانتهى، ولا يمكن إعادة الفتاة إلى الحياة، وعلى الرجل أن يعمل الصالحات ويجتهد، ويترك هذا الماضي البئيس، ويستأنف حياته الإسلامية بالاجتهاد في الأعمال الصالحة، وأما ما مضى فإن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، ويغفر الله لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ثم اهتدى.

وهكذا حرَّر النبي ﷺ المرأة، وقضى على هذه العادات الجاهلية الظالمة التي كانت تُمارَس بحقِّها، وأشرقت على المرأة شمس الحرية والكرامة، بجهود النبي الأكرم ﷺ وجهاده وكفاحه.

(١) رواه الدارمي في مقدمة سننه برقم (٢) [١/١٥٣].

وهنا يجب أن نتوقف قليلاً ونتساءل:

أمام كل هذه العطاءات العظيمة والخالدة التي قدمها النبي ﷺ للمرأة، لماذا يحمل غير المسلمين تصوراً عن واقع المرأة في الإسلام بعيداً كل البعد عن هذه الحقائق التي مرت معنا فأدهشتنا؟!!...

والجواب: أن هذا نتج عن الأسباب التالية:

أولاً: بُعْدُ المسلمين في واقعهم العملي عن تطبيق هذه التعاليم الإسلامية، بل أكثر من ذلك إن سلوك بعض المسلمين يعطي صورة منفرة عن الإسلام بسبب جهل المسلمين بحقائق إسلامهم...

ثانياً: إن جهل المسلمين بحقائق إسلامهم نابع من بعدهم عن موارد الثقافة والعلوم الإسلامية، فمعظمهم لا يقرؤون ولا يتعلمون شيئاً عن إسلامهم، وليس لهم ارتباط بالمعلمين ولا بالمربين الذين يعلمونهم أحكام الإسلام ويزكون نفوسهم...

والقليل من المسلمين من يحصل على ومضات من الثقافة والعلوم الإسلامية من خلال خطب الجمعة وما يسمعونه عرضاً من برامج إسلامية عبر شاشة التلفاز...

وهذا كله لا يسمن ولا يغني من جوع.

إن هذا التخلف الفكري والعلمي والعملي خطير جداً على مستقبل المسلمين...، فهم يبتعدون شيئاً فشيئاً عن إسلامهم ويفقدون بذلك أهم

مقومات وجودهم وتميزهم بين الأمم..، ولا حل إلا بعودتهم إلى معرفة الإسلام بسبب عدم اطلاعهم على المعارف الإسلامية.

ثالثاً: بعضٌ منْ غير المسلمين بينه وبين الإسلام حجاب بسبب واقع المسلمين، أو بسبب ثقافة الكراهية التي ينشرها أعداء الإسلام بينهم وتبذل الجهود الجبارة في سبيل ذلك(١)، في حين أن المسلمين نائمون وغافلون أو مقصرون فيما يجب عليهم تجاه تعريف غير المسلمين بإسلامهم...

حقيقة

وهكذا يُظلَم الإسلامُ بين جاهل غافل وبين عدو حاقد!!..
والأمل بأن تنهض أجيال الدعاة المتعاقبة للتعريف بالإسلام بحقيقته وجوهره بالأساليب الحكيمة المستندة إلى العلم والمعرفة العميقة بحقائق الإسلام، والاستفادة من كل وسائل الإعلام والاتصال المعاصرة....

ومع تقصيرنا الكبير فهناك عدد من كبار المؤرخين والباحثين الأوربيين من غير المسلمين، قدَّموا شهادات رائعة حول عظمة المكانة التي رفع النبيُ ﷺ والإسلامُ المرأةَ إليها..

يقول المؤرخ والباحث الدكتور غوستاف لوبون:

(والإسلامُ قد رفع حال المرأة الاجتماعي وشأنها رفعاً عظيماً بدلاً من خفضها، خلافاً للمزاعم المكررة على غير هدى، والقرآن قد منح المرأة حقوقاً

(١) انظر أمثلة على تلك الجهود [ص/١١ وما بعدها].

إرثية أحسن مما في أكثر قوانيننا الأوربية؛ كما أثبتُّ ذلك حينما بحثتُ في حقوق الإرث عند العرب) [1].

ويقول أيضاً:

(وهنا نستطيع أن نُكرر إذن قولنا: إن الإسلام الذي رفع المرأة كثيراً، بعيدٌ من خفضها، ولم نكن أول من دافع عن هذا الرأي، فقد سبقنا إلى مثله **كوسان دوبرسفال** ثم **مسيو بارْتِلْمي** سَنت هِيلر. ولم يقتصر فضل الإسلام على رفع شأن المرأة، بل نضيفُ إلى هذا **أنه أولُ دين فعل ذلك)** [2].

ويقول أيضاً:

(وإن الإسلام حسَّن حال المرأة كثيراً، وإنه أولُ دين رفع شأنها، وإن المرأة في الشرق أكثرُ احتراماً وثقافةً وسعادةً منها في أوربة على العموم تقريباً) [3].

* * *

(١) انظر: كتاب حضارة العرب للدكتور غوستاف لوبون [ص /٤٠١].

(٢) المصدر السابق [ص/٤٠٤ وما بعدها].

(٣) المصدر السابق [ص ٤١٥].

الراحمون يرحمهم الرحمن
ارحموا من في الأرض
يرحمكم من في السماء

رابعاً :رحمته ﷺ بأصحابه

جوانب رحمته ﷺ بأصحابه

١- من رحمته ﷺ أنه كان هيناً ليّناً رفيقاً طلق الوجه مهتماً بهم..

٢- من رحمته ﷺ أنه كان يعترف لهم بفضلهم عليه..

٣- من رحمته ﷺ أنه كان يُيسر لهم ولا يعسر عليهم..

٤- من رحمته ﷺ أنه كان يخفض جناحه ويتواضع لهم..

٥- من رحمته ﷺ أنه كان يعفو عنهم ويستغفر لهم و يحلم عليهم و يستسمح منهم..

٦- من رحمته ﷺ أنه كان عزيزاً عليه عَنَتهم وكان حريصاً عليهم وكان بهم رؤوفاً رحيماً..

٧- من رحمته ﷺ أنه كان يشاورهم في شؤون مختلفة..

٨- من رحمته ﷺ أنه كان يُنزلهم منازل التكريم..

٩- من رحمته ﷺ أنه كان يحزن ويبكي إذا مات أحدهم ..

١٠- من رحمته ﷺ أنه كان يزور مرضاهم ويبكي لألمهم...

١١- من رحمته ﷺ أنه كان يشهد جنائزهم ..

١٢- من رحمته ﷺ أنه كان يصحبهم ولا تعدو عيناه عنهم ، ويبني معهم علاقة محبة ومودة ووفاء..

١٣- من رحمته ﷺ أنه كان يتفقدهم ويدرس أحوالهم و يساعدهم على حل الصعوبات التي تواجههم..

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كانت رحمته ﷺ بأصحابه هبةً من الله تعالى، جعلها في قلبه الشريف، وتمثلت في أخلاقه وسلوكه، تأليفاً لقلوبهم ولیناً في معاملتهم، بعيداً عن الفظاظة والشدة، وسلاطة اللسان، وغلظة القلب، والاستعلاء والتكبر عليهم...

يقول الباري عز وجل : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

فالفظاظةُ وغِلظُ القلب تُفَرِّقُ وتشتتُ وتباعد بين القلوب والنفوس، واللطف والرقة واللين تجمع القلوب، وتؤلف بين النفوس، وتقرب بين الناس...

الفظاظة وغِلظة القلب تعبر عن نفسية الإنسان المتسلط الفاجر، واللطافة والرقة واللين تعبر عن نفس إنسانية زكاها الله تعالى بنور رحمته..

جوانب رحمة النبي ﷺ بأصحابه:

رحمته بأصحابه (١) كان ﷺ هيناً ليّناً رفيقاً طلق الوجه مهتماً بهم:

كان يُوجِّهُهم **ويقول لهم** :« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ ».[١]

وكان يقول: «إن الرِّفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزَع من شيء إلا شَانَهُ».[٢]

فقد كان رسول الله ﷺ ليِّن الجانب مع أصحابه بأقواله وأفعاله، فلا يُوبِّخ ولا يُعنِّف ولا يَصخب، بل كان معهم سهلاً طليقاً بسَّاماً...

لقد كان رسول الله ﷺ مع أصحابه سهلاً ليناً ليس بالجافي، فلا يجفو ولا يُقاطع أحداً منهم، ولم يكن يُهين أحداً منهم، ويُقبل عليهم ولا يُشيح بوجهه عنهم.

وكان ﷺ يقول: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» [٣].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم (٦٣٩٥) [١٢٢٨].

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (٢٥٩٤) [١٠٤٣].

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"برقم (٢٦٢٦) [١٠٥٤].

وكان يستجيب لهم ويقضي حوائجهم، ويستقبلهم ويطعمهم ويكرمهم، ويجمع كلمتهم، ويؤثرهم على نفسه، ولا تَعدُو عيناه عنهم، ويعلمهم علو الهمة وعزة النفس والشجاعة والإقدام والإنصاف من النفس..

وكان يصطنع المعروف لهم، وينعم عليهم، ويحسن إليهم فيقول: « إنَّ اللهَ كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ...[1] ».

وهو يستجيب بهذا **لقول الله تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [سورة النحل].

وقوله : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾[سورة البقرة].

فكان رسول الله ﷺ كلُّه إحسان لأصحابه، يُعلِّم جاهلهم، ويساعد فقيرهم، ويرحم ضعيفهم، ويفرج عن مكروبهم، ويُيَسِّرُ على معسرهم، ويوصل النفع إليهم، ويكف الأذى عنهم، ويزكيهم...

وكان يرشد ضالهم، ويخاطبهم على قدْر عقولهم، ويعطي كلَّ ذي حق حقه، ويتوسط ولا يتطرف في معاملتهم، ويسير بهم سيراً حسناً، ويستجلب لهم المصالح، ويدرأ عنهم المفاسد، ويُذيقهم حلاوة طعم الإيمان.

فعاشوا يتنعمون برفقه ولينه وطلاقة وجهه وإحسانه وفضله عليهم.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه"برقم (١٩٥٥) [٨٠٩]

رحمته بأصحابه (٢) كان ﷺ يعترف لهم بفضلهم عليه:

كان رسول الله ﷺ يكافئ أصحابه على معروفهم، بل كان يزيد ويحسن إليهم. فقد اعترف لسيدنا أبي بكر رضي الله عنه بجهوده في نصرته ﷺ ونصرة دينه، **فقال**: « إنَّ أَمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكرٍ، ولو كنت متَّخِذاً خليلاً لاتّخذت أبا بكرٍ، ولكن أخوَّةُ الإسلام ومودته، لا يَبْقينّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ، إلاّ بابُ أبي بكرٍ» (١).

واعترف للسيدة خديجة رضي الله عنها بجهودها في نصرته ﷺ ونصرة دينه، فقال فيما روته عائشة رضي الله عنها : « مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلادَ النِّسَاءِ.»(٢).

واعترف لأصحابه الأنصار بنصرته وتأييده، عندما أصاب الأنصارَ شيءٌ من الحزن لما قام رسول الله ﷺ بتوزيع غنائم غزوة حنينٍ على المؤلفة قلوبهم وعلى غيرهم، ولم يُوزِّع شيئاً منها على الأنصار، إلا لاثنين فقط لشدة فقرهما..

يقول أبو سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه :" لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا، في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيءٌ، وَجَد

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم (٤٦٦) [١١٠].
(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٤٨٦٤) [٣٥٦/٤١]، وهو صحيح.

هذا الحيُّ من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت فيهم القالة[1]، حتى قال قائلهم: لقد لقي -والله- رسول الله ﷺ قومه. فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال:يا رسول الله، إن هذا الحيَّ قد وجدوا عليك في أنفسهم، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت،قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يكُ في هذا الحي من الأنصار شيء.**قال** : «فأين أنت من ذلك يا سعد؟!» قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي قال: « فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة »، **قال**: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة، قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم **قال**: « يا معشر الأنصار: ما قالةٌ بلغتني عنكم، وجِدةٌ وجدتموها عليّ في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله، وعالةً فأغناكم الله، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟!»، قالوا: بلى الله ورسوله أمنُّ وأفضلُ، ثم **قال**:« ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟»، قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المنُّ والفضلُ. **قال**ﷺ:« أما والله لو شئتم لقلتم، فلَصَدقْتم ولصُدِّقْتُم :أتيتنا مكذَّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك[2]. أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعَاعَةٍ من الدنيا تألَّفت بها قوماً ليُسْلموا،

(١) القالة:كثرة الكلام و اللغط.

(٢) أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا.

ووكلْتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امْرَأً من الأنصار، ولو سلك الناس شِعْباً وسلكت الأنصار شِعْباً، لسلكت شِعْب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.» قال:فبكى القوم حتى أخْضَلُوا لِحَاهُم[1]، وقالوا: رضينا برسول الله قَسْماً وحظاً. ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرقوا"[2].

وكان رسول الله ﷺ يقول بحق الأنصار اعترافاً بفضلهم : «آيةُ الإيمان حب الأنصار وآيةُ النفاق بغض الأنصار»[3].

وهنا أسأل هل نحن نعترف لأهل الفضل بفضلهم؟!..

هل نعلن ذلك للناس شكراً لهم ؟!.. أم نقابل المعروف بالإساءة والأذى والنكران ؟!..

والنبي ﷺ يوجهنا فيقول: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»[4].

---

(١) بلّوها بالدموع.

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٤/٤٩٨وما بعدها).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٣٧٨٤) [٧٢٠]

(٤) أخرجه أبو داود في سننه برقم (١٦٧٢) [١٩٧]، وهو صحيح.

رحمته بأصحابه (٣) وكان ﷺ يُيسر لهم ولا يعسر عليهم:

كان يُيَسّرُ على أصحابه في عبادتهم فيقول : «إذا نعسَ أحدكم في الصلاة فلينم حتى يعلم ما يقرأ»(١).

وجاء في صحيح البخاري عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: «آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة.فقال لها :ما شأنك ؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال:كُلْ، قال: فإني صائم، قال :ما أنا بآكلٍ حتى تأكل قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال: نم. فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان : قم الآن. فصليا.فقال له سلمان :إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعطِ كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له. **فقال النبي** ﷺ :« صدق سلمان»(٢).

وكان ﷺ يُيَسِّر على أصحابه بشكل عام **فيقول** : «يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يملُّ حتى تَمَلُّوا، وإن أحبّ الأعمال إلى الله ما دام وإن قلّ»(٣).

وكان يوصيهم بالتيسير على الناس، فقد أوصى أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل لما بعثهما إلى اليمن، **فقال**: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا،

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢١٣) [٦٤]
(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١٩٦٨) [٣٧٣].
(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٨٦١) [١١٤٤].

وتطاوعا ولا تختلفا»[1]. وكان ﷺ يخاطب أصحابه **ويقول**: «إنما بعثتم مُيَسِّرين، ولم تبعثوا مُعَسِّرين»[2].

وكان ﷺ يحثهم على التيسير على المسلمين، **فيقول**: «من نفَّس عن مؤمن كُرْبة من كُرَب الدنيا نفَّس الله عنه كُرْبة من كُرَب يوم القيامة، ومن يسَّر على مُعسِر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه...»[3].

حتى إن الصحابة كانوا يقولون: «مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إلاّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ، فَإِن كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ الناس مِنْهُ، ومَا انْتَقَمَ رسول الله لِنَفْسِهِ إلا أن تُنْتَهَكَ حُرمَةُ اللَّهِ عز وجل»[4].

وهنا أسأل: أليس بعض العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، يبادرون بالأخذ بمبدأ التشديد وفي أمور فرعية وشكلية، ليظهروا بأنهم أشد فقهاً في الدين، بينما يتسع الدين للناس بالتيسير ورفع الحرج في هذه المسائل ؟!!.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٣٠٣٨) [٥٨١].

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٦١٢٨) [١١٨٢].

(٣) أخرجه مسلم في" صحيحه" برقم (٢٦٩٩) [١٠٨٢].

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٦٧٨٦) [١٢٩٥] وأخرجه مسلم في" صحيحه" برقم (٢٣٢٧) [٩٥٠] واللفظ لمسلم.

رحمته بأصحابه (٤) وكان ﷺ يخفض جناحه ويتواضع لهم:

كان رسول الله ﷺ يعامل أصحابه بمنتهى التواضع استجابةً لدعوة ربه جل وعلا حينما خاطبه بقوله :﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [سورة الشعراء].

يقول أنس بن مالك ﷺ واصفاً تواضع النبي ﷺ لأصحابه :« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ لُطْفًا بِالنَّاسِ، وَاللَّهِ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْتَنِعُ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ مِنْ عَبْدٍ وَلاَ أَمَةٍ وَلاَ صَبِيٍّ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْمَاءِ، فَيَغْسِلَ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ، وَمَا سَأَلَ سَائِلٌ قَطُّ أُذُنَهُ إِلاَّ أَصْغَى إِلَيْهِ، وَلاَ يَنْصَرِفُ عَنْهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْصَرِفُ، وَمَا تَنَاوَلَ آدَمِيٌّ يَدَهُ قَطُّ إِلاَّ آتَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمْ يَدَعْهَا مِنْهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَدَعُهَا مِنْهُ.»[(١)].

وكان ﷺ يعيش معهم بتواضع لا يُميز نفسه عنهم، **يقول عبد الله بن مسعود** ﷺ :كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كل ثلاثة عَلَى بَعِيرٍ قال: وَكَانَ عَلِيٌّ وَأَبُو لُبَابَةَ زَمِيلَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قال: وَكَانَ إِذَا كَانَتْ عُقْبَتُهُ [(٢)] قلنا: ارْكَبْ حتى نَمْشِي. **فيقولُ** ﷺ: « ما أنتما بِأَقْوَى مِنِّي وما أنا بأغنى عَنِ الأَجْرِ منكم»[(٣)].

(١) المطالب العالية لابن حجر العسقلاني برقم(٣٨٢٩)[٥٩٧/١٥].
(٢) دوره في المشي.
(٣) أخرجه الحاكم في "مستدركه"برقم(٤٣٥٨) [٢٥/٣]، وقال:هذا حديث صحيح، ووافقه الذهبي.

الله أكبر!! ما أعظمك يا رسول الله من قدوة حسنة !!. ما أعظم تواضعك لأصحابك!!.كم نحن بحاجةٍ إلى تواضعك وإنصافك وعدلك!!..فإنك لا ترغب في أن تميز نفسك عن أصحابك...فداك أبي وأمي ونفسي ومالي وأهلي يا رسول الله... كم نحن بحاجة وبخاصة الدعاة لهذه الأخلاق الحميدة، وإلى هذه الأخلاق العظيمة!.

أليس بعضنا يعيش في برج عاجي مترفعاً عن إخوانه ويحيط نفسه بهالة من القداسة والتعظيم والحاشية المعظِّمة له مما لا يليق بمقام الدعوة والقدوة على الطريقة النبوية ؟!!..

رحمته بأصحابه (٥) وكان ﷺ يعفو عنهم ويستغفر لهم ويحلم عليهم ويستسمح منهم:

أمره ربه تعالى فقال له :﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [سورة الأعراف].

فكان رسول الله ﷺ يعفو عن أصحابه، ويستر زلتهم، ولا يُذيع سرهم، ويتغاضى عن هفواتهم، ويستغفر لهم، ويدعو الله تعالى لهم...

وكان رسول الله ﷺ يحفظ لأصحابه أعمالهم الطيبة ولا ينساها، وإذا أخطأ أحدهم يوماً فلا ينكر كل أعماله الخيِّرة السابقة، بل يجعلها مخرجاً لزلّته وخطيئته، ويفتح له باباً واسعاً لإصلاح ما أفسد فيعفو عنه ويغمره بصفحه..

وهذا ما حدث مع حاطب بن أبي بلتعة ﷺ فيما رواه سيدنا علي ﷺ فقال: (بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود **فقال** :«انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[1] فإن بها ظعينة[2] ومعها كتاب فخذوه منها ». قال: فانطلقنا تعادى[3] بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا لها: أخرجي الكتاب. قالت :ما معي من كتابٍ!! فقلنا: لتُخرجِنّ الكتاب أو لنُلقينّ الثياب.قال: فأخرجته من عقاصها[4]. فأتينا رسول اللهﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. **فقال رسول الله** ﷺ :« يا حاطب ما هذا؟». قال: يا رسول الله، لا تعجل عليَّ، إني كنت امرأً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات بمكة بها يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، وما فعلت كفراً ولا ارتداداً ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام. **فقال رسول الله** ﷺ :« لقد صَدَقَكم». فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. **فقال**ﷺ : « إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطَّلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »)[5].

---

(١) موضع بقرب حمراء الأسد.

(٢) المرأة في الهودج.

(٣) أي: تجري.

(٤) ذوائبها المضفورة.

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم (٣٠٠٧) [٥٧٥].

هكذا إذن يجب أن نعمل !!..

فكيف بكم بمن يُجرِّمُون الأبرياء، ويؤذون الأولياء، ويهينون الدعاة الأتقياء، وينسبون إليهم كذباً وزوراً وبهتاناً ما لم يفعلوه، ويُشوهون سيرتهم، وينتقصون من إنجازاتهم، ويجعلون من المعروف منكراً، ومن المنكر معروفاً !!.

فبأيِّ وجهٍ سيقابل هؤلاء رب الأكوان، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ..

وكان رسول الله ﷺ يستسمح من أصحابه مخافةَ أن يصيب أحداً منهم بمظلمة من غير قصد..،من أجل ذلك **كان يقول النبي** ﷺ :« إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أُفَارِقَكُمْ وَلا يَطْلُبَنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ بِمَظْلِمَةٍ ظَلَمْتُهُ» (١)

لقد كان الحساب بين يدي الله تعالى هاجسه الذي لا ينقطع، مع أنه في مقام النبوة، وقد غفر الله تعالى له، وأعطاه المقام المحمود، والحوض المورود، وجعله سيد ولد آدم، وجعله خير من تنشقُّ عنه الأرض يوم القيامة.. ومع كل ذلك، كان يحاسب نفسه، ويطلب أكمل المقامات، ولا ينسى أنه بشر...

يقول النبي ﷺ: « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٢)

(١) أخرجه ابن ماجه في" سننه " برقم(٢٢٠١) [٢٣٨]، وهو صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في" صحيحه" برقم (٢٦٠٣)[١٠٤٦].

رحمته بأصحابه (٦) و كان عزيزاً عليه ﷺ عَنَتُهُم [١] وكان حريصاً عليهم، وكان بهم رؤوفاً رحيماً:

وصفه ربه جل جلاله فقال :﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [سورة التوبة].

وكان من رحمته ﷺ بأصحابه أنه يأخذُ بظواهرهم، ولا يُنقِّبُ في بواطنهم، وكان **يقول**: «إني لم أؤمر أن أُنقِّبَ عن قلوب الناس ولا أشقَّ بطونهم»[٢].

ومن رحمته ﷺ بأصحابه أنه كان يبتعد عن كل فعل أو أمر يوقعهم بالمشقة، لذلك **كان يقول** :« لولا أن أشقَّ على المؤمنين –وفي رواية: على أمتي– لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[٣]، وفي رواية : «مع كل وضوء»[٤].

وكان ﷺ يقول: «...والذي نفس محمد في يده لولا أن أشقَّ على المؤمنين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله، ولكن لا أجد سعةً فأحملهم، ولا يجدون سعةً فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي»[٥].

---

(١) مشقتهم.
(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٤٣٥٧) [٨٢٢].
(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه"برقم (٢٥٢) [١٢٧]، والبخاري برقم [٧٢٤٠] (ص/١٣٨١) ، واللفظ لمسلم .
(٤) أخرجه النسائي في "سننه الكبرى" برقم (٣٠٣١) [٢٩١/٣]، وهو صحيح.
(٥) أخرجه مسلم في "صحيحه"برقم (١٨٧٦) [٧٨٢]، والبخاري برقم [٢٩٧٢] (ص/٥٧٠) واللفظ لمسلم.

وكان ﷺ يقول :« لولا أن أشقَّ على أمتي لأَخَّرت العشاء إلى ثلث الليل أو شطر الليل»[(١)].

وكان ﷺ يقول: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمعُ بكاءَ الصبي فأتجوَّز[(٢)] في صلاتي مما أعلم من شدَّة وَجْدِ[(٣)] أمه من بكائه»[(٤)].

رحمته بأصحابه (٧) و كان ﷺ يشاورهم في شؤون مختلفة:

وكان رسول الله ﷺ يرسِّخ مبدأ التشاور بين أصحابه بأقواله وأعماله، ويرشدهم إلى الأخذ بهذا المبدأ العظيم في حياتهم...

يقول أبو هريرة رضي الله عنه : (ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ)[(٥)].

وكان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في شؤون مختلفة...

فقبل معركة بدر وأثناء التحضير للمعركة شاور ﷺ أصحابه وطلب منهم إبداء رأيهم « فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال وأحسنَ. ثم قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال وأحسنَ. ثم قام المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال : يا رسول الله، امضِ لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى:

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم (١٥٣٩) [٤٠٦/٤]،وهو صحيح.
(٢) أخفف القراءة في الصلاة.
(٣) حزنها من بكائه.
(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٧٠٩) [١٤٩]
(٥) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم (٤٨٧٢) [٢١٦/١١]،وهو صحيح.

﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[سورة المائدة] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد[1] لجالدنا معك من دونه، حتى تبلغَه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له به، ثم **قال** ﷺ: « أشيروا عليّ أيها الناس » وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عَدَدُ الناس، وأنهم حين بايعوه العقبة قالوا : يا رسول الله، إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوَّف ألاّ تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟. **قال** : « أجل »، قال سعد بن معاذ : فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصُبُر في الحرب، صُدُق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تَقَرُّ به عينك، فسِرْ بنا على بركة الله. فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعدٍ ونشَّطه ذلك ثم قال: «سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم»[2].

(١) موضع بناحية اليمن.

(٢) انظر سيرة ابن هشام [٢/٦١٤وما بعدها]

ثم شاورهم ﷺ مرة أخرى في المنزل...،**قال ابن اسحاق**:(ذكروا أن الحُباب بن المنذر بن الجَموح قال:" يا رسول الله؟ أرأيتَ هذا المنزل، أمنزلاً أنزلَكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخَّر عنه، أم هو الرأيُ والحربُ والمكيدةُ؟" **قال**: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة». فقال:" يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فَنَنْزله، ثم نُغَوِّر ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضاً فنَمْلؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون"، **فقال رسول الله** ﷺ: «لقد أشرتَ بالرأي». فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقُلُب فغُوِّرت، وبنى حَوْضاً على القَليب الذي نزل عليه فمُلِئَ ماءً، ثم قذفوا فيه الآنية.)[1]. **وفي هذا دليل على مشاورة أهل العلم والاختصاص**

وخرج مرةً مع عدد من أصحابه يريد العمرة، وبعث بين يديه عيناً [2] إلى مكة ليخبره عن خطط قريش، فرجع إليه الرجل ليخبره بأن كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد أعدوا العدّة لصَدِّ النبي ﷺ عن البيت الحرام، وجمعوا له الأحابيش[3] وجموعاً أخرى، **فقال النبي** ﷺ : « أَشِيرُوا عَلَي. أَتَرَوْنَ أَنْ نَمِيلَ إِلَى ذَرَارِيِّ هَـؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ. فَإِنْ قَعَدُوا، قَعَدُوا مَوْتُورِينَ[4] مَحْزُونِينَ، وَإِنْ نَجَوْا يَكونوا عُنُقًا قَطَعَهَا اللَّهُ. أَمْ تَرَوْنَ أَنْ نَؤُمَّ الْبَيْتَ فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، يَا نَبِي اللَّهِ إِنَّمَا جِئْنَا

(١) انظر المصدر السابق [٢/٦٢٠].

(٢) أي : رجلاً يستطلع الأخبار.

(٣) جماعة مجتمعة من القبائل (مرتزقة).

(٤) مسلوبين قد أصيبوا بحرب و مصيبة.

مُعْتَمِرِينَ وَلَمْ نَجِئْ لقتال أَحَدٍ وَلَكِنْ مَنْ حَال بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ قَاتَلْنَاهُ. **فَقَالَ النَّبِي** ﷺ :« فَرُوحُوا إِذًا»(١).

وكان النبي ﷺ يشاور أصحابه حتى في مشكلة عائلية تخصه، ففي حادثة الإفك التي طعن فيها المنافقون في شرف أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، قام رسول الله ﷺ خطيباً فتشهّد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم **قال**: « أما بعد أشيروا عليَّ في أناسٍ أبَنوا أهلي(٢)، وايم الله ما علمت على أهلي من سوءٍ، وأبَنوهم بمن ؟! والله ما علمت عليه(٣) من سوءٍ قط، ولا يدخل بيتي قط إلا وأنا حاضر، ولا غبت في سفر إلا غاب معي » (٤).

وشاور النبي ﷺ أصحابه في أسرى بدر، **فقال**: « ما ترون في الأسارى»(٥).

وشاورهم قبل معركة أحد: أَيخرجُ من المدينة ليلقى قريشاً أم يتحصّنُ بالمدينة فيلقاهم وهو متحصن بها؟ وكان النبي ﷺ يرغب أن يبقى في المدينة حسب الرؤيا التي رآها، ولكن شباب الصحابة المتحمسين أرادوا الخروج لملاقاة عدوهم، فتنازل النبي ﷺ عن رأيه إلى رأيهم(٦).

وفي هذا دليل على الأخذ برأي الأكثرية

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم (٤٨٧٢) [٢١٦/١١]،وهو صحيح.

(٢) أي: اتهموهم و ذكروهم بالسوء.

(٣) هو الصحابي الجليل صفوان بن المعطل.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم (٤٧٥٧) [٩٢٥]

(٥) انظر: تفسير القرطبي [٧٢/١٠] وتفسير الطبري[٢٧٥/١١]

(٦) انظر: سيرة ابن هشام [٦٣/٣].

هكذا كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه، وينشر بينهم ثقافةَ الشورى حتى أصبحت عبارة (**أشيروا عليَّ أيها الناس**) من أشهر العبارات والمبادئ والقواعد التي انتشرت في ثقافة المسلمين، فلا يوجد خليفة من أبي بكر إلى عمر إلى عثمان إلى علي إلى الأمراء والولاة إلى قادة الجيوش إلا تكلم بها واستعملها بكثرة.

رحمته بأصحابه (٨) وكان ﷺ يُنْزِلهم منازل التكريم:

كان النبي ﷺ يجالس أصحابه، ويصحبهم، ويدرس شخصياتهم، ويدقق في مواهبهم، ويختار لهم مجالات الاختصاص التي يبرعون فيها أكثر من غيرهم، فيعلنها تكريماً لهم، وتنبيهاً للمسلمين ليستفيدوا منهم.

فخالد بن الوليد الذي **قال**: (لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية)[(١)]،وصفه رسول الله ﷺ بأنه سيف من سيوف الله.

روى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحةَ للناس قبل أن يأتيَهم خبرهم، **فقال**:« أخذ الرايةَ زيدٌ، فأُصيب، ثم أخذ جعفرٌ، فأُصيب، ثم أخذ ابن رواحةَ، فأُصيب –وعيناه تذرِفان– حتى أخذ الرايةَ سيفٌ من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم (٤٢٦٥) [٨٠٧].
(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم (٤٢٦٢) [٨٠٦].

ووصف النبي ﷺ خالداً **فقال**: «لا تؤذوا خالداً فإنه سيفٌ من سيوف الله صبَّه الله على الكفار»[1] **وقال** ﷺ: « خالد بن الوليد سيف من سيوف الله ونعم فتى العشيرة»[2]

وقد وصف رسول الله ﷺ نفراً من أصحابه بما يتميزون به، **فقال**: « أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ ، ألا إن لكل أمة أميناً وإنّ أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[3].

وعن أنس رضي الله عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ، فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام، قال: فأخذ بيد أبي عبيدة فقال ﷺ: «هذا أمين هذه الأمة »[4].

ويقول النبي ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب»[5].

---

(١)أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم (٧٠٩١) [٥٦٥/١٥]، وهو صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه"برقم (٣) [٣٠٣/١١] وهو صحيح.

(٣) أخرجه الحاكم في "مستدركه"برقم (٥٨٥٤) [٥١٩/٣] وهو صحيح.

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه"برقم (٢٤١٨) [٩٨٥]

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم (٣٨٠٨) [٧٢٤]

ويخاطب النبي ﷺ سيدنا عمر رضي الله عنه **قائلاً** :« إِيهٍ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلاّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ »[1].

ويشير النبي ﷺ إلى مكانة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه **فيقول**: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيَّ بعدي»[2].

وخاطبه أيضاً :«أنت مني وأنا منك »[3].

وخاطب النبي ﷺ أصحابه **فقال**: «لأعطينَّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله»[4].

فأعطاها لسيدنا علي رضي الله عنه ...

ويؤكد النبي ﷺ على مكانة سيدنا علي رضي الله عنه فيقول لأصحابه يوم غدير خُمٍّ :«ألستم تعلمون أني أولى الناسِ بالمؤمنين من أنفسِهم؟ »قالوا :بلى يا رسول الله. **قال**: «مَن كنتُ مولاه فإنَّ هذا مولاه، اللهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه»[5].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم (٦٠٨٥) [١١٧٦]

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم (٣٧٠٦) [٧٠٩] وأخرجه مسلم في"صحيحه"برقم (٢٤٠٤) [٩٧٩]، واللفظ له.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٤٦٧٨) [١٣٩١/٣] و قال :هذا حديث صحيح الإسناد.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم (٤٢١٠) [٧٩٩].

(٥)أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم (٦٩٣١) [٣٧٥/١٥]، وهو صحيح.

ويشير النبي ﷺ إلى شجاعة سيدنا أبي طلحة رضي الله عنه **فيقول**:« لَصوتُ أبي طلحة في الجيش خيرٌ من ألف رجلٍ» [1]

وخاطب ﷺ سيدنا أبا موسى الأشعري رضي الله عنه بقوله: « لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحةَ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»[2]وهو يشير بذلك إلى جمال وحُسْن قراءته..

وينبه النبي ﷺ إلى علو مكانة سيدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه ، فيطالب الأنصار أن يقوموا له، :«قوموا إلى سيدكم » أو « إلى خيركم » فجاء حتى قعد إلى رسول الله ﷺ .[3]

ويشير النبي ﷺ إلى رجاحة عقل سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنه ، **فيقول**: «عمارٌ، ما عُرِض عليه أمران إلا اختارَ الأرْشَدَ منهما» [4]

وقال رسول الله ﷺ للأشَجِّ، أشجِّ عبد القيس: «إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله : الحِلمُ والأناةُ » [5]

فائدة

و هكذا يستكشف النبي ﷺ مواهب أصحابه، ثم يعلنها، ثم يوظفها في خدمة العمل الإسلامي ، و يكرِّم أصحابه ، ويُنزلهم منازلهم... فهل يستفيد دعاتنا من هذه الدروس العملية فيقتدون برسول الله ﷺ؟!!..

(١)أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٥٥٧٠) [٤٣١/٣] ،وإسناده صحيح.
(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"برقم (٧٩٣) [٣١١]
(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٥٢١٥) [٥٦٠] وهو صحيح.
(٤) أخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم(١٤٨) [٣٢] وهو صحيح.
(٥)أخرجه مسلم في "صحيحه"برقم (١٧) [٤١].

رحمته بأصحابه (٩) و كان ﷺ يحزن ويبكي إذا مات أحدهم:

فمن رحمته بأصحابه أنه كان يبكي لموتهم، فعَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَبَّلَ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ وَهُوَ مَيِّتٌ وَهُوَ يَبْكِي أَوْ قَالَ : عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ[(١)].

رحمته بأصحابه (١٠) و كان ﷺ يزور مرضاهم ويبكي لألمهم:

فمن رحمته ﷺ بأصحابه أنه كان يذهب لعيادة أحدهم إذا مرض. وكان ﷺ يتأثر بحالهم، ويتألم لألمهم، ويشعر بمشاعرهم، عاد النبيُّ ﷺ سعدَ بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنهم-، فلما رأى النبي ﷺ سيدنا سعداً بكى، فلما رأى القومُ بكاءَ رسول الله ﷺ بكَوا، فقال ﷺ: «**ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذبُ بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذبُ بهذا**ـوأشار إلى لسانهـ **أو يرحمُ، وإن الميت يعذَبُ ببكاء أهله عليه**»[(٢)]، هكذا يعلِّمك رسول الله ﷺ، إذا ذهبتَ لعيادة أخ في الله، فخذ معك عدداً من الإخوة، فهذا يشعره بالمواساة، وباهتمام أكبر.

(١) أخرجه الترمذي في "سننه"برقم (٩٨٩) [١٧٨] وهو صحيح.
(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم (١٣٠٤) [٢٥٤].

رحمته بأصحابه (١١) و كان ﷺ يشهد جنائزهم:

عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه رضي الله عنهما **قال**: «كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم»[(١)].

رحمته بأصحابه (١٢) وكان ﷺ يصحبهم، ولا تعدُ عيناه عنهم، ويبني معهم علاقة محبة ومودة ووفاء :

كان ﷺ يعمل على التواصل معهم، وعلى مصاحبة أكبر عدد منهم، حتى يشعروا بقربه، ومن خلال قربه منهم يتعرف أحوالهَم وخصائصهم. **يقول أنس بن مالك** رضي الله عنه :«كان رسول الله ﷺ إذا غزا أو سافر أردف كل يوم رجلاً»[(٢)] أي : أَرْكبَ خلفه كل يوم أحدَ أصحابه.

وكان لا يتركهم ولا تَعدُ عيناه عنهم رعايةً واهتماماً.

قال أبو هريرة: وجاء الوحي وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا، فإذا جاء فليس أحدٌ يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي، فلما انقضى الوحي **قال رسول الله** ﷺ: «يا معشر الأنصار». قالوا: لبيك يا رسول الله. **قال**: «قلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته». قالوا: قد كان ذاك. **قال**: «كلا إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم والممات مماتكم ». فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قُلنا إلا

(١) المطالب العالية لابن حجر العسقلاني، برقم (٢٥٢٥) [٢٩٤/١١].
(٢) أخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" برقم (١٦٠٣) [٤٨٠/٣]

الـضِّنَّ[1] بـالله وبرسـوله. **فقـال رسـول الله** ﷺ «إن الله ورسـوله يُـصَدِّقانِكُمْ ويَعْذُرَانِكُم»[2].

رحمته بأصحابه (١٣) و كـــان ﷺ يتفقـــدهم، ويـــدرس أحـــوالهم، ويساعدهم على حل الصعوبات التي تواجههم :

عن أنس رضي الله عنه **قال**: (كان ﷺ إذا فَقَدَ الرَّجُلَ من إخوانه ثلاثة أيام سـأل عنـه، فـإن كـان غائبـاً دعـا لـه، وإن كـان شـاهداً زاره، وإن كـان مريضاً عاده.)[3].

وكـان يـدرسُ أحـوال أصـحابه ويطمئنُّ على شؤونهم حتى الخاصة منهـا، **فعن جابر** رضي الله عنه **قال**: كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة، فلما قَفَلنا، تعجلت على بعير قطوف[4] فلحقني راكب من خلفي، فالتفتُّ فإذا أنا برسول الله ﷺ قال: «ما يعجلك؟». قلت: إني حديث عهد بعرس. **قال**: «فبكراً تزوجت أم ثيباً؟ ». قلت: بل ثيباً، **قال**: « فهلاّ جارية تلاعبها وتلاعبك؟!» [5].

(١) أي شحاً بك أن تفارقنا.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (١٧٨٠) [٧٤٠].

(٣) المطالب العالية لابن حجر العسقلاني برقم (٢٤٧٤) [١٢٠/١١].

(٤) أي: بطيء في السير.

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٢٤٥) [١٠٣٧].

انظروا إلى هذه العلاقة الحميمة بين رسول الله ﷺ وبين أصحابه الكرام، وفي هذا درس بليغ للدعاة...

فائدة

لا يمكن أن تُبنى الدعوة إلا على علاقة وشيجة وعميقة بين الداعي إلى الله وإخوانه وأصحابه، علاقة قائمة على المحبة في الله، واللطف والرَّحمة واللين والمواساة والمؤازرة والتماس الأعذار لهم..

إنَّ هذا الذي مر معنا في بحث رحمة النبي ﷺ بأصحابه، فيه عبرٌ عظيمةٌ يحتاج إليها جميع العاملين في حقل الدعوة الإسلامية من دعاة ومربين.

فهلاَّ دققنا... وتفحصنا... واعتبرنا... وحلَّلنا... واقتدينا...

* * * * *

كل يعمل على شاكلته

الفصل الثالث

رحمته ﷺ بغير المسلمين

عناوين الفصل الثالث

أولاً: رحمته ﷺ بالمعاهدين.

ثانياً: رحمته ﷺ بالمنافقين.

ثالثاً: رحمته ﷺ بالمشركين.

أولاً. رحمته ﷺ بالمعاهدين

جوانب رحمته ﷺ بالمعاهدين.

- تمهيد.

أولاً: من هم المعاهدون؟.

ثانياً: المستأمنون وبعض ما يتعلق بهم.

- رحمته ﷺ بغير المسلمين وذلك بتأمين حقوقهم الإنسانية العامة.

١- حق الحياة.

٢- حق الاعتقاد والتدين.

٣- حق الحرية.

٤- حق العدل.

٥- حق المساواة من الناحية الإنسانية.

٦- حق رعاية الشيخوخة.

٧- حق الغذاء.

٨- حق الكرامة الإنسانية.

٩- حق التملك والتصرف والمساواة مع المسلمين في المعاملات المالية.

١٠- حق الحماية القضائية.

١١- حق تولي وظائف الدولة.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

أولاً: من هم المعاهدون؟

أهل الذمة والمستأمنون هم معاهدون، وهم غير مسلمين.

يقول ابن حجر رحمه الله: والمراد بالمعاهَد: من له عهد مع المسلمين، سواء كان بعقد جزية، أو هدنة من سلطان، أو أمان من مسلم[1].

١- أهل الذمة وبعض ما يتعلق بهم:

هم أهل العهد والضمان والأمان من الله ورسوله والدولة الإسلامية، على أن يعيشوا في حمايتها أحراراً آمنين.

وليس في كلمة الذمة تحقيرٌ لأهلها، بل رفعٌ لشأنهم وإكرامُهم، فمعنى أنت في ذمتي أي أنت في ضماني وحمايتي، أدفع عنك الأذى كما أدفعه عن نفسي، وأحميك كما أحمي أهلي وقرابتي.

(١) انظر فتح الباري لابن حجر برقم (٦٩١٤) [٢٥٩/١٢].

۞ مفهوم عقد الذمة:

(**وعقد الذمة:** عقد يصير بمقتضاه غير المسلم في ذمة المسلمين -أي في عهدهم وأمانهم على وجه التأبيد- وله الإقامة في دار الإسلام . الدولة الإسلامية . على وجه الدوام)[1].

وعقد الذمة يشبه عقد التَجَنُّس في الوقت الحاضر[2].

وعقد الذمة لا يستطيع المسلمون نقضه إلا إذا التحق الذمي بدولة محاربة للمسلمين، أو بغى على الدولة الإسلامية.

وشروط عقد الذمة:

١- التزام أحكام الإسلام؛ أي قوانين الدولة الإسلامية.

٢- دفع الجزية.

۞ مفهوم الجزية تاريخياً:

والجزية: هي ضريبة سنوية تفرض على غير المسلمين الذي دخلوا في ذمة الله ورسوله والمسلمين، أي في ضمانهم وأمانهم وحمايتهم، ولا تجب الجزية على الرهبان والنساء والصبيان، ولا على المرضى المزمنين، والعميان والشيوخ كبار السن، والفقراء الذين لا قدرة لهم على العمل والكسب.

(١) انظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام، الدكتور عبد الكريم زيدان [ص/٢٢].
(٢) المصدر السابق [ص/٢٤].

وتسقط الجزية إذا صار الذمي فقيراً، أو مريضاً مرضاً مزمناً أو أصبح شيخاً هرماً، أو إذا عجزت الدولة الإسلامية عن حماية أهل الذمة، أو إذا شاركوا المسلمين في الدفاع عن الدولة الإسلامية.

وأهل الذمة غير مكلفين بواجب الدفاع عن الدولة كما ألزم بذلك المسلم، ولهم أن يساهموا بهذا باختيارهم؛ **فتسقط عنهم الجزية** -كما ذكرنا آنفاً- **ويفرض بالمقابل على المسلم الزكاة والجهاد، ولا يفرضان على أهل الذمة**، وتفرض هذه الضريبة على أهل الذمة مقابل حمايتهم وأمانهم من قبل الدولة الإسلامية.

ومن الشواهد على هذا أنه لما صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة كتب لهم عقد ذمة جاء فيه:

(هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه، إني عاهدتكم على الجزية والمنعة.. فلَكَ الذمة والمنعة، فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا؛ فلا حتى نمنعكم) [1].

ومعنى الآية: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [سورة التوبة] أي منقادون وخاضعون لقوانين الدولة، وأما الذين يفسرونها بالدفع مع الإهانة فقد أخطؤوا؛ لأن هذا يتناقض مع مبادئ الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة[2].

(١) تاريخ الطبري [٣٦٧/٣]

(٢) انظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام د.عبد الكريم زيدان [ص ١٤٦ وما بعدها].

ويشهد المؤرخ والباحث توماس آرنولد على هذه الحقائق فيقول:

[وكانت الضريبة لا تُجبى إلا من الذكور القادرين، ولا تجبى من النساء والصبيان، وكذلك كان يستثنى من أداء الجزية المسكين الذي يتصدق عليه، والشيخ الفقير الفاني الذي لا يستطيع العمل، كما أُعفي الأعمى والأعرج والمريض الذي لا يرجى شفاؤه، والمغلوب على عقله إلا إذا كان من أصحاب اليسار، وكما أُعفي المترهبون الذين في الديارات، وأهل الصوامع... وقد أُوصي جباة الجزية أن يُظهروا الشفقة بأهل الذمة بوجه خاص فلا يظلموهم ولا يؤذوهم في المعاملة ولا ينزلوا بهم عقاباً جسمانياً إذا لم يؤدوا الجزية، ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيين، كما يريدنا بعض الباحثين على الظن، لوناً من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام، وإنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة وهم غير المسلمين من رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة في الجيش، في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين. ولما قدّم أهل الحيرة المال المتفق عليه، ذكروا صراحة أنهم إنما دفعوا هذه الجزية على شريطة (أن يمنعونا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم).

وكذلك حدث أن سجّل خالد في المعاهدة التي أبرمها مع بعض أهالي المدن المجاورة للحيرة قوله : (فإن منعناكم فلنا الجزية؛ وإلا فلا)، ويمكن الحكم على مدى اعتراف المسلمين الصريح بهذا الشرط من تلك الحادثة التي وقعت في حكم الخليفة عمر. لما حشد الإمبراطور هرقل جيشاً ضخماً لصد قوات المسلمين المحتلة، كان لزاماً على المسلمين نتيجة لما حدث، أن يركزوا كل

نشاطهم في المعركة التي أحدقت بهم، فلما علم بذلك أبو عبيدة قائد العرب، كتب إلى عمال المدن المفتوحة في الشام يأمرهم بأن يردوا عليهم ما جُبي من الجزية من هذه المدن، وكتب إلى الناس يقول: (إنما رددنا عليكم أموالكم؛ لأنه بلغنا ما جُمع لنا من الجموع، وإنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم)، وبذلك ردت مبالغ طائلة من مال الدولة، فدعا المسيحيون بالبركة لرؤساء المسلمين، وقالوا: (ردّكم الله علينا ونصركم عليهم . أي على الروم .، فلو كانوا هم؛ لم يردوا علينا شيئاً وأخذوا كل شيء بقي لنا).

وقد فرضت الجزية كما ذكرنا على القادرين من الذكور مقابل الخدمة العسكرية التي كانوا يطالبون بأدائها لو كانوا مسلمين. ومن الواضح أن أي جماعة مسيحية كانت تعفى من أداء هذه الضريبة إذا ما دخلت في خدمة الجيش الإسلامي، وكان الحال على هذا النحو مع قبيلة الجراجمة، وهي قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار أنطاكية، سالمت المسلمين وتعهدت أن تكون عوناً لهم وأن تقاتل معهم في مغازيهم، على شريطة أن ألا تؤخذ بالجزية، وأن تعطى نصيبها من الغنائم، ولما اندفعت الفتوح الإسلامية إلى شمال فارس في سنة ٢٢هـ، أُبرمَ مثل هذا الحلف مع إحدى القبائل التي تقيم على حدود هذه البلاد، وأعفيت من أداء الجزية مقابل الخدمة العسكرية..][1].

(١) انظر كتاب الدعوة إلى الإسلام لتوماس آرنولد [ص /٧٨ وما بعدها].

ويقول المؤرخ والباحث وِل ديورانت: (ولم تكن هذه الضريبة تفرض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويعفى منها الرهبان والنساء، والذكور الذين هم دون سن البلوغ، والأرقاء، والشيوخ، والعجزة، والعميُ والشديدو الفقر. وكان الذميون يعفون في نظير هذه الضريبة من الخدمة العسكرية ... ولا تفرض عليهم الزكاة ...، وكان لهم على الحكومة أن تحميهم..) [1].

۞ توقف العمل بنظام الجزية في الدولة الإسلامية الحديثة[2]:

أجمع أكثر الفقهاء المعاصرين على توقف العمل بنظام الجزية في الدولة الإسلامية الحديثة للأسباب التالية:

١- اشتراك غير المسلمين بالخدمة العسكرية وقيامهم بواجب الدفاع عن الدولة مع المسلمين.

٢- زوال استعمال نظام دفع الجزية في التعامل الدولي المعاصر.

---

(١) انظر كتاب قصة الحضارة، الإيمان، [ص/٤٥٦١ وما بعدها].

(٢) **للتوسع انظر:**

- أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، للدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة- بيروت [١٩٨٢].
- آثار الحرب في الفقه الإسلامي، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر- دمشق.
- غير المسلمين في المجتمع الاسلامي، للدكتور يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة- بيروت .
- مواطنون لا ذميون، للدكتور فهمي هويدي، دار الشروق- القاهرة.
- النظام السياسي للدولة الإسلامية، للدكتور محمد سليم العوا، دار الشروق- القاهرة.

المستأمنون وبعض ما يتعلق بهم:

هم الذين يطلبون الأمان لدخول دار الإسلام . الدولة الإسلامية . وهو أمانٌ مؤقت. ويقابل هذا في مصطلحات عصرنا تأشيرة الدخول (الفيزا) فكل من يحصل عليها فهو مستأمن، ويتحمل المسلمون والدولة الإسلامية الحفاظ على أمنه ولا يجوز التعرض له بسوء طيلة مدة إقامته، وما دام هذا الأمان الممنوح له قائماً[1].

(وللمستأمن . مثل السيّاح أو التجار أو الدبلوماسيين الأجانب . حماية شخصه من أي اعتداء، أو حبسه أو معاقبته بغير وجه حق، لأنه استفاد العصمة لنفسه وماله بالأمان الذي أعطيه. وقال الفقهاء : ويجب على إمام المسلمين أن ينصر المستأمنين ما داموا في دارنا، وأن ينصفهم ممن يظلمهم.. كما يجب عليه ذلك في حق أهل الذمة ..) [2].

وللمستأمن حرية العقيدة وممارسة الشعائر والتعليم، وحرمة السكن وحرمة المال والنفس، وله حق التجارة حسب عقد أمانِهِ، وتجب مساعدته والبِرُّ به وكفالته إذا افتقر حتى يبلغ مأمنه..

حقيقة

انظروا عظمة رعاية العهود والمواثيق في الإسلام !!

(١) انظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام د.عبد الكريم زيدان [ص ٤٦ وما بعدها].
(٢) المصدر السابق [ص/١١٧] .

ومثال هذا ينطبق اليوم في عالمنا المعاصر على أي أجنبي يأتي إلى أي بلد إسلامي وقد حاز على تأشيرة دخول، فهذا أصبح معاهداً؛ لأن الدولة والحاكم أعطوه الأمان، فلا يجوز الاعتداء عليه، ولا يجوز إيذاؤه، وإن اعتدى عليه أحدٌ أو آذاه لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً[1].

ونلاحظ أحياناً أن بعض الناس يترصّدون الزائرين الأجانب، ويقومون بقتلهم، إن هؤلاء يخالفون النبي ﷺ، يقولون: هؤلاء كفار. والنبي ﷺ يقول لنا: هؤلاء معاهدون، لا يجوز إيذاؤهم، فضلاً عن قتلهم. أو يقولون: هؤلاء جواسيس، حتى لو كانوا جواسيسَ فمهمتك أن تخبر دولتك، ولا يصحّ أن تنفذ الأحكام بنفسك؛ لأن الأحكام لا يقوم بتنفيذها إلا الحاكم.

يجب عليك أن تنضبط بأحكام الشرع كما علمك رسول الله ﷺ. احذروا فالأمر خطير جداً.

فائدة

يجب أن نأخذ تعاليم ديننا من كتاب الله وسنة رسوله ومن أهل العلم المشهود لهم، وليس من أهل الجهل الذي يفتون بغير علم فيضلون الناس.

(١) انظر الحديث [ص /٢٣٥].

■ **رحمته ﷺ بغير المسلمين وذلك بتأمين حقوقهم الإنسانية العامة:**

تجلت رحمة النبي ﷺ بغير المسلمين من خلال إعطائهم حقوقهم الإنسانية كافة، بصرف النظر عن عقيدتهم، أو لونهم، أو عِرقهم.

وبما أن تكريم الإنسان هو الغاية المقصودة والهدف الأساس لما جاء به النبي ﷺ، فلقد اهتمت رسالة النبي ﷺ بكل ما يتعلق بمصلحة الإنسان في الحياة، وتأمين حقوقه في: الحياة، والتديُّن، والحرية، والعدل، والمساواة، والعمل، والتملُّك، والتعبير عن الرأي، وحماية المرأة والطفل، والأسرة، والشيخوخة، وحفظ الكرامة الإنسانية...، وغيرها من الحقوق، سواء كان هذا الإنسانُ مسلماً أم غيرَ مسلم.

فالإسلام يؤكد على مبدأين في مفهوم العلاقات الإنسانية:

المبدأ الأول: تكريم الإنسان لذاته الإنسانية: بصرف النظر عن دينه أو لونه أو اعتقاده أو حسبه ونسبه، أو فقره وغناه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [سورة الإسراء: ٧٠].

المبدأ الثاني: وحدة الأصل الإنساني، فالناس جميعاً من نفس واحدة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[سورة النساء: ١].

والقاعدة الأساس التي نظم من خلالها رسول الله ﷺ العلاقة مع غير المسلمين تستند إلى الآية الكريمة: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الممتحنة].

حقيقة

إنَّ العلاقة مع غير المسلمين قائمة على البر والعدل، بل قدّم الله تعالى البرّ على العدل، وهي علاقة قائمة على إعطاء كل إنسان حقه، بصرف النظر عن دينه أواعتقاده، أو لونه.

ومن هذه الحقوق:

رحمته بغير المسلمين (١)

حق الحياة:

إن الأخطار الداهمة تهدد حق الإنسان في الحياة، ويتعرض الإنسان على مدى العصور لانتهاك حقِّه في الحياة، فكم من بريء يُقتَل ظلماً وعدواناً، وكم تُستباح الدماء من قِبَل المستكبرين في الأرض لبسط سيطرتهم على الضعفاء، واستنزاف أموالهم وخيراتهم، والتحكم بهم.

في حين أن النبي ﷺ برسالته السَّمحة الحافظة للحقوق ضَمِنَ لغير المسلمين الحق في الحياة الكريمة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ...﴿١٥١﴾﴾[سورة الأنعام]؛ لأن الحياة هبة من الله تعالى، فلا

يحق لأحد أن يزهقها، ويقول الله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ...﴿٣٢﴾﴾[سورة المائدة].

فالحياة في الإسلام حق مقدَّس ومحفوظ. **يقول النبي ﷺ** : «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً»(١)

إن النبي ﷺ ينبه إلى عِظم هذه الجريمة، وينبه إلى أن الذي يرتكب مثل هذه الجريمة، هو بعيد كل البعد عن الجنة.. بل حرَّم النبي ﷺ ظلم المعاهدين وإيذاءهم.

يقول رسول الله ﷺ: « ألا مَنْ ظَلَمَ مُعاهَداً، أو انتَقَصَهُ، أو كلَّفَهُ فوق طاقَتِه، أو أخَذَ منه شيئاً بغير طيب نفْسٍ، فَأنا حَجِيجُهُ يومَ القيامةِ»(٢).

فالإسلام يوجب على المسلمين حماية أهل ذمتهم من الاعتداء عليهم داخل المجتمع الإسلامي كما ذكر النبي ﷺ آنفاً، وكما أكد فقهاء المسلمين وعلماؤهم في مناسبات مختلفة استنباطاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فقد ذكر بعض الفقهاء ما يلي:

(إن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لهم....فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الإسلام)(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٣١٦٦) [٦٠٧].

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٣٠٥٢) [٣٤٥]، وهو صحيح.

(٣) انظر: كتاب الفروق للقرافي (٢٩/٣) .

وأوصى عمر بن الخطاب الخليفة من بعده بأهل ذمتنا فقال: (وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل مَنْ وراءهم وأن لا يُكلفوا فوق طاقتهم....) [1]

هكذا يجب أن نحميهم من القتل، أو من أي أذى يصيبهم كالسب والغيبة والظلم... ويوجب الإسلام على المسلمين حماية أهل ذمتهم من أي اعتداء من خارج المجتمع الإسلامي...

يقول ابن حزم الأندلسي:

(إنَّ مَنْ كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك، صوناً لمن هو في ذمة الله وذمة رسوله، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة)[2].

وقد نص الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان على حماية حق الحياة للإنسان، مهما كان دينه أو لونه أو عِرقه، فجاء في المادة الثانية الفقرة (أ):

(الحياة هبة الله، وهي مكفولة لكل إنسان، وعلى الأفراد والمجتمعات والدول حماية هذا الحق من كل اعتداء عليه، ولا يجوز إزهاق روح دون مقتضى شرعي). [3]

(١) أخرجه البخاري في " صحيحه" برقم (١٣٢٨) [٤٦٩/١٠].

(٢) انظر :كتاب الفروق للقرافي (٢٩/٣)

(٣) انظر :حقوق الإنسان في الإسلام [ص/١٤٢] للدكتور محمد الزحيلي.

رحمته بغير المسلمين (٢) حق الاعتقاد والتديُّن:

احترمت رسالةُ النبي ﷺ إنسانية الإنسان، وكرامته، ولو كان غير مسلم، وتركَت له حرية الاعتقاد واعتناق الدين الذي يرغب فيه.

قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ...﴿٢٥٦﴾ ﴾ [سورة البقرة]، وجاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة ما يلي:

(كان لرجل من الأنصار من بني سالم بن عوف ابنان، فتنصرا قبل أن يُبعث النبي ﷺ، ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام، فأتاهما أبوهما، فلزِمَهما، وقال: والله لا أدعكما حتى تُسْلِما، فأبيا أن يُسْلِما، فاختصموا إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أيدخل بعضي[١] النار وأنا أنظر، فأنزل الله عز وجل ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ...﴿٢٥٦﴾ ﴾ [سورة البقرة]، فخلَّى سبيلهما)[٢].

وبالمقابل نجد في ثقافة أدعياء حقوق الإنسان في الغرب ما ورد في الكتاب المقدس: (**لكن أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أُملَّكَ عليهم فأتوا بهم واذبحوهم قدامي**)[٣]!!

وجاء في عهد رسول الله ﷺ لأهل نجران من النصارى: (....ولا يُغيِّر أُسْقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، وليس عليه دنية)[٤].

---

(١) أي: ابناي.
(٢) "أسباب النزول" للواحدي [ص٦٢].
(٣) لوقا: الإصحاح التاسع عشر (٢٧)
(٤) كتاب الخراج لأبي يوسف [ص/ ٧٢].

واستضاف النبي ﷺ وفداً من نصارى نجران في مسجده الشريف وسمح لهم بإقامة صلاتهم فيه.

يقول محمد بن إسحاق: وفد على رسول الله ﷺ وفد من نصارى نجران بالمدينة فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال: لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر فحانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده فأراد الناس منعهم فقال رسول الله ﷺ: «دعوهم» فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم(١).

حقيقة

وفي هذا دلالة واضحة على حرية التدين والاعتقاد التي وفرها الرسول ﷺ لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مع أن الإسلام لا يقرهم على شعائرهم ويراها غير مقنعة ولكن مع ذلك يترك لهم حرية الاعتقاد..، وإن وجود آلاف دُور العبادة للمسيحيين واليهود في العالم الإسلامي اليوم لدليل دامغ على حرية التدين والاعتقاد في الإسلام، فلقد كان المجتمع الإسلامي ملاذاً آمناً لكل المضطهدين من النصارى واليهود في العالم، في حين أن الآخرين كانوا يستأصلون المسلمين من ديارهم ويدمرون مساجدهم ويرغمونهم على ترك دينهم وما الأندلس وفلسطين والبوسنة عنا ببعيد..

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد.ابن قيم الجوزية، [٦٠٧/١]

ويشهد المؤرخ غوستاف لوبون على تسامح الإسلام مع غير المسلمين، وكيف حماهم وأعطاهم الحق بحرية الاعتقاد والتعبد؛ **فيقول**:

[رأينا (من آيات القرآن) أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة إلى الغاية، وأنه لم يقل بمثلها مؤسسو الأديان التي ظهرت قبله كاليهودية والنصرانية على الخصوص، وسنرى كيف سار خلفاؤه على سنته، وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوربة المرتابون، أو المؤمنون القليلون الذين أمعنوا النظر في تاريخ العرب، والعبارات الآتية التي أقتطفها من كتب الكثيرين منهم تثبت أن رأينا في هذه المسألة ليس خاصاً بنا، وقال **روبرتسون** في كتابه (تاريخ شارلكن) : (إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى ، وإنهم مع امتشاقهم الحسام نشراً لدينهم، تركوا من لم يرغبوا فيه أحراراً في التمسك بتعاليمهم الدينية).

وقال ميشود في كتابه (تاريخ الحروب الصليبية) : (إن القرآن الذي أمر بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وقد أعفى البطاركة والرهبان وخدمهم من الضرائب ، وحرّم محمد قتل الرهبان لعكوفهم على العبادات، ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس، فذبح الصليبيون المسلمين وحرقوا اليهود بلا رحمة وقت ما دخلوها). **وقال الراهب ميشود** في كتابه (رحلة دينية إلى الشرق) : (ومن المؤسف أن تقتبس الشعوب النصرانية

من المسلمين التسامح الذي هو آية الإحسان بين الأمم واحترام عقائد الآخرين وعدم فرض أي معتقد عليهم بالقوة)] [(١)].

ويقول لوبون أيضاً: [وكان العدل بين الرعية دستورَ العرب السياسيَّ، وترك العرب الناس أحراراً في أمور دينهم، وأظلَّ العربُ أساقفةَ الروم ومطارنة اللاتين بحمايتهم، فنال هؤلاء ما لم يعرفوه سابقاً من الدَّعة والطمأنينة] [(٢)].

ويقول أيضاً: [وسار عمرو بن العاص في مصر على غرار عمر بن الخطاب في القدس، فشمل الديانة النصرانية بحمايته، وسمح للأقباط بأن يستمروا على اختيار بطرك لهم كما في الماضي، ومن تسامحه أن أذِن للنصارى في إنشاء الكنائس في المدينة الإسلامية التي أسسها] [(٣)].

ويشهد المؤرخ والباحث وِل ديورانت كيف أطلق المسلمون حرية العبادة لغير المسلمين سواء كانوا مسيحيين أو يهوداً، ويضرب مثالاً على ذلك في الأندلس فيقول: [لكن الحكام الأندلسيين قد أطلقوا لغير المسلمين جميعهم على اختلاف أديانهم حرية العبادة. وإذا كان اليهود الذين اضطهدهم القوط الغربيون أشد الاضطهاد قد ساعدوا المسلمين في فتوحهم، فقد ظلوا يعيشون من ذلك الوقت إلى القرن الثاني عشر مع المسلمين الفاتحين في أمن

(١) انظر كتاب حضارة العرب لغوستاف لوبون [ص/١٢٨].
(٢) المصدر السابق [ص /١٥٢].
(٣) المصدر السابق [ص /٢١٦].

ووئـام، وأثـروا، وبرعـوا في العلـوم والمعـارف، وارتقـوا في بعـض الأحيـان إلى مناصب عالية في الحكومة] [1].

ويقول أيضاً: [وكان المسيحيون اليعاقبة في مصر قد قاسَوا الأمرَّين من جراء اضـطهاد بيزنطيـة؛ ولهـذا رحبـوا بقـدوم المـسلمين، وأعـانوهم علـى اسـتيلاء منفيس، وأرشـدوهم إلى الإسـكندرية... وحـال عمـرو بـين العـرب وبـين نهـب المدينـة وفـضل أن يفـرض عليهـا الجزيـة. ولم يكـن في وسـعهِ أن يـدرك أسـباب الخلافات الدينية بين المذاهب المسيحية المختلفة، ولذلك منع أعوانه اليعاقبة أن ينتقموا من خصومهم الملكانيين، وخالف ما جرت عليه عادة الفاتحين من أقدم الأزمنة فأعلن حرية العبادة لجميع أهل المدينة.] [2].

رحمته بغير المسلمين (٣) **حق الحرية:**

في تعاليم رسالة النبي ﷺ الإنسانية أن الإنسان يولد حراً، ويعيش حراً، ويموت حراً، لذلك **قال عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) [3]، مخاطباً أمير مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه، دفاعاً عن رجل من أهل الذمة، من الأقباط، بعد أن تعرض لظلم من قبل ابن الأمير.

حقيقة

الإنسان - حسب تعاليم النبي ﷺ- يمتلك حرية قراره وإرادته من غير إكراه. وقد نظم الإسلام هذه الحرية، بحيث لا تتجاوز المصلحة العامة للأمة وأفرادها وجماعاتها.

(١) انظر كتاب قصة الحضارة، الحضارة في بلاد الأندلس الإسلامية [ص/٤٧٢٧].
(٢) المصدر السابق، فتح أفريقية [ص /٤٦٩٢ وما بعدها] .
(٣) مناقب عمر بن الخطاب، لابن الجوزي، (ص/٩٩).

ولذلك ما دام الإنسان حراً؛ فلا يملك أحدٌ أن يستعبده، أو ينتزع منه حريته وحقوقه التي قررها له الإسلام.

رحمته بغير المسلمين (٤)

حق العدل:

إن العدل بين الناس من أهم حقوق الإنسان، وهو ضد الظلم، وقد **حذَّر رسول الله ﷺ من الظلم، فقال**: «إن الله يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، **ثم قرأ**: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة هود]»(١).

ومن الشواهد العملية على ترسيخ حق العدل قصة المرأة المخزومية التي سرقت، وعندما تشفَّع أسامة بن زيد إلى رسول الله فيها، **قال رسول الله ﷺ**: «إنما أهلك الذين قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله! لو أنّ فاطمةَ بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(٢).

وهكذا كان رسول الله ﷺ لا يفرِّق في عدله بين شريف وضعيف، ومسلم وغير مسلم.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٤٦٨٦)، [٨٩٧]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٥٨٣) [١٠٤٠]، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري في "صحيحه" برقم (٦٧٨٨)، [١٢٩٥]، ومسلم في "صحيحه" برقم (١٦٨٨)، [٧٠٠]، واللفظ لمسلم.

عن أبي هريرة ﷺ قال: (كان لرجلٍ على النبيِّ ﷺ سنٌّ من الإبل، فجاءه يتقاضاه، **فقال**: «أعطُوهُ»، فطلبوا سِنَّهُ، فلم يجدوا له إلا سِنّاً فوقَها، **فقال**: «أعطوه»، فقال: أوفَيتني أوفى الله بك، **فقال النبيُّ** ﷺ: «إن خِيَارَكم أحسنُكم قضاء»[1].

وفي رواية: أن رجلاً أتى النبيَ ﷺ يتقاضاه فأغلظ، فهمَّ به أصحابه، **فقال رسول الله** ﷺ : «دعوه، فإن لصاحب الحقِّ مقالاً» ثم قال:« أعطوه سناً مثل سنّه ». قالوا: يا رسول الله! إلا أمثلَ من سنّه، فقال: «أعطوه، فإنّ من خَيرِكم أحسنكم قضاءً»[2].

ويشهد المؤرخ والباحث الدكتور غوستاف لوبون على عدالة الإسلام مع غير المسلمين... وكيف كان ينتصر لغير المسلم صاحب الحق على المسلم فيقول:

[وكانت المساواة (أمام القضاء) تامة في عهد الخلفاء الأولين، وكانت الشريعة للجميع على السواء ، فَمَثَلَ عليٌ بين يدي القاضي لمقاضاة من اعتقد أنه سارق سلاحه، وأتى ملكُ غسان وقومُه الذين اعتنقوا الإسلام مكةَ للاجتماع بعمَر، و (قد) لطَمَ عربياً وطِئَ إزاره، واشتكى العربي إلى عمر،

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٣٠٥)، [٤٣٢]، ومسلم في "صحيحه" برقم (١٦٠١)، [٦٥٤]. واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ البخاري في "صحيحه" برقم (٢٣٠٦) [٤٣٢]، ومسلم في "صحيحه"برقم (٢١٨٣) [٨٠٩/٢].

ورأى عمر العملَ بما تأمر به الشريعة من إقامة الحدِّ، فقال الملك: كيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنا ملكٌ وهو سوقة؟!.. فقال عمر: إن الإسلام جمعكما وسوى بين الملك والسوقة في الحدِّ] (١).

ويشهد المؤرخ والباحث توماس آرنولد، كيف أن المسلمين عدلوا بين المسيحيين ومنعوا أصحاب المذاهب من أن يضطهد بعضهم بعضاً، وتسامحوا مع الجميع وأقاموا بينهم العدل والقسطاس...، يقول:

[إذ كانت الحكومة المركزية العليا تتسامح مع جميعهم -أي مع الطوائف المسيحية- على سواء، وكانت فضلاً عن ذلك تصدهم عن أن يضطهد بعضهم بعضاً، وفي القرن الخامس أغرى برصوما، وهو أسقف نسطوريٌّ، ملك الفرس بأن يدبر اضطهاداً عنيفاً للكنيسة الأرثوذكسية، وذلك بإظهار نسطور بمظهر الصديق للفرس، وإظهار مبادئه بأنها أكثر ميلاً إلى مبادئهم، ويقال إن عدداً يبلغ ٧٨٠٠ من رجال الكنيسة الأرثوذكسية، مع عدد ضخم من العلمانيين، قد ذُبحوا في هذا الاضطهاد، وقام خسرو الثاني باضطهاد آخر للأرثوذكس، بعد أن غزا هرقل بلاد فارس، وذلك بتحريض أحد اليعاقبة الذي أقنع الملك بأن الأرثوذكس سوف يظهرون بمظهر العطف والميل إلى البيزنطيين، ولكن مبادئ التسامح الإسلامي حرّمت مثل هذه الأعمال التي تنطوي على الظلم، بل كان المسلمون على خلاف غيرهم، إذ يظهر لنا أنهم لم يألوا جهداً في أن يعاملوا كل رعاياهم من المسيحيين بالعدل والقسطاس، مثل ذلك أنه بعد فتح مصر، استغل اليعاقبة فرصة إقصاء السلطات البيزنطية،

(١) انظر كتاب حضارة العرب، [ص/١٣٧].

ليسلبوا الأرثوذكس كنائسهم، ولكن المسلمين أعادوها أخيراً إلى أصحابها الشرعيين، بعد أن دلل الأرثوذكس على ملكيتهم لها] [(١)].

وقد مر معنا تحريمُ النبي ﷺ ظلمَ المعاهدين من أهل الكتاب، وجعل النبي ﷺ من نفسه خصماً لمن يظلمهم...

رحمته بغير المسلمين (٥) حق المساواة من الناحية الإنسانية:

فالناس جميعاً متساوون من الناحية الإنسانية عند الله تعالى ذكوراً وإناثاً، لأنهم مخلوقون من نفس واحدة...

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء].

وأعلن رسول الله ﷺ حق المساواة بين الناس في خطبة الوداع، **فقال:** «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عَجَميّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا أحمرَ على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات].

---

(١) انظر: كتاب الدعوة إلى الإسلام لتوماس آرنولد،[ص /٨٧ وما بعدها].

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (٢٣٤٨٩) [٤٧٤/٣٨]، وهو صحيح.

فالله تعالى خلق الناس متساويين من الناحية الإنسانية، مختلفين بانتماءاتهم وقومياتهم وألوانهم وأفكارهم وألسنتهم، ليتعارفوا ويتعاونوا على بناء عالم الرحمة والسلام للإنسان، وليتمايزوا وليتنافسوا فيما بينهم بتقوى الله تعالى...

رحمته بغير المسلمين (٦) حق رعاية الشيخوخة:

رسَّخ رسول الله ﷺ مبادئ المساواة في المجتمع الإسلامي، فلا يفرق فيه بالرعاية الاجتماعية بين مسلم وغير مسلم.

فقد مرَّ عمر بن الخطاب ﷺ بباب قوم وعليه سائل يسأل، وهو شيخ كبير، ضرير ، فسأله عمر ﷺ من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، فسأله ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسألُ الجزيةَ، والحاجةُ والسنُّ، فأخذ عمر بيده إلى منزله وأعطاه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم)[1].

وقد **أوصى رسول الله** ﷺ جنوده وأمراءه أن لا يقتلوا شيخاً ولا طفلاً ولا امرأة، فقد ورد في وصيته لجيشه: «انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا **شيخاً** فانياً، ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأة، ولا تَغُلُّوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا، ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة البقرة]»[2].

(١) انظر: " الخراج" لأبي يوسف [١٢٦/١].

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٢٦١٤) [٢٩٥]، وإسناده حسن لغيره.

رحمته بغير المسلمين (٧)

حق الغذاء:

أكَّد رسول الله ﷺ على ضرورة محاربة الجوع بين الناس، بصرف النظر عن دينهم، وترسيخ مبدأ العدالة الاجتماعية والتكافل، **فكان يقول**: «أحبُّ الناس إلى الله عز وجل أنفعهم للناس»[(١)].

ويقول: «ليس المؤمن الذي يأكل وجاره جائع»[(٢)].

قال السرخسي في شروحه: (ذكر عن أبي مروان الخزاعي قال: قلت لمجاهد: رجل من أهل الشرك بيني وبينه قرابة، ولي عليه مال، أدعه له ؟ قال: نعم، وصِلْهُ)[(٣)].

وبالطبع فإن هذا الأمر مشروط بألا يستغل هذه الصلة للإضرار بالمسلمين... (وبعث رسول الله ﷺ خمس مئة دينار إلى مكة حين قحطوا، وأمر بدفع ذلك إلى أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية؛ ليفرقها على فقراء أهل مكة، فقبل ذلك أبو سفيان، وأبى صفوان، وقال: ما يريد بهذا إلا أن يخدع شبابنا) [(٤)].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في "قضاء الحوائج" برقم (٣٦) [ص/٨٠] وإسناده حسن.

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير، برقم [٦١٧] (١٩٥/٥)، وهو صحيح.

(٣) شرح كتاب السير الكبير[٩٦/١] إملاء محمد بن أحمد السرخسي .

(٤) المصدر السابق[٦٣١/١].

رحمته بغير المسلمين (٨) **حق الكرامة الإنسانية:**

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. فالإنسان مكرم لذاته الإنسانية، بصرف النظر عن دينه، أو عرقه، أو لونه، أو حسبه ونسبه، أو فقره أو غناه...

وفي الحديث: «مرت به ﷺ جنازة، فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: أليست نفساً»[(١)].

ولا يجوز إيذاء أهل الذمة أو شتمهم، ومن فعل هذا من المسلمين عوقب عقوبة التعزير.

رحمته بغير المسلمين (٩) **حق التملك والتصرف والمساواة مع المسلمين في المعاملات المالية:**

يتمتع أهل الذمة بحرية التصرف في أموالهم، وحق الملكية لهم حق مضمون لا يجوز المساس به، ولهذا نص الفقهاء على أن (حكمَ أموالهم حكم أموال المسلمين في حرمتها) [(٢)].

وأهل الذمة كالمسلمين في المعاملات الشاملة لجميع الارتباطات القانونية، وفي جميع الشؤون الدنيوية، كالمعاملات المالية[(٣)]..

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١٣١٢) [٢٥٦].
(٢) انظر: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، د.عبد الكريم زيدان [ص/٦٣١].
(٣) انظر المصدر السابق [ص/٥٤٧].

ولا يجوز التعدي على أموالهم، فإذا سرق المسلم مال ذمي أقيم عليه حدُّ السرقة؛ لأن مال الذمي معصوم في الإسلام.

وكتب رسول الله ﷺ لأهل نجران في عهده لهم: «ولنجران وحاشيتهم جِوَارُ الله، وذمة محمد النبي رسول الله، على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبِيَعهم-أي معابدهم- لا يُغيّر أُسقفٌ عن سقِّيفاه، ولا راهبٌ عن رهبانيته، ولا واقفٌ عن وقفانيّتِهِ.... »[1].

وَيَتمتع أهل الذمة بكفالة بيت مال المسلمين- كفالة الدولة الإسلامية- عند الفقر والحاجة كما مر معنا في قصة سيدنا عمر وكيف قام بكفالة شيخ يهودي قد أصابه الفقر والعجز، ونظير ذلك ما كتبه الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى والي البصرة: " أما بعد فانظر أهل الذمة فارفق بهم، وإذا كبر الرجل منهم وليس له مال فأنفق عليه"[2].

ويشهد المؤرخ والباحث وِل ديورانت، كيف أعطى الإسلام غير المسلمين حق كسب المال والتصرف بحرية، مثلهم مثل المسلمين حتى أصبحوا من الأغنياء والأثرياء فيقول:

(وكان اليهود في بلاد الشرق الأدنى قد رحبوا بالعرب الذين حرروهم من ظلم حكامهم السابقين،...غير أنهم مع هذا كانوا يُعاملون على قدم المساواة

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته [٣٠٨/١].

(٢) المصدر السابق [٣٧٠/٧].

مع المسيحيين، وأصبحوا مرة أخرى يتمتعون بكامل الحرية في حياتهم وفي ممارسة شعائر دينهم في بيت المقدس، وأَثْرَوا كثيراً في ظل الإسلام وفي آسية، ومصر، وأسبانيا، كما لم يُثْروا من قبل تحت حكم المسيحيين) [1].

رحمته بغير المسلمين (١٠) حق الحماية القضائية:

إن دفع الظلم عن أهل الذمة، والمحافظة على أموالهم وحقوقهم، واجب على الدولة الإسلامية، فهم من أهل دار الإسلام، ولهم مالَنَا، وعليهم ما علينا؛ (باستثناء بعض الحقوق والواجبات المتعلقة بالعقيدة الدينية)، ولا يتأتى هذا الواجب وهو المحافظة على أموالهم وحقوقهم إلا إذا وجدوا الحماية القضائية لهم، فعلى القاضي المسلم أن يدفع الظلم عنهم، وأن يحافظ على أموالهم وحقوقهم[2].

وأعظم مثال على رفع الظلم عن غير المسلمين حتى ولو كان الظالم حاكماً أو ابن الحاكم، هو ما فعله سيدنا عمر ﷺ عندما انتصر للقبطي المظلوم على ابن حاكم مصر عمرو بن العاص، وجعله يضرب ابن الحاكم كما ضربه، ويأخذ بحقه منه، ثم يلتفت إلى أبيه ويخاطبهم: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا).

(١) انظر: قصة الحضارة، الإيمان، [ص/٤٥٦٢ وما بعدها].

(٢) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، د.عبد الكريم زيدان[ص/٥٧٥].

ويشهد المؤرخ والباحث غوستاف لوبون، كيف حفظ المسلمون حق الحماية القضائية لغير المسلمين، ويعطي مثالاً على سياستهم في عدة بلدان فيقول:

(وأحسنَ العرب سياسةَ سكان إسبانية كما أحسنوا سياسة أهل سورية ومصر، فقد تركوا لهم أموالهم وكنائسهم وقوانينهم وحق المقاضاة إلى قضاة منهم) [(١)].

ويشهد أيضاً المؤرخ والباحث توماس آرنولد، كيف تمتعت الطوائف غير المسلمة بسلطات قضائية خاصة بهم في ظل الدولة العباسية، فيقول: (أضف إلى ذلك أن الطوائف غير الإسلامية قد تمتعت بسلطات تكاد تكون تامة، لأن الحكومة وضعت في أيديهم التصرف في شؤونهم الداخلية تصرفاً مطلقاً، وكان رؤساؤهم الروحانيون يباشرون واجباتهم القضائية في القضايا الخاصة بأبناء دينهم فحسب) [(٢)].

رحمته بغير المسلمين (١١) **حق تولي وظائف الدولة :**

ولأهل الذمة أن يتقلدوا الوظائف في الدولة الإسلامية باستثناء ما له صفة دينية...

يقول الدكتور عبد الكريم زيدان : (فالكتاب والسنة ، إذن، يدلان على جواز إسناد الوظائف العامة إلى الذمّي ما دام ثقةً كفؤاً . وهذا في

(١) انظر: كتاب حضارة العرب، للدكتور غوستاف لوبون، [ص/٢٦٦].
(٢) انظر: الدعوة إلى الاسلام ، لتوماس آرنولد ، [ص/٨٣].

الحقيقة أقصى ما يمكن من التسامح والتساهل مع المخالفين في الدّين، لا نجدُ له نظيراً في القديم والحديث. وفي ظلِّ هذا التسامح الإسلامي الكريم، صرَّح فقهاء الشريعة الإسلامية بجواز تقليد الذِّمي وزارة التنفيذ، ووزير التنفيذ يبلِّغ أوامر الإمام ويقوم بتنفيذها ويمضي ما يصدر عنه من أحكام، فمركزه شبيه بمركز الوزراء في الدول الحديثة من حيث أنهم ينفذون قرارات مجلس الوزراء) [1] .

يقول آدم تنر أحد مؤرخي الغرب: (من الأمور التي نعجب بها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية).

وقد تولى الوزارة في زمن العباسيين بعض النصارى أكثر من مرة، منهم نصر بن هارون، سنة ٣٦٩هـ، وعيسى بن نسطورس سنة ٣٨٠هـ. وكان أكثر سفراء الدولة العثمانية من النصارى...

ويشهد المؤرخ والباحث غوستاف لوبون، كيف أعطى الإسلام حق العمل لغير المسلمين فيقول: (وكان باب المناصب مفتوحاً للنصارى، وكان النصارى يستخدمون في الجيش غالباً، وكان توالدُ المسلمين والنصارى غير قليل، وكانت أمُّ الخليفة عبد الرحمن الثالث نصرانيةً) [2].

(١) انظر: كتاب أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، لعبد الكريم زيدان[ص/٨٠].
(٢) انظر: حضارة العرب ، [ص/٢٧٦] .

ويشهد المؤرخ والباحث وِل ديورانت، كيف انتشر غير المسلمين في وظائف الدولة في العهد الأموي والعباسي فيقول: (وكانت طوائف الموظفين الرسميين في البلاد الإسلامية تضم مئات من المسيحيين، وقد بلغ عدد الذين رقوا منهم إلى المناصب العليا في الدولة من الكثرة درجة أثارت شكوى المسلمين في بعض العهود) (١).

ويشهد المؤرخ والباحث توماس آرنولد، على عظم ما حصل عليه المسيحيون من مناصب عالية في عهود مختلفة من التاريخ الإسلامي، فيقول:

[ولما كان المسيحيون يعيشون في مجتمعهم آمنين على حياتهم وممتلكاتهم ناعمين بمثل هذا التسامح الذي منحهم حرية التفكير الديني، تمتعوا، وخاصة في المدن، بحالة من الرفاهية والرخاء في الأيام الأولى من الخلافة).

وقد توسع معاوية (٦٦١ . ٦٨٠م) (٤١ . ٦٠ هـ) في إلحاق المسيحيين بخدمته، وحذا حذوه في ذلك أفراد آخرون من البيت المالك، وطالما شغل المسيحيون مناصب عالية في بلاط الخليفة، مثل الأخطل وهو عربي نصراني كان شاعراً للبلاط، ومثل أبي القديس يوحنا الدمشقي مستشار الخليفة عبد الملك (٦٨٥ . ٧٠٥م) (٦٥ .٨٦ هـ).

وكان في خدمة الخليفة المعتصم (٨٣٣ . ٨٤٢م) (٢١٨ .٢٢٧هـ) أخوان مسيحيان بلغا منزلة سامية عند أمير المؤمنين: أحدهما يدعى سلموية ويظهر

(١) انظر: قصة الحضارة ، الإيمان ، [ص/٤٥٦٣].

أنه كان يشغل منصباً قريب الشبه من منصب الوزير في العصر الحديث، وكانت الوثائق الملكية لا تتخذ صفة التنفيذ إلا بعد توقيعه عليها، على حين عهد إلى أخيه إبراهيم خاتم الخليفة، كما عهد إليه بخزانة بيوت الأموال في البلاد، وكان المنتظر من طبيعة هذه الأموال وتصريفها أن يوكل أمر الإشراف عليها إلى رجل من المسلمين، وقد بلغ من ميل الخليفة الشديد إلى إبراهيم أنه عاده في مرضه الأخير وغمره الحزن عند وفاته، وأنه أمر في يوم تشييع جنازته بإحضار جثمانه إلى القصر حيث أقيمت له الطقوس المسيحية في خشوع مهيب.

واختار عبد الملك عالماً مسيحياً من مدينة الرها يدعى أثناس مؤدباً لأخيه عبد العزيز، وقد رافق أثناس هذا تلميذه إلى مصر عندما عين والياً عليها، وهناك جمع ثروة طائلة...

وفي عهد المعتضد (٨٩٢ . ٩٠٢م) (٢٧٩ . ٢٨٩ هـ) كان عمر بن يوسف والي الأنبار مسيحياً... وعَهِدَ الموفق، وكان صاحب السلطان المطلق في عهد أخيه المعتمد (٨٧٠ . ٨٩٢م) (٢٥٦ . ٢٧٩ هـ) أمر تنظيم الجيش إلى مسيحي يدعى إسرائيل، واتخذ ابنه المعتضد نصرانياً آخر كاتباً له، وهو ملك بن الوليد. وفي عصر متأخر تولى في أيام المقتدر (٩٠٨ . ٩٣٢م) (٢٩٥ . ٣٢٠ هـ) نصراني آخر أمر ديوان الجيش .

كذلك كان نصر بن هارون مسيحياً، وكان كبير وزراء عضد الدولة البويهي (٩٤٩ . ٩٨٢ م) (٣٣٧ . ٣٧١هـ) الذي حكم العراق وجنوبي فارس، وقد ظلت دواوين الحكومة وخاصة ديوان الخراج فترة طويلة مكتظة

بالمسيحيين والفرس، وظلت الحال في مصر على هذا النحو حتى زمن متأخر جداً، حيث كان السواد الأعظم من المسيحيين يحتكرون أمثال هذا المناصب احتكاراً يكاد يكون تاماً] [(١)].

ولغير المسلمين المشاركة في الانتخابات وترشيح أنفسهم للبرلمان لأن العضوية فيه تفيد إبداء الرأي وتقديم الاقتراحات والمشورة، وما إلى ذلك من الأمور الدنيوية[(٢)].

وقد أعطى الإسلام غير المسلمين في المجتمع الإسلامي حق العمل فبرعوا في التجارة والطب وصياغة الذهب وغيرها....

كما أعطاهم حق التعلم فظهر منهم العلماء الذين ساهموا في بناء الحضارة الإسلامية، وقد عاشوا في المجتمع الإسلامي مع المسلمين يتمتعون بكامل الحرية والكرامة الإنسانية، ويتوجه إليهم المسلمون بالبرِّ والعدل والإحسان عملاً بتوجيهات الله تعالى وتوجيهات رسوله ﷺ ، فقد كان رسول الله يزور جيرانه من غير المسلمين، ويقدِّم لهم الهدايا من الطعام، ويعود مرضاهم، ويساعد محتاجهم، ويحسن إليهم...

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام لتوماس آرنولد [ص/٨١ وما بعدها].

(٢) انظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، لعبد الكريم زيدان [ص/٨٤].

وهـذه بعـض الحقـوق الـتي أعطاهـا الإسـلام لغـير المـسلمين في دولتـه ومجتمعه... ولا يتسع المجال هنا لاستقصائها، ومن أراد التعمق في الموضوع فعليه الرجوع إلى المصادر المتخصصة....

وهكذا تجلت رحمته ﷺ بإعطاء غير المسلمين حقوقهم الإنسانية كافة..

فما أعظم رحمتك... وما أعظم رسالتك يا رسول الله...

حقيقة

إن الإسلام لم يحترم حقوق الإنسان نظرياً ويدونها على الأوراق فحسب، بل حقق ذلك عملياً على أرض الواقع، والأهم من ذلك أنه جعل هذه الحقوق مقدسة ومَصُونة دينياً، يتقرب المسلم بتطبيقها إلى الله تعالى، ولا يستطيع مخالفتها؛ لأنه يخالف بذلك قواعد الدين...

* * * * *

ثانياً ـ رحمته ﷺ بالمنافقين

جوانب رحمته ﷺ بالمنافقين:

١- حماهم من القتل والأسر.

٢- أحسن صحبتهم ما صحبوه.

بسم الله الرحمن الرحيم

من جوانب رحمته ﷺ بالمنافقين أنه:

رحمته بالمنافقين (١) حماهم ﷺ من القتل والأسر:

أما رحمته ﷺ بالمنافقين فقد حماهم من القتل والأسر، فلا يؤسَر المنافق مع أنه -في حقيقته الباطنة- كافر، ولا يقتل، وهذا من رحمته ﷺ بهؤلاء.

قال ابن إسحاق: (بينا الناس على ماء وردت واردة الناس، ومع عمر ابن الخطاب ﷺ أجير له من بني غفار يقال له: جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني -حليف بني عوف بن الخزرج- على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين.

فغضب عبد الله بن أبي بن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم -غلام حدث- فقال: أَوَقَد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا؟ والله ما أَعدُّنا وجلابيب[1] قريش هذه إلا كما قال الأُول: (سمِّن كلبَكَ يأكُلْكَ!)، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ.

ثم أقبل على مَن حَضَره من قومه، فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوَّلوا إلى غير داركم.

فسمع ذلك زيد بن أرقم ﷺ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: مُرْ به عبَّاد بن بشر فليقتله، **فقال رسول الله** ﷺ: «فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، لا ولكن أذِّن بالرحيل»، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس.

وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم بلَّغه ما سمع منه، فحلف بالله ما قلتُ ما قال، ولا تكلمتُ به، وكان في قومه شريفاً عظيماً، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل —حدباً على ابن أبي ودفعاً عنه-.

(١) الجلابيب: لقبٌ لقَّبهُ المشركون في مكة للمهاجرين من المؤمنين إلى المدينة، قال علي بن برهان الحلبي في السيرة الحلبية[٥٩٦/٢] والجلابيب: جمع جلبيب مما يجلب من بلدٍ إلى غيره، يعني أغراب.

فلما استقلَّ رسول الله ﷺ وسار لقِيَه أسيد بن حُضَير، فحياه بتحية النبوة، وسلم عليه، وقال: يا رسول الله، والله لقد رُحْتَ في ساعة منكرة ما كنتَ تروح في مثلها؟ **فقال له رسول الله** ﷺ: «أَوَ مَا بَلَغَكَ ما قال صاحبكم؟» قال: أيُّ صاحب يا رسول الله؟ **قال**: «عبد الله بن أُبي»، قال: وما قال؟ **قال**: «زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزُّ منها الأذلّ»، قال: فأنت والله يا رسول الله تُخرِجه إن شئتَ، هو –واللهِ– الذليل، وأنت العزيز.

ثم قال: يا رسول الله، ارفِق، فو الله لقد جاءنا الله بك وإنَّ قومه لينظمون له الخرز ليتوِّجوه، فإنه ليرى أنك قد اسْتَلَبْتَهُ ملْكَاً)[1].

وهكذا حماهم رسول الله ﷺ من القتل، ولم يستجب لرأي عمر رضي الله عنه.

يقول الشاطبي في الموافقات: (ألا ترى أن رسول الله ﷺ قد كان عالماً بالمنافقين وأعيانهم، وكان يعلم منهم فساداً في أهل الإسلام، ولكن كان يمتنع عن قتلهم، لمعارض هو أرجح في الاعتبار، **فقال**ﷺ: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»[2])[3].

---

(١) ينظر"سيرة ابن هشام" [٣/٣٠٣]

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٣٥١٨) [٦٧٥] ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٥٨٤) [١٠٤١] ، واللفظ لمسلم.

(٣) انظر: الموافقات للشاطبي[٢/٥٠٥].

واستدل الشاطبي بهذا على صحة ترك المطلوب خوفاً من حدوث مفسدة أعظم من مصلحة ذلك المطلوب.[1]

وهذا يندرج تحت القاعدة الفقهية: (ترك المفسدة مقدم على جلب المصلحة). **يقول الله تعالى:** ﴿ .... فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠ ﴾ . [سورة النساء].

رحمته بالمنافقين (٢) **أحسن ﷺ صحبتهم ما صحبوه:**

و أيضاً من رحمته ﷺ أنه أحسن صحبتهم ما صَحِبوه...

عندما نزل النبي ﷺ بجيشه في غزوة تبوك ومعه ثلاثون ألفاً، عطشوا وشكَوا ذلك إليه، فأرسل مجموعة من أصحابه يبحثون عن الماء فلم يجدوه...

(فقال المنافقون: إن محمداً يُخبر بأخبار السماءِ، وهو لا يدري الطريق إلى الماء، فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره بقولهم، وسمَّاهم له، فشكا ذلك إلى سعد بن عبادة، فقال سعد:إن شئت ضربت أعناقهم. فقال رسول الله ﷺ : « لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، ولكن نُحسن صحبتهم ما أقاموا معنا»)[2].

(١) انظر: المصدر السابق [٤/٤٢٨].

(٢) انظر أعلام النبوة للماوردي [١/٧٣]

يا ترى! هل تستطيع أن تفعل ذلك؟! إذا وجدت إنساناً يبطن لك غير ما يظهره أمامك، ويعطيك حلاوة وطلاوة من اللسان، وقلبه يتحرَّق منك غيظاً وحقداً وكراهيةً، ويتمنى لك الأذى، وإذا غادرتَه سلقك بلسان حاد شحيح على الخير؟! يتمنى لك الأذى ويُسرّ به، ويتمنى أن تنزل بك المصائب، ويفرح بذلك، وإذا رأى نعمة نزلت عليك ينقبض قلبه، وتتألم نفسه، ويشعر بضيق شديد، لا يفرح لفرحك، بل يحزن لفرحك، ولا يحزن لحزنك، بل يفرح لحزنك!.

هل تستطيع أن تُحسِن صحبتَه ما صَحِبك كما فعل النبي ﷺ؟!.

* * *

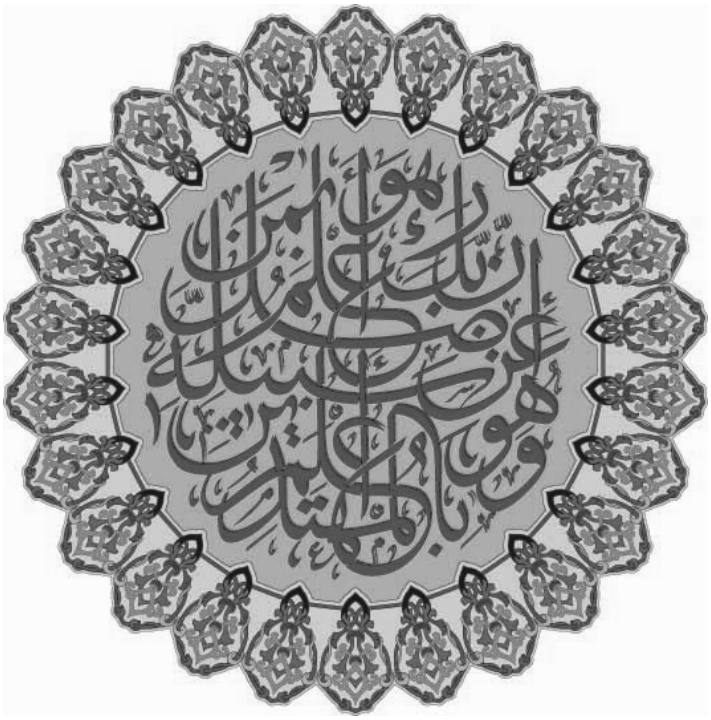

ثالثاً ـ رحمته ﷺ بالمشركين

جوانب رحمته ﷺ بالمشركين:

١- كان ﷺ يسعى لهداية الكافرين، ولا يسعى لاستئصالهم.

۞بعض مواقفه التي دعا فيها للمشركين بالهداية.

۞وقفة للتأمل والتحليل.

٢- رحمته ﷺ بالكافرين وعفوه عنهم بعد انتصاره عليهم في الحرب.

٣- رحمته ﷺ بنساء وشيوخ وأطفال الكافرين المحاربين.

۞ وقفة تأمل ومقارنة : هذه ثقافتنا وأعمالنا وهذه ثقافتهم وأعمالهم.

- ثقافة أعدائنا المتوحشة التي يستمدونها من كتبهم..
- وهذه ثقافتهم وأعمالهم في الماضي.
- وهذه ثقافتهم وأعمالهم في الحاضر.
- تنبيه وتحذير.

٤- رحمته بالأسرى.

- أمر ﷺ بتوفير أحسن الطعام لهم.
- أمر ﷺ بتوفير اللباس الكافي والمناسب لهم.
- أمر ﷺ بتوفير المأوى والسكن المناسب لهم.
- أتاح لهم تعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة مقابل تحريرهم.
- أمر رسول الله ﷺ ألاّ يفرق بين الأهل في الأسْرِ.
- أمر رسول الله ﷺ ألاّ يكره أحدهم على ترك عقيدته،وألاّ يُكره على الدخول في الإسلام.

۞مقارنة ومفارقة:

- هكذا عاملنا أسراهم!!..وهكذا عاملوا أسرانا!!..
- في العصر الماضي
- في العصر الحاضر.

بسم الله الرحمن الرحيم

جوانب رحمته ﷺ بالمشركين:

رحمته بالمشركين (١) كان ﷺ يسعى لهداية الكافرين، ولا يسعى لاستئصالهم:

قال ابن كثير في تفسيره للآية: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء]، يخبرُ تعالى أن الله جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين، أي أرسله رحمة لهم كلهم.

فمَنْ قَبِل هذه الرَّحمة وشكر هذه النعمة، سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة[1].

ونقل الطبري في تفسيره للآية: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء] **عن ابن عباس** رضي الله عنه **قال**: (إن الله أرسل نبيه

(١) انظر تفسير ابن كثير [٤٥٨/٩].

محمداً ﷺ رحمة لجميع العالم، مؤمنِهم وكافِرِهم، فأما مؤمنُهُم فإن الله هداه به، وأدخَلَه -بالإيمان به، وبالعمل بما جاء به من عند الله- الجنة. وأما كافرهم فإنه دفع عنه به عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذِّبة رسلَها من قبله[1]، لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ...﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأنفال]. والمقصود هنا: العذاب العام، أي: عذاب الاستئصال؛ لأن الأمم السابقة كانت إذا كذَّبَت وكفَرَت بأنبيائها عذَّبها الله تعالى عذاباً عظيماً يستأصلها به استئصالاً كاملاً مثل استئصال ثمود قوم صالح عليه السلام: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾ [سورة الحاقة].

وقال تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾، أي: الصيحة الطاغية عظيمة الشدة، أو النار من السماء المترافقة بصوت انفجار هائل ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الذاريات]

مثال آخر: استئصال عاد قوم هود: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [سورة الحاقة]، لم يُبقِ منهم أحداً، ولكن دفعُ هذا العذاب الاستئصاليّ عن الكافرين بسبب نبي الرَّحمة ﷺ لا يدفعُ عن بعضهم العذاب الخاص الذي ذكره الله تعالى بقوله:

(١) انظر تفسير الطبري [١٦/٤٤١].

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الأنفال].

إذاً: رسول الله ﷺ هو نبي الرَّحمة بحق، هو نبي الرَّحمة للمؤمنين والكافرين، هدى الله تعالى به المؤمنين، وأما الكافرون فكان يسعى لهدايتهم، ولا يسعى لاستئصالهم.

كما ورد في الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: **كان رسول الله** ﷺ يسمي لنا نفسه أسماءَ، فقال: «أنا محمدٌ، وأحمد، والمقفِّي، والحاشر[1]، ونبيّ التوبة، ونبي الرَّحمة» [2].

هو نبي الرَّحمة بحق، لذلك عندما قال بعض الأصحاب: ادعُ على المشركين (الذين عذبوك وآلموك) قال: «**إني لم أُبعث لعاناً، وإنّما بعثت رحمة**»[3].

حقيقة

لقد كان الهدف الواضح والمعلن لرسول الله ﷺ هو إسعاد الناس بهدايتهم وليس بقتلهم، لم يأتِ لقتل غير المسلمين، وإنما كان رحمةً لهم، ومن رحمته بهم سعى لهدايتهم، وإدخالهم في مدرسة الإسلام، لإسعادهم في الدنيا، وإسعادهم في الآخرة...

(١) المقفي: أي خاتم الأنبياء، والحاشر: الذي يُحشَر الناسُ على أثره.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (٢٣٥٥) [٩٥٨].

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (٢٥٩٩) [١٠٤٥].

لأنه مَن آمن بالله وصدَّق برسول الله ﷺ واتبع رسول الله ﷺ اتباعاً صحيحاً سَعِد في دار الدنيا والدار الآخرة.

ومع أن الكافرين كانوا يتعاملون مع النبي ﷺ بقسوة، ويضطهدونه، ويعذبونه، إلا أنه لما تمكن منهم عفا عنهم، لماذا يعفو عنهم؟ لأنه يريد من كل واحد منهم أن يصبح مؤمناً بالله، يريد أن يكسب هذه الطاقات، وأن يوظفها في خدمة دين الله.

نعم، أتى النبي ﷺ بالإسلام لا ليقتل الناس، وإنما ليسعدهم، وليخرجهم من الظلمات إلى النور.

۞ بعض مواقفه ﷺ التي دعا فيها للمشركين بالهداية:

١- هذه عائشة -رضي الله عنها- تروي ما ذكره لها رسول الله ﷺ عن العذاب والشدة التي لحقت به ﷺ بعد أن ذهب إلى الطائف وعرض الإسلام على ثقيف، قالت السيدة عائشة -رضي الله عنها- للنبي ﷺ:(يا رسول الله! هل أَتَى عليك يوم كان أشدَّ مِنْ يوم أُحُد؟) **قال**: «لقد لَقِيتُ من قومك، وكان أشَدَّ ما لقيت منهم يوم العقَبة؛ إذ عَرَضْتُ نفسي على بن عبد ياليل ابن عبد كِلال، فلم يُجبني إلى ما أردتُ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقَرْن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إنَّ الله عزّ وجلّ قد سمع قولَ قومِكَ لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعثَ إليك مَلَكَ الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملَكُ الجبال، وسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قولَ

قومِكَ لكَ، وأنا مَلَكُ الجبال، وقد بعثني ربُّك إليك لتأمرني بأمرِك فَما شِئْتَ؟ إنْ شئتَ أن أُطبِقَ عليهم الأخشبين، **فقال رسول الله ﷺ**: «بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أَصلابهم مَنْ يَعبد الله وحده لا يُشْرِكُ به شيئاً»[1].

فائدة

كان ﷺ لا يسعى لقتل أعدائه، وإنما كان يرحمهم، ويسعى لإسعادهم بالإيمان والهداية، إنها عظَمة النبوة، يريد النبي ﷺ أن يكسب قلوب أعدائه، بل لم يقطع الأمل من هداية الذرِّية الموجودة في أصلابهم، لتحمل من بعدهم رسالة الخير والهداية للبشرية جمعاء.

أيُّ عظمة هذه؟ وأيُّ قدرة هذه؟ وأيُّ رحمة هذه؟.

ومضت الأيام...، ودارت السنون والأعوام...، وحقق الله تعالى لرسوله ﷺ ما دعاه وما رجاه من مولاه.

فقد روى صاحب السيرة الحلبية: أن وفداً من ثقيف أتى إلى المدينة المنورة بعد عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك في شهر رمضان يرأسهم كنانة بن عبد ياليل، وأنزل رسول الله ﷺ وفد ثقيف في المسجد، وبنى لهم خياماً (قبة) لكي يسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا، ومكث الوفد أياماً عديدة يغدون إلى رسول الله ﷺ كل يوم ،وهو يدعوهم إلى الإسلام[2].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٣٢٣١)، [٦٢٠]، ومسلم في "صحيحه" برقم (١٧٩٥)، [٧٤٦]، واللفظ لمسلم.

(٢) السيرة الحلبية، برهان الدين بن علي الحلبي : [٢٤٠/٣ وما بعدها].

وروى ابن سعد أنه ﷺ كان يأتيهم كل ليلة بعد العشاء، فيقف عليهم يحدثهم حتى يراوح بين قدميه -أي: يقوم على كل قدم مرة من التعب[1].

وروى موسى بن عقبة قال: فقدم وفدهم وفيهم عثمان بن أبي العاص، وكان أصغَرهم، فكانوا إذا ذهبوا إلى مجلس رسول الله ﷺ خلفوه على رحالهم، فكان عثمان كلما رجع الوفد وقالوا بالهاجرة -ناموا بعد الظهيرة- عمد (ذهب) إلى رسول الله ﷺ فسأله عن الدين واستقرأه القرآن، فاختلف[2] إليه عثمان مراراً حتى فَقُه في الدين وعلم، وكان إذا وجد رسول الله ﷺ نائماً عَمَد إلى أبي بكر رضي الله عنه، وكان يكتم ذلك من أصحابه، فأعجب ذلك منه رسول الله ﷺ وأحبه.

فمكث الوفد يختلفون إلى رسول الله ﷺ، يدعوهم إلى الإسلام، فأسلموا... فقال كنانة بن عبد ياليل لرسول الله ﷺ: أفرأيت الزنى، فإنا قوم نغترب ولا بد لنا منه؟ قال: «**هو عليكم حرام، فإن الله عز وجل يقول:** ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الإسراء]»، قالوا: أفرأيت الربا، فإنه أموالنا كلها؟ قال: «**لكم رؤوس أموالكم، إن الله تعالى يقول:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [سورة البقرة]»، قالوا: أفرأيت الخمر، فإنه عصير أرضنا لا بد لنا منها؟ قال: «**إن الله حرمها، وقرأ** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة المائدة]»[3].

---

(١) أخرجه ابن سعد في "طبقاته" [١/٢٧١].

(٢) فاختلف إليه: كَثُر تردّاده عليه.

(٣) ينظر: "زاد المعاد" [٣/٥٢١].

ثم انتقلوا في طلباتهم إلى موضوع آلهتهم التي كانوا يعبدونها، وإلى موضوع الصلاة:

((وَقَدْ كَانَ فِيمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَنْ يَدَعَ لَهُمْ الطّاغِيَةَ ، وَهِيَ اللّات، لَا يَهْدِمُهَا ثَلَاثَ سِنِينَ، فَأَبَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ ذَلِكَ عَلَيْهِم، فَمَا بَرِحُوا يَسْأَلُونَهُ سَنَةً سَنَةً، وَيَأْبَى عَلَيْهِم، حَتّى سَأَلُوا شَهْراً وَاحِداً بَعْدَ مَقْدَمِهِم، فَأَبَى عَلَيْهِم أَنْ يَدَعَهَا شَيْئاً مُسَمّى، وَإِنّمَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ فِيمَا يُظْهِرُونَ أَنْ يَتَسَلّمُوا -يسْلَموا- بِتَرْكِهَا مِنْ سُفَهَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذَرَارِيّهِمْ وَيَكْرَهُونَ أَنْ يُرَوّعُوا قَوْمَهُمْ بِهَدْمِهَا حَتّى يَدْخُلَهُمْ الْإِسْلَامُ فأبى رسولُ الله ﷺ...، وَقَدْ كَانُوا سَأَلُوهُ مَعَ تَرْكِ الطّاغِيَةِ أَنْ يُعْفِيَهُمْ مِنْ الصّلَاةِ، وَأَلّا يَكْسِرُوا أَوْثَانَهُمْ بِأَيْدِيهِم، **فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ** ﷺ :«أَمّا كَسْرُ أَوْثَانِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ فَسَنُعْفِيكُمْ مِنْهُ، وَأَمّا الصّلَاةُ فَإِنّهُ لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا صَلَاةَ فيه » ... فَلَمّا أَسْلَمُوا وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ كِتَابَهُم، أَمَّرَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ[1]، وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنّاً، وَذَلِكَ أَنّهُ كَانَ أَحْرَصَهُمْ عَلَى التّفَقّهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَتَعَلّمِ الْقُرْآنِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ:" يَا رَسُولَ اللّهِ، إنّي قَدْ رَأَيْتُ هَذَا الْغُلَامَ مِنْهُمْ مِنْ أَحْرَصِهِمْ عَلَى التّفَقّهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَتَعَلّمِ الْقُرْآنِ."))[2].

وعَنْ وَهبٍ ﷺ قَالَ: ((سَأَلْتُ جَابِراً عَنْ شَأْنِ ثَقِيفٍ إِذْ بَايَعَتْ. قَالَ:" اشْتَرَطَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺأَنْ لاَ صَدَقَةَ عَلَيْهَا، وَلاَ جِهَادَ. وَأَنَّهُ سَمِعَ النبيَّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: « سَيَتَصَدَّقُونَ وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا »))[3].

(١) من فقه الدعوة: أن أحق الناس بالإمارة والإمامة أحفظهم وأفقههم بكتاب الله تعالى، وأعقلهم.

(٢) سيرة ابن هشام، (٤/٥٤٠).

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم [٣٠٢٥](ص/٣٤٣)، وهو صحيح.

وفي رواية الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص: ((فَاشْتَرَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَلَّا يُحْشَرُوا، وَلَا يُعْشَرُوا، وَلَا يُجَبُّوا، وَلَا يُسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ غَيْرُهُم.)) [1].

وتمَّ تنفيذ هدم اللات التي كان يعتقد المشركون أنها تقتل من يهدمها حسب عقولهم المتخلفة...، ((ثم قدم عليهم رُسُلُ رسول الله ﷺ قد أُمِّرَ عليهم خالدُ بن الوليد، وفيهم المغيرةُ بن شُعْبة، فلما قَدِمُوا، عَمَدُوا إلى اللات ليهدموها، واستكَفَّتْ[2] ثقيف كُلُّها، الرِّجالُ والنساءُ والصبيانُ، حتى خرج العواتِق[3] مِن الحِجال[4] لا ترى عامةُ ثقيف أنها مهدومة يظنُّون أنها ممتنعة، فقام المغيرةُ بنُ شُعْبة، فأخذ الكِرْزِين[5]، وقال لأصحابه: واللهِ لأُضحكنَّكم من ثقيف، فضرب بالكِرْزِين، ثم سقط يركُض، فارتجَّ أهلُ الطائف بضجَّةٍ واحدة، وقالوا: أبعد اللهُ المغيرة، قتلته الرَّبَّة، وفرحوا حين رأوه ساقطاً، وقالوا: مَن شاء منكم، فليقرب، وليجتهد على هدمها، فواللهِ لا تُستطاع، فوثب المغيرة بن شُعْبة، فقال: قبَّحكم الله يا معشر ثقيف، إنما هي لكَاع[6] حِجَارة ومَدَر[7]، فاقبلوا عافيةَ اللهِ واعبدوه، ثم ضرب البابَ فكسره، ثم علا سورَها، وعلا الرجالُ معه، فما زالوا يهدِمُونها حجراً حجراً حتى سوَّوْها بالأرض)) [8].

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [١٧٩١٣](٤٣٨/٢٩)، ورجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) استكف القوم دنا بعضهم من بعض، وأحاطوا بالشيء ينظرون إليه .

(٣) العواتق: جمع عَاتِق وَهِيَ الجارِيَةُ الَّتِي أَدرَكت فَخُدِّرَتْ وَلَمْ تُزَفَّ إِلَى الزوجِ .

(٤) الحجال: جمع حجلة، وهو بيت يزين بالثياب والأسرة والستور.

(٥) الكرز: الخُرْجُ الكبير من صوف أو شعر يحمل فيه الراعي زاده ومتاعه.

(٦) لكاع معناها هنا ما لصق به الوسخ ولزمه.

(٧)المَدَرُ: قِطَعُ الطِّيْنِ اليابِسِ.

(٨) زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، (٥٩٨/٣وما بعدها).

قال ابن سعد في "طبقاته" –يروي عن المغيرة رضي الله عنه–: (فدخَلَت ثقيف في الإسلام، فلا أعلم قوماً من العرب بني أب ولا قبيلة كانوا أصح إسلاماً، ولا أبعد أن يوجد فيهم غش لله ولكتابه، منهم)[1].

نعم، بعد مضي السنين والأعوام حقق الله تعالى لرسوله ﷺ ما دعاه وما رجاه لثقيف –أهل الطائف–، وإنها **لمعجزةٌ** وتكريم لرسول الله ﷺ أن يُخرِج الله من أصلابهم من يوحّد الله تعالى ولا يشرك به شيئاً، بل أخرج الله تعالى من أصلابهم من حقق الله على أيديهم أعظم الفتوحات الإسلامية، فكان فتح الفتوح على يد محمد بن القاسم الثقفي، والذي سرت فيه دعوة النبي ﷺ فأكرمه الله تعالى بفتح بلاد ما وراء النهر من بلاد الهند والسند والبنغال والترك والكازاق والأوزبك وغيرهم...

حقيقة

ما أعظم رحمتك يا رسول الله، فداك أباؤنا وأمهاتنا وأموالنا وأهلونا، فإنك بدل أن تنتقم ممن عذبوك واضطهدوك دعوت الله لهم بالهداية والرحمة، فكان لهم ما دعوت وسألت.

(١) أخرجه ابن سعدفي "طبقاته" [١/٢٧١].

۞ وقفة للتأمل والتحليل:

ومما يجدر التوقف عنده، والانتباه إليه، وفهم مدلولاته، والحكمة منه، تلك الطلبات التي قدموها إلى رسول الله ﷺ بعد إسلامهم ورجوه إعفاءهم منها، والتي اعتادوا عليها وصارت جزءاً من حياتهم وثقافتهم يصعب عليهم تركها:

١- السماح لهم بالزنى.
٢- السماح لهم بالربا.
٣- السماح لهم بالخمر.
٤- أن يضع عنهم الصلاة.
٥- أن يبقي لهم صنمهم الذي كانوا يعبدون وهو (اللات) ثلاث سنين.
٦- و إذا لم يوافق فليُبقِه ولو شهراً واحداً .
٧- أن يعفيهم من هدم اللات بأيديهم، وأن يتولى هو هدمها.
٨- أن يقبل إسلامهم بدون صدقة (أي زكاة) ولا جهاد ..
٩- ألاّ يستعمل عليهم أميراً من غيرهم..

فلم يوافق رسول الله ﷺ على الطلبات الست الأولى، ووافق على الباقي؛ لأن الطلبات الست الأولى هي من المحرمات في الإسلام، فلا تهاون فيها، وأما الطلب السابع فهو في الوسائل المؤدية إلى إزالة أمر محرم، فلا مانع أن ينفذ بأيديهم أو بأيدي غيرهم.

وأما الطلب الثامن: فوافق عليه لأن الزكاة لا تجب عليهم إلا بعد سنة، ولأن الجهاد لا يكون إلا عند الحاجة، وما كان المؤمنون لينفروا كافة، ولأن الله تعالى أطلعه على أنهم إذا أسلموا سيتصدَّقون ويجاهدون.

يقول عبد المحسن العباد في شرحه لسنن أبي داود: ((ومعنى ذلك: أنه علم أنه سيحصل منهم ذلك، ولكنهم في الحال لا يجب عليهم الجهاد، والزكاة لا تجب عليهم إلا بعد مرور سنة، والجهاد لا يكون إلا عند الحاجة إليه والدعوة إليه، وهم في حال بيعتهم ليس عليهم شيء من هذا ولا هذا، ولكونه ﷺ علم أنهم سيجاهدون وسيتصدقون إذا أسلموا لم يمنعهم أن يدخلوا في الإسلام بهذه الطريقة، بل وافقهم على ذلك لما علمه أنهم سيجاهدون وسيتصدقون، ومن المعلوم أن هذا من خصائص الرسول ﷺ، فلو اشترط أحد ألا يتصدق أو لا يعمل شيئاً من أعمال الإسلام لا يقر على ذلك، والرسول عليه الصلاة والسلام قد أطلعه الله أنهم سيحصل لهم ذلك بعد دخولهم الإسلام))[1].

وأما الطلب التاسع: بعدم استعمال أمير عليهم من غيرهم، فلا مانع له في الشرع.

فائدة

الحكمة في الدعوة إلى الله لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً... ولكنها تضع الأشياء في مواضعها...

هذه هي الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، وأما الذين يفرطون في الدين بحجة الحكمة فحجتهم داحضة واهية، وأما الذين يتذرعون بفقه التدرج فيحلون ما حرم الله، فعليهم الاقتداء برسول الله ﷺ الذي لم يقبل بمفهوم

(١) شرح سنن أبي داود، عبد المحسن العباد، (٢٣١/١٦).

التدرج ليحل ما حرم الله تعالى، فلم يقبل أن يترك لهم صنم اللات؛ لا ثلاث سنوات ولا شهراً واحداً؛ فالحرام يجب أن يُزال عند التمكن منه.

نعم لقد استعمل رسول الله ﷺ فقه التدرّج في تعليمهم، فبنى لهم خياماً في مسجده[1] ليعيشوا الحالة الإسلامية، ويشاهدوا شعائر وسلوكات المسلمين، وهذا تعليم بالمشاهدة والنظر، وكان يقيم لهم مجلس تعليم وتربية وتزكية كل يوم بعد صلاة العشاء، ويخصص لهم وقتاً طويلاً، ويبذل فيهم جهداً عظيماً، حتى يصيبه التعب الشديد!! كل ذلك حتى دخل الإيمان شغاف قلوبهم، فأسلموا وحسن إسلامهم، والتزموا به التزاماً كاملاً، وصدق الله وعده، ونصر عبده، وأجاب دعوته، وحقق فيهم رجاءه بعد طول معاناة، من مرحلة تعذيبهم له واضطهاده إلى مرحلة دخولهم الإسلام؛ حيث نصروه وعزروه واتبعوه؛ واتبعوا النور الذي أنزل عليه.

إن هذا منتهى الرحمة..!! فداه أبي وأمي وروحي...

لا يمكن أن تتوافر رحمة كهذه في أي إنسان، لا يمكن أن يتحقق هذا إلا في من جعله الله تعالى نبي الرَّحمة، هو هبة إلهية، هو تربية إلهية، هو عطاء رباني، لذلك قال: «**إنما أنا رحمة مهداة**»[2].

---

(١) من فقه السنة، أنه يجوز استضافة المشرك في المسجد يأكل وينام، ويُستحسن تمكينه من سماع القرآن، ورؤية صلاة المسلمين، وسلوكهم اليومي في معاشهم وأخلاقهم ، لاسيما إذا كان يرجى إسلامه.

(٢) أخرجه الحاكم في "المستدرك" برقم (١٠٠) [٨٢/١]، وصححه، ووافقه الذهبي.

٢- **عن أبي هريرة** ﷺ : **قدم الطفيل بن عمرو الدوسيّ** وأصحابه إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، إنّ دَوساً عصت وأبَت، فادعُ الله عليها (وعندما اتجه النبي ﷺ ليتكلم ويدعو) فقيلَ: هلكَتْ دَوس (ظناً منهم بأن النبي ﷺ سيدعو عليهم، ولكنه فاجأهم فدعا لهم بالهداية)، **قال**: «اللهم اهدِ دوساً، وَأْتِ بهم»[(١)]. فهو لا يريد هلاك الناس، ولكنه يريد هدايتهم.

٣- **و في يوم خيبر قال النبي** ﷺ: «لأعطينَّ الراية غداً رَجُلاً يُفْتَحُ على يديه، يُحِبُّ الله ورسولَه، ويحبُّهُ الله ورسولُهُ»، قال: فبات الناس ليلتهم: أيُّهم يُعطى، فغَدَوْا، كُلُّهم يرجوه، **فقال**: «أين عليٌّ؟» فقيل:يشتكي عينه، فَبَصَق في عينه، ودعا له، فَبَرَأ كأن لم يكن به وجع، فأَعطاه، فقال عليّ: أُقاتِلُهم حتى يكونوا مثلنا؟ **قال**: «انْفُذْ على رِسْلِكَ، حتى تنزلَ بساحتِهِم، ثُمَّ ادْعُهم إلى الإسلامِ، وَأخبِرهم بما يجبُ عليهم، فواللهِ لأن يهديَ الله بكَ رجلاً خيرٌ من أن يكون لكَ من حُمْر النَّعَم»[(٢)].

لقد طلب سيدنا علي ﷺ قتالهم، ولكن نبيَّ الرَّحمة ﷺ أمره بدعوتهم إلى الإسلام، وهدايتهم.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٩٣٧) [٥٦٣]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٥٢٤)، [١٠٢٠]، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٩) [٥٧٦]، ومسلم برقم (٢٤٠٥)، [٩٨٠]، واللفظ للبخاري.

بل إن رسول الله ﷺ كان يغتم ويحزن إن لم يهتدوا، حتى يكاد أن يهلك نفسه، فخاطبه ربه عز وجلَّ مخففاً عنه حزنه وهمه وغمَّه، فقال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾ [سورة الكهف]

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ﴾[سورة فاطر: ٨] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾[آل عمران: ١٧٦]

وقال تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٣ ﴾ [سورة لقمان]

وأخبره ربه عزّ وجلّ بأن الهداية ليست بيده، وإنما بيد الله تعالى.

فقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾ [سورة القصص]

وقال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢]

رحمته بالمشركين (٢) رحمته ﷺ بالكافرين وعفوه عنهم بعد انتصاره عليهم في الحرب:

كيف عامل رسول الله ﷺ المشركين والكافرين الذين عذبوه وقاتلوه، ولم يتركوا وسيلةً في إيذائه إلا فعلوها؟ كيف قابلهم؟! بعد النصر وفتح مكة؟.

قابلهم بمنحهم العفو العام على الرغم من كل هذا الأذى والعذاب، علماً أن النبي ﷺ كان قادراً على استئصالهم كلّهم، ومع كل ذلك اجتمع بهم

النبي ﷺ بعد أن طاف بالكعبة، ثم دخلها وخرج، وأطل على كفار قريش، **وقال لهم**: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعلٌ فيكم؟» وهم واقفون أمامه ينتظرون حكمه فيهم «ما ترون أني فاعل فيكم؟» قالوا: أخٌ كريم، وابن أخٍ كريم، قال: « اذهبوا فأنتم الطلقاء»[1].

حقيقة

ما أعظم الرَّحمة والعفو في موقف النصر والاقتدار.

وهل تعلمون ماذا يترتب على هذا العفو؟.

بهذا العفو منع عنهم القتل والسبي؛ لأنَ أيَّةَ مدينة تُفتح بالقوة يُباح لفاتحيها قتل المقاتلين، وسبي نسائهم، وأخذ أموالهم.

بهذا العفو أبقى أموالهم، فليس لأحد أن يعتدي عليها.

حفِظ أراضيهم فلا تؤخذ، ولم يفرض الخراج عليهم، فالمدن التي تُفتح بالقوة تُفرض عليها هذه القوانين الأربع، ومكة فُتحت بالقوة، ولكن من رحمته بالكافرين أنه لم يفرض عليهم هذه القوانين.

حقيقة

إنها ذروة الانتصار... إنه النصر العظيم الذي لا يماثله نصر...
ما نتائج هذا العفو المكلَّل بالرَّحمة في موقف القوة والانتصار؟
لقد امتلك القلوب بدل أن يمتلك المتاع!!..

(١) ينظر: سيرة ابن هشام [٤/٤١٢].

لقد امتلك قلوب أعدائه فأحبوه وناصروه، بدل أن يزهق أرواحهم.

لقد كان من نتائج هذه الرَّحمة أن دخل الناس في دين الله أفواجاً، رجالهم ونساؤهم وأطفالهم وعبيدهم، وتمَّت نعمة الله على هؤلاء الكافرين، كانوا كافرين، مصيرهم إلى نار جهنم، فدخلوا في الإسلام، وحسن إسلامهم، فكان مصيرهم إلى الجنة.

أي رحمة هذه؟! أي بركة نزلت عليهم بوجود رسول الله ﷺ ؟!

رحمته بالمشركين (٣) رحمته ﷺ بنساء وشيوخ وأطفال الكافرين المحاربين:

و من آثار رحمته ﷺ، أنه نهى بشكل عام عن قتل النساء والأطفال والشيوخ في أيِّ حرب، والأبلغ من ذلك: أمْرُهُ بالحفاظ على المصادر الطبيعية، وأمره بحفظ المزروعات، ومنع التمثيل بالإنسان والحيوان.

هذا مع الكافرين الذين يقاتلونه والذين آذوه أذى شديداً، وعاندوه وعذبوه. فأيُّ رحمة هذه؟!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، **أن رسول الله ﷺ قال**: «انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا، ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة البقرة]»[1].

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٢٦١٤) [٢٩٥]، وإسناده حسن لغيره.

وإذا أردنا المقارنة بين هذه المعاملة الرحيمة وبين ما كان يفعله أعداءُ النبي ﷺ بأصحابه فسنرى عجباً!! كانوا يمثّلون بالقتلى، ويفعلون كلَّ المنكرات، أمَّا النبي ﷺ فلا يقابلهم بمثل ما يفعلون، يقابلهم بالقيم الرائعة التي تنبع من الإسلام، أعظم رسالة رحيمة تعرف عليها الإنسان في تاريخه الماضي وهو كذلك في الحاضر والمستقبل.

هكذا كان رسول الله ﷺ، بعثه الله رحمة للعالمين، فهو نبي الرَّحمة، وهو كما قال: «**إنما أنا رحمة مهداة**»[1].

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١٠٠) [٨٣/١]، وهو صحيح.

وقفة تأمل ومقارنة:

۞ هذه ثقافتنا وأعمالنا وتلك ثقافتهم وأعمالهم:

تأمّل في رحمة رسول الله ﷺ وتمعّن في وصيته الرحيمة التي نستمد منها مبادئنا وثقافتنا، وبالمقابل تأمل في:

١- ثقافة أعدائنا المتوحشة التي يستمدونها من كتبهم المقدسة!! من توراتهم المزعومة وغيرها...

ورد في سفر يوشع ما يلي: (وحرموا كلَّ ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف). [١]

وورد في سفر التثنية ما يلي: (فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف، تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها، وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك، فتكون تلاً إلى الأبد لا تبنى بعد). [٢]

وورد في لوقا ما يلي: (أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أُمَلَّك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي)[٣] .

---

(١) سفر يوشع، الإصحاح السادس (٢١).

(٢) سفر التثنية، الإصحاح الثالث عشر (١٥).

(٣) لوقا، الإصحاح التاسع عشر (٢٧).

وورد في سفر التثنية ما يلي: (حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدِّ السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما)[1] .

حقيقة

وانتبه أنهم هم الذين يبدؤون الحرب، وإنهم يستعبدون من يستسلمون لهم، وإنهم يقتلون الرجال والنساء والأطفال جميعاً بشكل منهجي، ولا يسلم منهم لا الشعوب القريبة ولا البعيدة، وإنهم ينفذون جرائم حروب الإبادة...

وورد في سفر إشعياء ما يلي: (كل من وُجد يُطعن، وكل من انحاش يسقط بالسيف، وتحطَّم أطفالهم أمام عيونهم، وتنهب بيوتهم، وتُفضَح نساؤهم)[2].

(١) سفر التثنية، الإصحاح العشرون (١٠).

(٢) سفر إشعياء، الإصحاح الثالث عشر (١٥).

٢- وهذه ثقافتهم وأعمالهم في الماضي !!..

أولاً: اضطهاد الفرنجة لأبناء دينهم:

كان الإمبراطور في بيزنطة يُعدُّ الحاكم الأعظم للإمبراطورية، والكاهن الأكبر للكنيسة، وقد ارتكب هؤلاء أعمال اضطهاد من خلال تفسيرات دينية واجتهادات اعتقادية.

ويشير المؤرخ والباحث توماس آرنولد إلى بعض مشاهد هذا الاضطهاد فيقول: (وفي سنة ٥٣٢ م انفجر السخط، الذي كان سائداً في القسطنطينية، على الكنيسة والدولة معاً، وتحول ثورة على حكومة جستنيان لم تقمع إلا بعد ذبح خمسة وثلاثين ألف شخص)[(١)].

وينقل آرنولد عن **الراهب أودو الدويلي** ، الذي كان يشغل وظيفة قسيس خاص للملك لويس السابع أثناء الحرب الصليبية الثانية، حديثه عن الوحشية والقسوة التي كان يعاني منها الحجاج المسيحيون إلى القدس على يد إخوانهم المسيحيين من الإغريق البيزنطيين.. يقول: [فكان البون شاسعاً بين المعاملة الرحيمة التي لقيها الحجاج من الكفار (أي المسلمين) وبين ما عانوه من قسوة إخوانهم المسيحيين من الإغريق الذين فرضوا عليهم السخرة وضربوهم، وابتزوا منهم ما تُرك لهم من متاع قليل، حتى إن كثيراً منهم دخلوا في دين منقذيهم بمحض إرادتهم. وكما يقول المؤرخ القديم: (لقد جفوا

(١) انظر الدعوة إلى الإسلام ، لتوماس آرنولد ، [ص/٩١].

إخوانهم في الدين الذين كانوا قساة عليهم، ووجدوا الأمان بين الكفار (أي المسلمين) الذين كانوا رحماء عليهم] [(١)].

ويشير آرنولد إلى أن اضطهاد البيزنطيين لأبناء دينهم اليعاقبة القبط في مصر دفع المسيحيين أبناء مصر للترحيب بالحكم الإسلامي الذي خلصهم من ظلم البيزنطيين، **فيقول**:

[ويرجع النجاح السريع الذي أحرزه غزاة العرب، قبل كل شيء، إلى ما لقوه من ترحيب الأهالي المسيحيين الذين كرهوا الحكم البيزنطي، لما عُرف به من الإدارة الظالمة، ولما أضمروه من حقد مرير على علماء اللاهوت. فإن اليعاقبة الذين كانوا يكونون السواد الأعظم من السكان المسيحيين، قد عوملوا معاملة مجحفة من أتباع المذهب الأرثوذكسي التابعين للبلاط، الذين ألقوا في قلوبهم بذور السخط والحنق اللذين لم ينسهما أعقابهم حتى اليوم، كان بعضهم يعذب ثم يلقى بهم في اليم، وتبع كثير منهم بطريقهم إلى المنفى لينجوا من أيدي مضطهديهم، وأخفى عدد كبير منهم عقائدهم الحقيقية، وتظاهروا بقبول قرارات مجمع خلقدونية... وقيل إن جستنيان أمر بقتل مائتي ألف من القبط في مدينة الإسكندرية، وأن اضطهادات خلفائه قد حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء.] [(٢)].

(١) انظر: المصدر السابق [ص/١٠٩].

(٢) المصدر السابق [ص/ ١٢٣].

ويقول: [وقد قيل إن الحروب وحكومة الإمبراطور جستنيان قد أفنت خمسة ملايين من الإفريقيين] (١).

وينقل المؤرخ والباحث د. غوستاف لوبون رسالة موجهة من البابا ليون التاسع إلى قيصر القسطنطينية، يشرح فيها سوء معاملة جيش النورمان النصراني لأبناء دينهم عندما استولوا على صقلية فيقول:

[يكاد قلبي يتفطر من الأخبار المحزنة التي أنبأني بها رسل ابني أرجيروس، فعزمتُ على تطهير إيطالية من ظلم هؤلاء الأجانب النورمان المرِدة الأشرار الزنادقة، الذين لا يحترمون شيئاً عند اندفاعهم، والذين يذبحون النصارى، ويسومونهم أشد العذاب، غير راحمين، ولا مفرقين بين الجنسين والأعمار، والذين ينهبون الكنائس ويحرقونها ويهدمونها، والذين يعدُّون كل شيء فريسة يباح سلبها] (٢).

وقد قام الصليبيون الذين جندهم البابا أوربان الثاني في الحملة الأولى، **كما يروي د. غوستاف لوبون** بمجازر بشعة بحق أبناء دينهم خلال مسيرتهم من أوربة باتجاه بيت المقدس.. **يقول:** [وكان بطرس الناسك والفارس الفقير غوتيه على رأس أهم العصابات الزاحفة إلى الشرق، وأُكرمت هذه العصابات في البلدان الأوربية التي كانت تمر منها في بدء الأمر، ولكنها لم تكد تصل إلى بلغارية حتى التقت بأناس من ضعاف الإيمان أبوا أن يضيّفوهم مجاناً، وساء

(١) المصدر السابق [ص/ ١٤٦].

(٢) انظر حضارة العرب، للدكتور غوستاف لوبون، [ص/٣٠٤ ما بعدها].

هذا الرفض الصليبيين، ولم يحجموا عن اغتصاب ما مُنعوه وعن نهب قرى تلك البلاد وذبح أهليها .... وأخذوا يقتلون وينهبون ويأتون ما يفوق الوصف من الأعمال الوحشية] [(١)].

ويذكر المؤرخ والباحث ول ديورانت أحداثاً فظيعة ارتكبها الفرنجة بحق أبناء دينهم، والأديان الأخرى فيقول: [وكانت هذه الجموع غير النظامية هي التي قامت بأكثر الاعتداءات على يهود ألمانيا وبوهيميا، وأبت أن تطيع نداء رجال الدين والمواطنين من أهل تلك البلاد، وانحطت حتى استحالت إلى وقت ما؛ وحوشا كاسرة تستر تعطشها للدماء بستار من عبارات التقى والصلاح... وسرعان ما أضافوا الفسق إلى السلب والنهب. وقاومهم أهل البلاد مقاومة عنيفة، وأغلقت بعض المدن أبوابها في وجوههم، وأمرهم بعضها أن يرحلوا عنها بلا مهل، ولما بلغوا آخر الأمر مدينة القسطنطينية، بعد أن نفِدَت أموالهم، وهلك منهم من هلك بفعل الجوع والطاعون، والجذام، والحمى، والمعارك التي خاضوا غمارها في الطريق، رحب بهم ألكسيوس – إمبراطور القسطنطينية–؛ ولكنه لم يقدم لهم كفايتهم من الطعام، فانطلقوا في أرباض المدينة، ونهبوا الكنائس، والمنازل، والقصور. وأراد ألكسيوس أن ينقذ عاصمته من هذه الجموع الفتاكة التي أهلكت الحرث والنسل، وكانت فيها كالجراد المنتشر. فأمدها بالسفن التي عبرت بها البسفور] [(٢)].

---

(١) المصدر السابق[ص/ ٣٢٣] .

(٢) انظر: كتاب قصة الحضارة ، الحرب الصليبية الأولى ، [ص/٥٢٩٣ وما بعدها].

ويـذكر ديورانـت مـا فعلـه الـصليبون بـسكان فلـسطين مـن أبنـاء دينـهم فيقـول: [وادعـى الأشـراف ملكيـة الأرض جميعهـا، وأنزلـوا ملاكهـا الـسابقين- سـواء كـانوا مـسيحيين أو مـسلمين- منـزلة أرقـاء الأرض، وفرضـوا علـيهم واجبـات إقطاعيـة أشـد قـسوة ممـا كـان منهـا وقتئـذ في أوربـا، حـتى أخـذ سـكان البلاد المسيحيون ينظرون بعين الحسرة إلى حكم المسلمين ويعدونه من العصور الذهبية التي مرت بالبلاد] [(١)].

ثانياً: اضطهاد الفرنجة لأبناء الديانات الأخرى:

ويـشير آرنولـد كيـف أن اليهـود في أسـبانيا وكـان عـددهم كبـيراً، رحبـوا بحكـم المـسلمين وتعـاونوا معهـم ليتخلـصوا مـن الاضـطهاد والظلـم الـشديدين اللذين لحقا بهم على يد أتباع المذهب الكاثوليكي بعد انتصاره على المذهب الآري في إسبانية. **فيقول**: [واتخذ القسس من وراء هذه القوة التي وصلوا إليها سبيلاً لاضطهاد اليهود، الذين كانوا طائفة كبيرة العدد في إسبانية، وصدرت الأوامر المشددة ضد كل من امتنع عن الدخول في المسيحية، وكان من أثر هذه الاضطهادات أن رحب اليهود بالعرب الغزاة، وعدُّوهم مخَلِّصين لهم مما حل بهم من المظالم، فساعدوهم على فتح أبواب المدن، كما استعان بهم الفاتحون في حماية المدن التي وقعت في أيديهم] [(٢)].

(١) انظر: المصدر السابق، محكمة أورشليم اللاتينية، [ص/٥٣٠١ وما بعدها].

(٢) انظر :الدعوة إلى الإسلام لتوماس آرنولد ، [ص/١٥٤ وما بعدها] .

ويتحدث المؤرخ والباحث الدكتور غوستاف لوبون عن الأعمال الوحشية التي ارتكبها الصليبيون في مدينة القدس بحق اليهود والمسلمين والنصارى الذين يخالفونهم بالمذهب، **فيقول**: [وكان سلوك الصليبيين حين دخلوا القدس غير سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب نحو النصارى حين دخلها منذ بضعة قرون، **قال كاهن مدينة لوبوي، ريموند داجيل** : (حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبُقِرتْ بطون بعضهم، فكانوا يُضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحُرق بعضهم في النار وكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لايُرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا...).
وروى ذلك الكاهن الحليم **خبرَ ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر** ، فعرض الوصف الآتي: (لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان، وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهنالك، وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها، فإذا ما اتصلت ذراعٌ بجسم لم يعرف أصلها، وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة).

ولم يكتف الفرسان الصليبيون الأتقياء بذلك، فعقدوا مؤتمراً أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس، من المسلمين واليهود وخوارج النصارى، الذين

كان عددهم نحو ستين ألفاً فأفنوهم عن بكرة أبيهم في ثمانية أيام، ولم يستثنوا منهم امرأةً ولا ولداً ولا شيخاً] (١).

ويشهد المؤرخ والباحث وِل ديورانت على أحداث مماثلة نفذها الصليبيون في القدس فيقول: [يقولون إن النساء كن يُقتلن طعناً بالسيوف والحراب، والأطفال الرضع يُختطفون من أرجلهم من أثداء أمهاتهم، ويقذف بهم من فوق الأسوار، أو تهشم رؤوسهم بدقها بالعمد، وذبح السبعون ألفاً من المسلمين الذين بقوا في المدينة، أما اليهود الذين بقوا أحياء فقد سيقوا إلى كنيس لهم، وأشعلت فيهم النار وهم أحياء] (٢).

ويشير د. غوستاف لوبون إلى الوحشية اللامتناهية وثقافة الغدر والتنكيل التي نفذها جيش فرديناند في الأندلس ضد العرب المسلمين بدعم من كردينال طليطلة، فيقول: [وعاهد فرديناند العرب على منحهم حرية الدين واللغة، ولكن سنة ١٤٩٩م لم تكد تَحِلُّ حتى حلَّ بالعرب دور الاضطهاد والتعذيب الذي دام قروناً، والذي لم ينته إلا بطرد العرب من إسبانية، وكان تعميدُ العرب كرْهاً فاتحة ذلك الدور، ثم صارت محاكم التفتيش تأمربإحراق كثير من المعمدين على أنهم من النصارى، ولم تتم عملية التطهير بالنار إلا بالتدريج لتَعذُّرِ إحراق الملايين من العرب دفعةً واحدة، ونصح كردينال طليطلة التقي، الذي كان رئيساً لمحاكم التفتيش، بقطع رؤوس جميع من لم

(١) انظر: حضارة العرب، للدكتور غوستاف لوبون، [ص/٣٢٦ وما بعدها].

(٢) انظر كتاب قصة الحضارة، ول ديورانت، الحرب الصليبية الأولى [ص/٥٢٩٩].

يتنصر من العرب رجالاً ونساءً وشيوخاً وولداناً، ولم يرَ الراهب الدومينيكيُّ "بليدَا" الكفاية في ذلك فأشار بضرب رقاب من تنصر من العرب، ومن بقي على دينه منهم، وحجته في ذلك أن من المستحيل معرفة صدق إيمان من تنصر من العرب، فمن المستحب، إذن قتل جميع العرب بحد السيف؛ لكي يحكم الرب بينهم في الحياة الأخرى ويدخل النار من لم يكن صادق النصرانية منهم، ولم تر الحكومة الإسبانية أن تعمل بما أشار به الدومينيكي، الذي أيّده الإكليروس في رأيه، لما قد يبديه الضحايا من مقاومة، وإنما أمرت في سنة ١٦١٠م، بإجلاء العرب عن إسبانية، فقتل أكثر مهاجري العرب في الطريق، وأبدى ذلك الراهب البارع "بليدَا" ارتياحه لقتل ثلاثة أرباع هؤلاء المهاجرين في أثناء هجرتهم،وهو الذي قتل مئة ألف مهاجر من قافلة واحدة كانت مؤلفة من ١٤٠٠٠٠ مهاجر مسلم حينما كانت متجهة إلى إفريقية، وخسرت إسبانية بذلك **مليون مسلم من رعاياها في بضعة أشهر**، ويُقدِّر كثير من العلماء، ومنهم سيديّو ، عدد المسلمين الذي خسرتهم إسبانية، منذ أن فتح فرديناند غرناطة حتى إجلائهم الأخير **بثلاثة ملايين**، ولا تُعدُّ ملحمة سان بارتملي إزاء تلك المذابح سوى حادث تافه لا يؤبه له، ولا يسعنا سوى الاعتراف بأننا لم نجد بين وحوش الفاتحين من يؤاخذ على اقترافه مظالم قتل كتلك التي اقترفت ضد المسلمين][1].

(١) انظر: حضارة العرب، للدكتور غوستاف لوبون، [ص/٢٧٠ وما بعدها].

ولم يكتفوا بالمذابح والقتل والتطهير العرقي، بل عملوا على تدمير وإحراق مصادر العلوم والثقافة إمعاناً في عملية التطهير الثقافي إلى جانب التطهير العرقي.. **يقول الدكتور غوستاف لوبون** حول هذا الموضوع: [وظن رئيس الأساقفة أكزيمينيس أنه بإحراقه مؤخراً ما قدر على جمعه من مخطوطات أعداء دينه العرب (أي ثمانين ألف كتاب)، محَا ذكرهم من صفحات التاريخ إلى الأبد، وما درى أنه ما تركه العرب من الآثار التي تملأ بلاد إسبانية، خلا مؤلفاتهم، يكفي لتخليد اسمهم إلى الأبد] (١).

ويذكر المؤرخ والباحث ول ديورانت كيف كان الفرنجة يقومون بهدم المساجد وإحراق المصاحف فيقول: [وكانت طرسوس من كبريات المدن... وقد استعادها نقفور إمبراطور الروم في عام ٩٦٥م، وهدم جميع ما فيها من المساجد، وحرق جميع المصاحف] (٢).

ويشير ديورانت إلى الاضطهاد الذي لحق باليهود في أوربة خلال العصور الوسطى فيقول: [وفي عام ١٢٤٣ حرق جميع اليهود من سكان بلتز Beltz القريبة من برلين وهم أحياء بحجة أن بعضهم قد دنسوا خبزاً للتقدمة مقدساً.ونظم رندفلشخ Rindfleisch وهو بارون متمسك بدينه جماعة من المسيحيين الذين أقسموا أن يقتلوا جميع اليهود وأمدهم بالسلاح، وأبادوا جميع الجالية اليهودية في ورزبرج، وذبحوا ٦٩٨ يهودياً في نورمبرج

(١) انظر: المصدر السابق [ص/٢٧٤].

(٢) انظر: كتاب قصة الحضارة ، أحوال البلاد الإسلامية ، [ص/ ٤٥٨٧وما بعدها].

Nuremerg، ثم انتشرت موجة الاضطهاد فلم يمض إلا نصف عام حتى محي ١٤٠ كنيساً يهودياً. وملأ اليأس بعد هذه الاعتداءات المتكررة قلوب يهود ألمانيا، وكانوا قد أعادوا تنظيم جماعاتهم مراراً وتكراراً، فغادرت أسر يهودية كثيرة مينز، وورمز، وأسبير، وغيرها من المدن الألمانية وهاجرت إلى فلسطين لتعيش في بلاد المسلمين. ...

وفي عام ١٢١١ غادر ثلاثمائة من أحبار اليهود إنجلترا وفرنسا ليبدؤوا حياة جديدة في فلسطين، وبعد سبع سنين من ذلك العام هاجر كثيرون من اليهود حين نفذ هنري الثالث أمر الشارة اليهودية...

وأفلتت الجماهير من أيدي ولاة الأمور في أثناء الحرب الأهلية التي نشرت الاضطراب في إنجلترا بين عامي ١٢٥٧، ١٢٦٧، وكادت المذابح أن تمحو من الوجود يهود لندن، وكنتربري Canterbury، ونورثمبتن Northampton، وونشستر Winchtester، وورسستر Woecester، ولنكولن، وكيمبردج، فنهبت بيوتهم ودمرت، وأحرقت العقود، والسفاتج، وأصبح من بقوا أحياء من اليهود لا يملكون شروى نقير... ولهذا أمر إدوارد الأول مَنْ كان باقياً في إنجلترا من اليهود وكانوا حوالي ١٦٠٠٠ يهودي أن يغادروا البلاد قبل أول نوفمبر من ذلك العام، وأن يتركوا وراءهم جميع أملاكهم الثابتة وما يمكن استرداده من الديون. وغرق الكثيرون منهم في القناة الإنجليزية التي أرادوا أن يعبروها في قوارب صغيرة، وسرق ملاحو السفن

متاعهم وأموالهم، فلما وصل بعضهم إلى فرنسا أبلغتهم الحكومة الفرنسية أن عليهم أن يغادروا البلاد قبل بداية الصوم الكبير من عام ١٢٩١.

وفي فرنسا وفي عام ١١٧١ أحرق عدد من اليهود في بلوا Blois بحجة استخدامهم دماً مسيحياً في شعائر عيد الفصح اليهودي. ورأى الملك فيليب أغسطس الفرصة سانحة ليبتز منهم المال محتجاً بالدين، فأمر بأن يسجن جميع من في مملكته من اليهود لأنهم يسممون آبار المسيحيين، ثم أمر بإطلاق سراحهم بعد أن افتدوا أنفسهم بمال كثير عام ١١٨٠، غير أنه طردهم من البلاد بعد عام واحد، وصادر جميع أملاكهم الثابتة، وأهدى معابدهم للمسيحيين. وفي عام ١١٩٠ أمر بقتل ثمانين يهودياً في أورنج Orange ... وفي عام ١٢٣٦ دخل الصليبيون المسيحيون الأحياء اليهودية في أنجو Anjou وبواتو Poitou–وبخاصة ما كان منها في بوردو Bordeaux وأنجوليم Angoulime–وأمروا بأن يعمد اليهود جميعاً، فلما أبوا داسوا بحوافر خيولهم ثلاثة آلاف منهم حتى قضوا نحبهم] [(١)].

هكذا عاملتهم أوربة المسيحية، ودفعتهم للهجرة إلى فلسطين فعاشوا عصرهم الذهبي في ظل حكم المسلمين بعد أن حرر صلاح الدين الأيوبي القدس.

يقول ول ديورانت: [ولما استولى صلاح الدين على المدينة عام ١١٨٧م أعقب ذلك ازدياد سريع في عدد اليهود، واستقبل السلطان العادل أخو

(١) انظر: كتاب قصة الحضارة ، كراهية اليهود، [ص/ ٤٩١١ وما بعدها].

صلاح الدين ثلاثمائة من أحبارهم الذين فروا من إنجلترا وفرنسا في عام ١٢١١ استقبالاً حسناً] [(١)].

وكانت مكافأتهم لنا أن قتلوا وذبحوا وشردوا الملايين من أبناء الشعب الفلسطيني بالتعاون مع أوربة الصليبية التي اضطهدتهم ... وبالنتيجة فإن الشعب الفلسطيني تعرض وما زال يتعرض لأبشع مذبحة عرفها التاريخ على يد التحالف الصهيوني الصليبي ...

هذه ثقافتهم وأعمالهم !!.. وتلك ثقافتنا وأعمالنا !!..

٣- وهذه ثقافتهم وأعمالهم في الحاضر!!..

كم نحتاج من الأوراق والكتب لتوثيق جرائمهم بحق الشعوب التي تقشعر لها الأبدان ؟!!..

تلك الجرائم التي ارتكبوها في فيتنام وأفغانستان والعراق وفلسطين وغيرها ...

ألم يبيدوا شعب الهنود السكان الأصليين في القارة الأمريكية ؟!!..

ألم يبيدوا السكان الأصليين في القارة الأوسترالية ؟!!..

ماذا فعلوا في القارة والشعوب الإفريقية ؟!!..

ألم يسرق الصهاينة ويغتصبوا وطناً وأرضاً للشعب الفلسطيني .. بمباركة فرنجة هذا العصر ؟!!.

---

(١) انظر: كتاب قصة الحضارة ، المجتمعات الشرقية، [ص/ ٤٨٥٩].

ألم يشردوا الملايين في الآفاق ويقتلعوهم من أرضهم وبيوتهم ومزارعهم ؟!!.

ألم يقتلوا عشرات الآلاف ويرتكبوا الفظائع والمجازر تحت سمع العالم وبصره ؟!!..

أليس هذا ما فعلته إسرائيل منذ عام (١٩٤٨م) في فلسطين، وآخر ما فعلته في غزة هاشم عام ٢٠٠٨م ، ومن قبل ذلك في جنوب لبنان وقانا عام ٢٠٠٦م...، بدعم من أكثر حكومات العالم الغربي التي تدعي المسيحية، والمسيح منها براء، والتي تدعي حماية حقوق الإنسان، وحقوق الإنسان منهم براء .. لقد ذكر أحد جنود الصهاينة أن أكبر متعة كانوا يمارسونها في غزة هي قتل الأطفال!!! وأفتى حاخاماتهم بقتل الأطفال مرات متعددة، كان آخرها عام (٢٠٠٩م)، والشعار المعلَن لدى إسرائيل: (اقتلوهم أطفالاً قبل أن يكبروا).

۞ هذه هي ثقافتهم المتوحشة!!..

ففي الحرب الإسرائيلية على لبنان عام ١٩٨٢م أنشد الشاعر الصهيوني الإرهابي(سيدون) قصيدة **يقول فيها**:

أطفال صيدا وصور
إني ألعنكم أتهمكم
ستنامون محطمي العظام
في الحقول في الطرقات

لا تسألوا: لماذا؟!..

فإنه العقاب.

بل يريد قتل الأمهات اللاتي ولدنهن.. بل كل المسنين والنساء والأرامل **فيقول**:

كل النساء في صيدا وصور

كل الأمهات، كل الحوامل

كل المسنين والأرامل

هانحن قادمون لنعاقبكم

لنقتص منكم.

۞ هذه هي ثقافتهم المتوحشة!!..

لقد جاء في قصيدة شعرية يعلمونها لأطفالهم في كتب الصف السابع تقول:

حوِّل قلوبنا إلى حجارة

كي لا ترتعش أو تلين

حينما نغرس رماحنا في أجسادهم

ونرى دماءهم التي أرقناها.

۞ هذه هي ثقافتهم المتوحشة!!..

بل يلومون جنودهم إذا بقي أحدٌ من الفلسطينيين أو العرب على قيد الحياة... فبعد هجومهم على مخيمات اللاجئين في لبنان عام ١٩٨٢ م نشرت الشاعرة الصهيونية الإرهابية (نعمة شيمر) قصيدة **تقول**:

لو أنهم تلاميذ مجتهدون
يتقنون الدرس
لكانوا نصبوا مدافعهم
على مداخل المخيمات
وأمطروها بالقنابل
بالقذائف، بالحديد الملتهب
ومسحوا المنازل مع سكانها
.....
لو أنهم تلاميذ مجتهدون
لكانوا استخدموا الدبابة
من مسافة قريبة
ودمروا البيوت والشوارع
ولم يتركوا أحداً

۞ هذه هي ثقافتهم المتوحشة!!..

بل يريدون أن يدمروا كل المساجد والكنائس، بل المزارع والشوارع، بل الشيوخ والنساء والأطفال...

يقول الشاعر (أبشلوم كور) الصهيوني الإرهابي أثناء حرب سلام الجليل ١٩٨٢م:

لو كنت قائداً لجيشنا العظيم
لزرعت الموت والدمار
في كل المزارع والشوارع
في كل المساجد والكنائس.

اليوم في حملة سلام الجليل
سنسفك الدماء الكثيرة
ونقتل الأطفال والنساء والشيوخ
لا رحمة لهم عندنا
لا وجود لهم في عالمنا[1].

إنها حروب الإبادة...إنها الجرائم ضد الإنسانية..

۞ هذه هي ثقافتهم المتوحشة!!....

انظروا ما يُفعَل بالمسلمين في غزة...، في أكبر سجن بشري عرفه التاريخ...، حصار شديد...، وقتل مستمر...، ويمنع الغذاء عنهم، ولا يوجد ماء صالح للشرب، والمرضى يموتون لعدم توفر الدواء...

والإدارة الأمريكية والأنظمة الغربية تؤمن الغطاء الكامل لكل هذه الجرائم، بل تسّوغ للإرهابيين الصهاينة كل ما يفعلون!!...

حقيقة

أين حقوق الإنسان؟!! أين المجتمع الدولي؟!
سيحكُم التاريخ، والشعوب المظلومة لا ولن تنسى...
لن تنسى الظالمين السفاحين الجلادين.... ولن تنسى الشرفاء في الشعوب الغربية وفي كل أنحاء العالم الذين خرجوا بالملايين يصرخون في وجوه الجلادين... توقفوا عن القتل والتدمير.

(١) انظر :كتاب التربية الصهيونية من عنصرية التوراة إلى دموية الاحتلال، لحسن الباش.

تنبيه وتحذير...

ومن ناحية أخرى إن في رحمة النبي ﷺ وأعماله درساً بليغاً لكل العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، وفي ذلك أيضاً تنبيه وتحذير للمتطرفين المغالين الذين ينسبون أنفسهم للإسلام ويقومون بقتل الأبرياء من المسلمين ومن غير المسلمين تحت حجج واهية، إن عليهم أن يؤوبوا إلى رشدهم، وأن يقتدوا برسول الله ﷺ الرسول الرَّحمة.

عليهم أن يتعلموا من رسول الله ﷺ ...

كيف يكونون رحماء بالخلق...

كيف يكونون رحماء بالناس مؤمنهم وكافرهم...

كيف نهى عن قتل غير المحاربين...

كيف نهى عن قتل نسائهم وأطفالهم وشيوخهم..

كيف أمر بالحفاظ على دور عبادتهم..

كيف أمر بالحفاظ على مزروعاتهم ومصادرهم الطبيعية ومياههم.

كيف منع التمثيل بالإنسان حتى ولو كان كافراً.

لا يجوز التمثيل بالإنسان، لأن الإنسان مكرَّمٌ عند الله ﷻ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ...﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الإسراء].

وقد تقدم أنه ﷺ «مَرّت به جنازة، فقام، فقيل له: إنها جنازة يهوديّ، فقال: أليست نَفْساً؟»[1]. احتراماً للذات الإنسانية، واحتراماً للقيمة الإنسانية، هكذا رحمة الإسلام.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم(١٣١٢) [٢٥٦]، ومسلم في "صحيحه" برقم(٩٦١) [٣٧٢] واللفظ للبخاري.

رحمته بالمشركين (٤) رحمته ﷺ بالأسرى:

يقول النبي ﷺ: «استوصوا بالأسارى خيراً»[(١)].

إن رحمة رسول الله ﷺ بالأسرى وطريقة معاملتهم سبقت معاهدة "جنيف" الخاصة بالأسرى بأكثر من (١٣٠٠ سنة، وفاقتها عليها عمليًا بعدَّة نَواحٍ.

كيف عامل رسول الله ﷺ الأسرى؟.

أمر بالإحسان إليهم، وأمر بعدم إكراههم على ترك معتقداتهم؛ لأن الأسير يكون فاقد القدرة على الاختيار، وأمر ﷺ بتقديم الطعام إليهم بما يكفيهم، وأمر ﷺ بتقديم اللباس إليهم وأمر بعدم قتلهم[(٢)]، وأمر بتأمين السكن والمأوى المناسب لهم.

١- أمر ﷺ بتوفير أحسن الطعام لهم:

فكان ﷺ يفرِض للأسير الحق بإطعامه ما يكفيه، عملاً بقوله ﷻ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الإنسان] ونستخلص من هاتين الآيتين ما يلي:

---

(١) أخرجه الطبراني في "الكبير" برقم (٩٧٧)، [٣٩٣/٢٢]، وقال الهيثمي في "المجمع" [١١٥/٦]: (رواه الطبراني في "الصغير" و"الكبير"، وإسناده حسن).

(٢) إلا من كان له جرائم سابقة بحق المسلمين تقتضي قتله.

أن إطعام الأسير هو عمل يتقرَّب به العبد إلى ربه.

وتشير الآية إلى الإيثار، وأنَّك تطعمه الطعام وأنت تحبه وتشتهيه، وليس رغماً عنك، بل تؤثره على نفسك وتطعمه من طيِّب طعامك.

ومنْعُ الطعام عن الأسير ذنبٌ عظيم.

فإذا كانت امرأة دَخَلَت النار في هرة حبستها ولم تطعمها -كما ذكر النبي ﷺ[1]-، فما بالك بمنع الطعام عن الإنسان؟!

٢- أمر بتوفير اللباس الكافي والمناسب لهم:

فرض رسول ﷺ للأسير الكسوة والثياب المناسبة التي تليق به، روى البخاري **قال**: (لما كان يوم بدر، أُتي بأسارى، وأُتي بالعباس، ولم يكن عليه ثوبٌ، فنظر النبي ﷺ له قميصاً، فوجدوا قميص عبد الله بن أُبيّ يقدّر عليه، فكساه النبي ﷺ إياه)[2].

٣- أمر بتوفير المأوى والسكن المناسب لهم:

فرض رسول الله ﷺ للأسير المأوى والمسكن المناسب، وكان يتم توزيع الأسرى على بيوت الصحابة، وأحياناً ينزلونهم في المسجد...

---

(١) **الحديث**: «دَخَلت امْرَأَةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ: ربطتها، فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت هَزْلاً».

أخرجه البخاري في " صحيحه " برقم (٣٤٨٢) [٦٧١]، ومسلم في " صحيحه " برقم (٢٦١٩) [١١٠٢]، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٣٠٠٨) [٥٧٦].

٤- أتاح لهم تعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة مقابل تحريرهم:

وكان يطلب من الأسرى أن يعلِّموا أولاد الأنصار القراءة والكتابة، وجعل ذلك فداءهم، ولعلَّك تدرك ما كان يتمتع به الأسير من حرية الحركة عندما يصبح معلِّماً.

٥- أمر رسول الله ﷺ ألاَّ يُفرق بين الأهل في الأَسْرِ:

وأمر رسول الله ﷺ ألاّ يفرق بين الأهل في السبي -وهو نوع من الأسر- ، بين الوالدة وولدها، وبين الوالد وولده، وبين الأخ وأخيه، **وقال**: «من فرَّق بين والدةٍ وولدها فرَّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»[(١)].

٦ - أمر ألاّ يُكرَه أحدهم على ترك عقيدته، وألاّ يُكرَه على الدخول في الإسلام:

لم يُكرِه النبي ﷺ ولا أصحابه أسيراً على ترك معتقده، ولم يُجبِر النبي ﷺ أحداً من الأسرى على دخول الإسلام، وإليك هذه الرواية التي تعبر عن عظمة الرسالة والرسول ﷺ في هذا الموضوع:

كان ثُمامَةُ بن أثال مشركاً، وأسره جيش المسلمين، ورُبط في المسجد، فأتاه رسول الله ﷺ، وقال له: «**ماذا عندك يا ثُمامة؟**» فقال: (عندي يا محمد خيرٌ، إن تَقتُل تَقتُل ذا دم، وإن تُنعِم؛ تُنعِم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسَلْ تُعْطَ منه ما شئت)، فتركه رسول الله ﷺ، حتى كان بعد الغد، فقال له: «**ما عندك يا ثمامةُ؟**» (وأجاب ثمامة نفس الإجابة) فتركه رسول

(١) أخرجه الترمذي في "سننه" برقم (١٥٦٦) [٢٧٥]، وهو حسن.

الله ﷺ حتى كان من الغد فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**» (فأجاب نفس الإجابة)، فقال رسول الله ﷺ: «**أطلقوا ثمامة**» فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغضَ إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهُك أحبّ الوجوه كلها إلي، والله ما كان من دينٍ أبغضَ عليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدِّين كلِّه إلي، والله ما كان من بلدٍ أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلّها إليّ»[1].

هذه المعاملة، هذه الرَّحمة، أخرجَت من قلب ثُمامة ﷺ البغضاء والكراهية، وقلَبتها إلى محبة ومودة، فصار وجهُ النبي ﷺ أحبَّ الوجوه إلى ثمامة، وبلدُه أحبَّ البلاد إليه، وأصبح دينُه الإسلام، وتحول من عدو يقاتل النبي ﷺ ويحاربه إلى محبٍّ يبذل روحه فداء لرسول الله ﷺ ولدين الله...

* * *

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٤٣٧٢) [٨٢٦]، ومسلم في "صحيحه" برقم (١٧٦٤)، [٧٣٢]، واللفظ له.

مقارنة ... ومفارقة ...

هكذا عاملنا أسراهم !!.. وهكذا عاملوا أسرانا !!..

في العصر الماضي:

أثناء الحروب الصليبية في الحملة الصليبية الثالثة قام ملك إنكلترة ريكاردس الذي كان يقود هذه الحملة مع ملك فرنسة بقتل ثلاثة آلاف أسير مسلم في القدس في يوم واحد بعد أن خدعهم وأعطاهم الأمان من القتل، **يقول غوستاف لوبون** حول ذلك: [ولذا ظلت القيادة العليا في يد قلب الأسد ريكاردس الذي اقترف جرائم وحشية كالتي اقترفها رجال الحملة الصليبية الأولى. وكان أول ما بدأ به ريكاردس هو قتْله أمام معسكر المسلمين ، ثلاثة آلاف أسير مسلم سلَّموا أنفسهم إليه بعد ما قطع لهم عهداً بحقن دمائهم، ثم أطلق لنفسه العنان في اقتراف أعمال القتل والسلب. وليس من الصعب أن يتمثل المرء درجة تأثير تلك الكبائر في صلاح الدين النبيل الذي رحم نصارى القدس ولم يمسهم بأذى، والذي أمدّ فليب أوغست وقلب الأسد ريكاردس بالأزواد والمرطبات في أثناء مرضهما، فقد أبصر الهوَّةَ العميقة بين تفكير الرجل المتمدن وعواطفه وتفكير الرجل المتوحش ونزواته] [(١)].

وفي العصر الحاضر:

أين معاهدة "جنيف" الخاصة بالأسرى من معاملة النبي ﷺ للأسرى التي مرّت معنا؟!..

(١) انظر: كتاب حضارة العرب للدكتور غوستاف لوبون [ص/ ٣٣٠].

كيف يُعامل الأسرى اليوم من قبل أدعياء حقوق الإنسان ؟!

اسألوا العالم عن فضائح وفظائع أمريكا في سجن غوانتانامو.

اسألوا العالم عن فضائح وفظائع أمريكا في سجن أبو غريب في العراق.

اسألوا العالم عن فضائح وفظائع أمريكا في السجون الطائرة السرية، وسجون أخرى لا يعلم أحدٌ بها إلا السجانون المجرمون...

اسألوا العالم عن فضائح وفظائع إسرائيل في عشرات السجون في الأرض المحتلة.

اسألوا عن الأجسام البشرية التي تُخرَق بالمثقاب الكهربائي.

اسألوا عن خلع الثياب، وترك الأسرى عراة تهاجمهم الكلاب المتوحشة.

اسألوا عن حالات الاعتداءات الجنسية على الأسرى، واغتصابهم أمام الناس.

اسألوا عن التعذيب على الكراسي الكهربائية.

اسألوا عن كسر الأضلاع، والخنق بالماء، والمنع من النوم.

اسألوا عن الوقوف أو الجلوس بأوضاع مؤلمة ومستحيلة حتى الانهيار.

اسألوا عن إهانة المقدسات... [1]

ومع كل ذلك لا يتحرك العالم لمحاسبة من يخالف معاهدة "جنيف" وغيرها من المعاهدات، وهم يدوسونها بأقدامهم !!.

وبعد كل هذا يتاجرون بوقاحة بحقوق الإنسان!!

مسكين هذا الإنسان الذي فقد كل الحقوق... لأن العالم فقد حقيقة الإيمان بالله.

(١) أليست تنفذ هذه الأساليب الوحشية، في أغلب سجون أنظمة العالم الثالث ؟!!..

حقيقة

أين معاهدة جنيف المتعلقة بمعاملة الأسرى؟!

هناك فرق كبير بين النظرية والممارسة، شتان بين حقوق الإنسان النابعة من عقيدة دينية يتقرب الإنسان المؤمن إلى الله تعالى بتطبيقها واحترامها والالتزام بها، ويأثم بتركها وعدم العمل بمقتضاها، وبين حقوق الإنسان التي يتاجر بها الأقوياء، ويستقوون بها على الضعفاء، ويتذرعون بها ليدعموا من شاؤوا ويعادوا من شاؤوا، ثم إذا مسهم نصيب منها رموا بها وراء ظهورهم وداسوها بأقدامهم..

والأدلة والشواهد على ذلك كثيرة ولا تحصى، وقد ذكرنا طرفاً منها....و لا تنتهي الشواهد!!

أجل، هناك فرق بين النظرية والممارسة، فقد تحدث فلاسفة كثر عن بناء المدينة الفاضلة، لكن في الواقع لم يبنوا لا مدينة فاضلة ولا أقل من ذلك، وسمعنا عن فلاسفة تحدثوا في علوم الاقتصاد عن بناء عالم الكفاية، عالم يشترك فيه جميع الناس في الملكيات كلِّها، الكل يأكل، الكل يشرب، الكل يملك وليس لأحد حاجة يفتقدها، لقد كانت نظريات... ولكنها سقطت وانهارت، ولم تحقق أهدافها على الأرض، وهكذا فإن كثيراً من الناس أتوا بأهداف كبيرة وعريضة، وآمال عظيمة، ولكنهم لم يستطيعوا أن يحققوها. **ولكن** ...

فائدة

هناك رجلٌ واحدٌ في التاريخ استطاع أن يأتي برسالة، ولم يخرج من الدنيا إلا وقد نفذ وطبق على الأرض أهدافه كاملة، إنه رجل واحد في التاريخ، هو محمد رسول الله ﷺ.

لذلك فإن صاحب كتاب المئة الأوائل[1]، جعل محمداً رسول الله ﷺ الأول على رأس قائمة الأهم بين العظماء والشخصيات الإنسانية الرائدة على مسار التاريخ الإنساني، أولئك الذين أثَّروا في تاريخ الإنسانية تأثيراً واسعاً ودائماً، ومؤلف هذا الكتاب ليس مسلماً، لكنه نفذ استبانات، ووضع قواعد اختيار، ثم طبق هذه الاستبانات والقواعد وهذه العملية الإحصائية على كافة المشاهير في العالم من أنبياء ومخترعين وقادة وشخصيات من كل الاختصاصات، وأعطى نقاطاً لكل واحد منهم من خلال العمل الإحصائي الرياضي المستند إلى الدراسات الاستبيانية التي قام بها، فثبت له أن الإنسان الأعظم أثراً والأكبر أهمية في تاريخ البشرية هو محمد رسول الله ﷺ تقول الترجمة للكتاب: (إن اختيار المؤلف لمحمد ﷺ ليكون في رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي... إن هذا الاختيار ربما أدهش كثيراً من القراء...، ولكن في اعتقاد المؤلف **أن محمداً ﷺ كان الرجل الوحيد الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين: الديني والدنيوي**[2].

و الحقيقة أنه ﷺ فوق كل هذه الشهادات إنه رسول الله، رسول الرحمة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء]

* * *

(١) البروفيسور مايكل هارت عالم الفلك والرياضيات الأمريكي.

(٢) "المئة الأوائل" لمايكل هارت [ص/١٩].

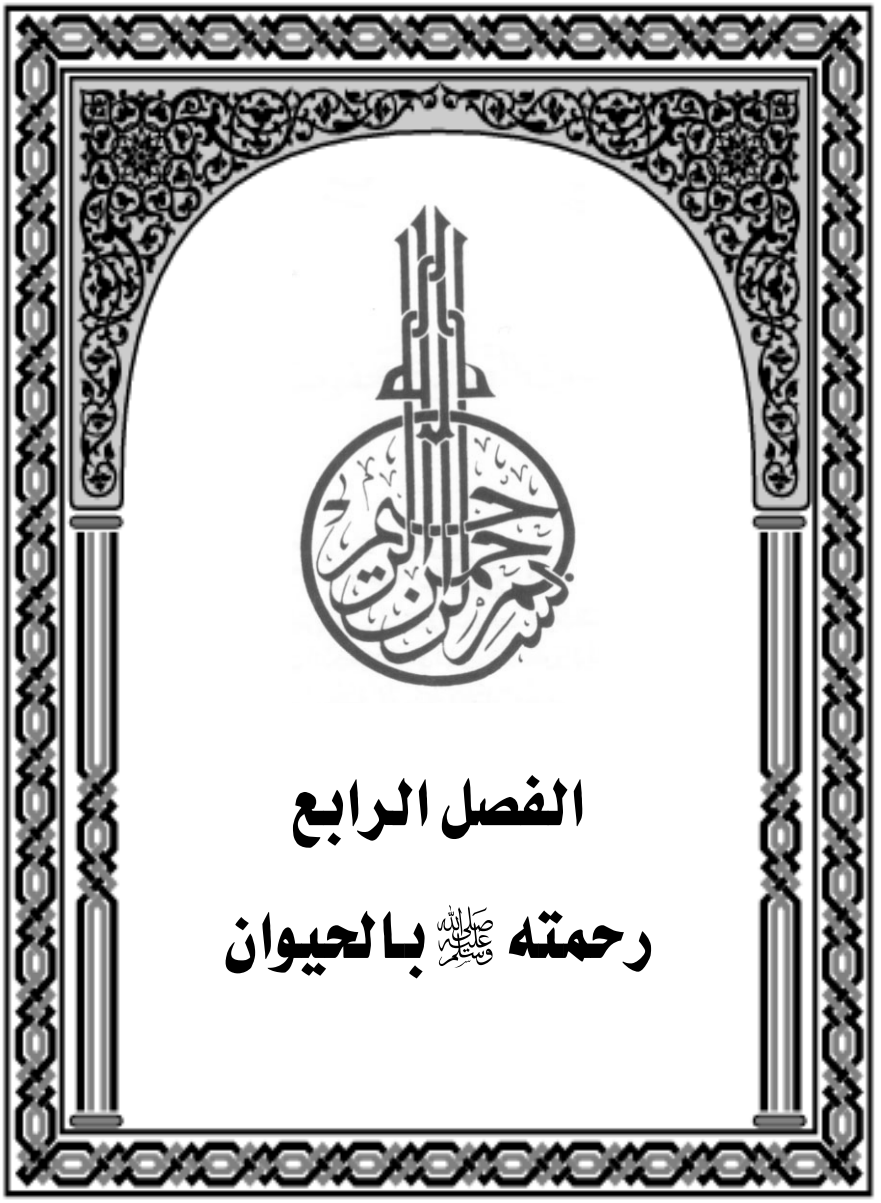

الفصل الرابع

رحمته ﷺ بالحيوان

جوانب رحمته ﷺ بالحيوان

تمهيد:

١- من رحمته ﷺ نهيه عن إرهاق الحيوانات.

٢- من رحمته ﷺ نهيه عن تجويع الحيوان ، وتحميله فوق طاقته، وأمره بتركه ليستريح .

٣- من رحمته ﷺ أمْرُه بالإحسان إليه ، ونهيه عن إيذائه.

٤- من رحمته ﷺ نهيه عن اتخاذه هدفاً للرماية والتسلية.

٥- من رحمته ﷺ نهيه عن قتله عبثاً من غير قصد منفعة.

٦- من رحمته ﷺ نهيه عن فجع الحيوانات بأولادها.

٧- من رحمته ﷺ أمره بالرفق به أثناء ذبحه.

٨- من رحمته ﷺ نهيه عن تعذيبه وحرقه بالنار.

٩- من رحمته ﷺ نهيه عن التحريش بين الحيوانات ليقتل بعضها بعضاً، أو يؤذي بعضها بعضاً.

١٠- من رحمته ﷺ نهيه عن التمثيل به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد:

إن الرَّحمة بالحيوان إحساس يتولَّد من رقي روحي لدى الإنسان المؤمن، وإن "الرَّحمة بالحيوان" إحساس أرقى وأعمق وأكثر شفافية من مصطلح "الرفق بالحيوان".

ولقد وضع رسول الله ﷺ (الرَّحمة المهداة، ونبي الرَّحمة) عشرة قواعد للتعامل مع الحيوان رحمة وعناية به، ورعاية له.

حقيقة

ما أروع هذا الدين الذي يتحسس - بمنتهى الشفافية- حالة المعاناة التي يعاني منها الحيوان!!

ما أعظم هذا الدين الذي يجهله كثير من الناس في العالم، والمسؤولية تقع على عاتقنا جميعاً - نحن المسلمين- ، والواجب علينا أن نُعرِّفَ بهذا الإسلام التعريف الصحيح، كما عرَّف به النبي ﷺ.

لقد عمّت الرحمة الخلق حتى الحيوان أصابته تلك الرَّحمة عندما نزل الوحي، ونزلت الرسالة على رسول الله ﷺ قبل أكثر من (١٤٠٠) سنة، وقد سبق رسول الله ﷺ بهذا، وفاق كلَّ الذين يتحدثون اليوم عن الرفق بالحيوان، ويأتي الناس اليوم -في عالمنا المعاصر- ليتحدَّثوا عن الرفق بالحيوان، ويتحدثوا عن إقامة جمعيات الرفق بالحيوان، ورسول الله ﷺ (رسول الرَّحمة، نبي الرَّحمة، الرَّحمة المهداة) قبل مئات السنين وضع قواعد لم ينتبه الإنسان إليها حتى في العصر الحديث.

والأهم من ذلك أن رسول الله ﷺ يجعل من رحمتك بالحيوان عملاً تتقرب به إلى الله عزَّ وجلَّ، فتنال الأجر والثواب به، ولعلك تدخل بذلك الجنة، وإذا عذبت الحيوان وآذيته أذى شديداً تدخل بذلك النار، وسيأتي حديث المرأة التي منعت الطعام عن هرة فدخلت بذلك النار، وحديث المرأة التي سَقَت كلباً فغفر الله لها.

فائدة

كم هو عظيم هذا الدين! كم نحن بحاجة إلى هذا الدين لينظم لنا كافة العلاقات بين الإنسان والإنسان! بين الإنسان والحيوان! بين الإنسان وعالم النبات! بين الإنسان والمصادر الطبيعية والثروات الطبيعية الموجودة في هذه الأرض!

والآن، ما هي **المبادئ والقواعد العشرة** التي وضعها رسول الله ﷺ للعناية بالحيوان والرَّحمة به؟.

رحمته بالحيوان (١) نهى ﷺ عن إرهاق الحيوانات:

لا تُرهق الحيوان بأي أسلوب من الأساليب، ولأي سبب من الأسباب. عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (كنت على بعير صعب، فجعلت أضربه، **فقال لي رسول الله** ﷺ: «عليك بالرفق، فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[(١)].

و نهى رسول الله ﷺ عن إرهاق الحيوانات بجعلها كالكراسي، والمنابر، فهناك أناس يطيلون الجلوس عليها وهي واقفة، وهذا يُتعِب الحيوان ويرهقه، الإسلام يأمرك أن تعامله بصفته مخلوقاً ذا روح، وأن تحترم هذه الروح التي خلقها الله تعالى في هذا الكائن؛ لأن خالقها هو الله الذي خلقك.

عن أنس رضي الله عنه **أن النبي** ﷺ: (مرَّ على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل، (فتأثر رسول الله ﷺ وأشفق على هذه الحيوانات المسكينة)،وقال لهم: «اركبوها سالمةً (يعني بدون إتعابها ولا إرهاقها) ودعوها سالمةً، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فربَّ مركوبة خير من راكبها، هي أكثرُ ذكراً لله تعالى منه»[(٢)]، فرب مركوبة خير من راكبها؛ لأنها تذكر الله عز وجل، وراكبها في غفلة عن الله.

فائدة

إذاً، فرسول الله ﷺ يدعوك لأن يكون لديك إحساس بآلام هذا الحيوان كما تستشعر وتتحسس آلامك.

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (٢٤٩٣٨) [٤١/٤١٥]، وهو صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (١٥٦٤٦)، [٢٤/٤٠٤]، والحديث حسن إلى قوله: «**ولا تتخذوها كراسي**» أما بعده فضعيف.

وذكره الهيثمي في "المجمع" [١٠/٢٠٥] كاملاً، ثم قال: (رواه أحمد وإسناده حسن).

رحمته بالحيوان (٢) **نهى ﷺ عن تجويعه، وتحميله فوق طاقته، وأمر بتركه ليستريح:**

لا تحمّله فوق طاقته، لا تجيعه، أعطه فرصة ليستريح..

قال عبد الله بن جعفر -رضي الله عنهما-: (أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم فأسَرّ إليَّ حديثاً لا أحدّث به أحداً من الناس، وكان أحبُّ ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هَدَفاً[١] أو حائشَ نخلٍ[٢] قال: فدخل حائطاً -أي: بستاناً- لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى (الجملُ) النبي ﷺ حنَّ (أي: اشتكى إلى رسول الله) وذرفت عيناه (صار الجمل يبكي)، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذِفريه (مؤخر رأسه)، فسكت (الجمل)، **فقال** ﷺ: «مَن رَبُّ هذا الجمل؟ لِمن هذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار، **فقال له النبي** ﷺ: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟! فإنه (الجمل) شكا إلي أنك تجيعه وتُدْئِبهُ»[٣]، يعني أنك تتعبه من كثرة متابعة العمل عليه، وتحمِّله فوق طاقته، ولا تتركه يستريح.

وقال النبي ﷺ: «إن الله عز وجل رفيق، يحب الرفق ويرضاه، ويعين عليه ما لا يعين على العنف، فإذا ركبتم هذه الدواب العجم فأنزلوها منازلها، فإن أجدبت

---

(١) هَدَف: بفتح الهاء والدال وهو ما ارتفع من الأرض.

(٢) حائشَ نخلٍ: حائط نخل وهو البستان. من صحيح مسلم بشرح النووي باب التستر عند البول [٤/٣٥].

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٢٥٤٩)، [٢٨٩]، واللفظ له، والحاكم في المستدرك" برقم (٢٥٤٠)، [٢/١٢٠]، وصححه، ووافقه الذهبي.

الأرض فانجوا عليها...»[1]، أي: أسرعوا بإخراجها من الأرض الجدباء بشحمها وقُوَّتها ،قبل أن تضعف وتهزل فلا تنجوا..

رحمته بالحيوان (٣) أمر ﷺ بالإحسان إليه، ونهى عن إيذائه:

سئل رسول الله ﷺ: وإن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: «في كل كبدٍ رطبة أجر»[2]. ومعناه: إنَّ في إحسانك إلى كل حيوان حيٍ تسقيه وتطعمه أجراً لك، وسمي الحي ذا كبد رطبة لأن الميت يجف جسمه وكبده.

كيف تحسن إلى الحيوان؟

أن تطعمه فلا تجيعه، وتتركه يستريح فلا تُتعبه، وأن ترحمه فلا تعذبه.

ارحم الحيوان و ارفق به، **فعن أبي هريرة** رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهث، يأكل الثرى من العطش، (يأكل التراب المبلل من حول البئر من شدة العطش) فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلبَ من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خُفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رَقِيَ (أي: صعد إلى سطح الأرض) فسقى الكلب، فشكر الله له فغفرَ له» قالوا: يا رسول الله! وإنّ لنا في هذه البهائم أجراً ؟ **فقال**: «في كلّ كبدٍ رطبة أجرٌ»[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" برقم (٨٥٢)، [٣٦٥/٢٠]، وهو صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٣٦٣)، [٤٤٤]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٢٤٤)، [٩٢٣]، واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٣٦٣) [٤٤٤]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٢٤٤) [٩٢٣]، واللفظ لمسلم.

وفي رواية للشيخين: «بينما كلبٌ يُطيف بركيَّةٍ -ببئر-، قد كاد يقتله العطش، إذ رَأَته بغيٌّ مِن بَغَايا بني إسرائيل، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا -خفها-، فَاستَقَتْ لَهُ بِهِ -ملأت الخف بالماء-، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ[1]».

بَغِيَّةٌ رحمت الحيوان فرحمها الله تعالى وغفر لها.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «دَخَلت امْرَأَةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ: ربطتها (حبستها)، فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأْكُل مِن خَشاشِ الأرض - أي: مما يتيسر لها من طعام الأرض- حتى ماتت هزلاً»[2]

فائدة

ترحم حيواناً يرحمُك اللّه... تعذب حيواناً يعذّبُكَ اللّه...

رحمته بالحيوان (٤) نهى ﷺ عن اتخاذه هدفاً للرماية والتسلية:

لعلك تفاجأ أن هناك أناساً إذا أرادوا التسلية أتوا بحيوان، فيربطونه بحبل إلى شجرة، ثم يتخذونه هدفاً لهم، يتنافسون على إصابته بالحجارة، أو بالنبال، أو بالطلقات النارية بواسطة السلاح!!.

وإذا سألتهم يقولون: نريد التسلية!!

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم (٤٣٦٧) [٦٦٨]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٢٤٥) [٩٢٣]، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٣٤٨٢) [٦٧١]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٦١٩) [١١٠٢]، واللفظ لمسلم.

أتعذِّب كائناً حياً وتؤذيه إيذاء شديداً من أجل التسلية؟!!

ما رأيك لو جُعلت مكانه، ألا تتألم؟؟ ما مشاعرك تجاه من يفعل هذا؟!

إنه روح وكائن حي مثلك، يتألم كما تتألم.

عن ابن عمر -رضي الله عنهما-: (أنه مرَّ بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه (جعلوه هدفاً يرمونه بالنبال) وقد جعلوا لصاحب الطير كلَّ خاطئة من نبلهم، (أي: كل سهم لا يصيب يأخذه صاحب الطير)، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر ﷺ: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غَرَضَاً)[1] (أي: هدفاً وتسلية) ؛ لأن فيه روحاً، فيتألم ويعذب.

رحمته بالحيوان (٥) نهى ﷺ عن قتله عبثاً من غير قصد منفعة:

من المشاهد المؤلمة خروج عدد من أصحاب البطَر والأَشَر لصيد الحيوانات بقصد التسلية، وينفقون من أجل هذا أموالاً طائلة، للخدم والحشم والسيارات، لا يخرجون من أجل حاجة لطعام، وإنما للتسلية وقتل الأوقات، والأموال التي تهدر تكفي لإطعام آلاف العائلات من الجوعى في العالم الإسلامي.

هؤلاء قساة القلوب يقتلون الحيوانات، ويعذبونها، ويهدرون الأموال، ولا يطعمون الجياع!!

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٥١٥)، [١٠٨٨] بنحوه، ومسلم في "صحيحه" برقم (١٩٥٨)، [٨١٠]، واللفظ لمسلم.

نقول لهؤلاء: اسمعوا رسول الله ﷺ يحذِّركم من هذا **فيقول**: «من قتل عصفوراً عبثاً عجَّ إلى الله (يعني: شكا إلى الله بحرقة وبصوت عالٍ) يوم القيامة، يقول: يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً، ولم يقتلني لمنفعة»[1].

إذا أردت التسلية هناك أهداف ثابتة ومتحركة ضمن نوادٍ مخصَّصة للتدرب على إصابة الأهداف، فعليك بها، أما أن تتحول إلى إنسان ميت الإحساس فتتسلى بقتل الحيوانات من غير قصد المنفعة، فهذا أمر يؤسَف له.

أما الأمر الذي لا يصدَّق أن يصبح الإنسان -طفلاً أو رجلاً- هدفاً للقتل بقصد التسلية!!

هذا ما فعله المستعمرون البيض في بعض الأحيان في إفريقية، ومع الهنود الحمر في أمريكا، وهذا ما نشاهده عبر الشاشات في عالمنا المعاصر عبر الحروب القذرة التي ما زالوا يمارسونها، لقد قام أحد الجنود الأمريكيين في العراق باغتصاب فتاة عراقية لم تتجاوز خمس عشرة سنة، ثم قتلها، وقتل أمها وأباها بكل أعصاب باردة ورفاقه إلى جانبه ينظرون.

ألم تشاهدوا بأم أعينكم كيف قتل الإسرائيليون الطفل "محمد الدرَّة" وهو بحضن أبيه ملتصقاً وإياه إلى الجدار، والصهاينة يتسابقون بأسلحتهم أيهم يصيبه فيقتله قبل الآخر.

(١) أخرجه النسائي في "سننه الكبرى" برقم (٤٥٢٠)، [٣٦٦/٤].

حقيقة

هذه أخلاق المجرمين فيهم، وهم كثيرون !! ومع كل ذلك لا يخجلون، ويلقون علينا دروساً عن حقوق الإنسان، والرفق بالحيوان!!

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها إلا يسأله الله ﷻ عنها يوم القيامة»، قيل: يا رسول الله، وما حقها؟ قال: «حقها أن يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها فيرمي به»(١).

إن الله تعالى سخر هذه الحيوانات من أجل الإنسان، وخلقها لتأمين حاجاته من الطعام وغير ذلك، ولم يخلقها ليتسلى الإنسان بتعذيبها!!

رحمته بالحيوان (٦) **نهى ﷺ عن فجع الحيوانات بأولادها:**

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرَةً (نوع من الطيور صغيرة مثل العصفور) معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمَّرة فجعلت تَفْرُشُ (تطير وترتفع وتظلل بجناحيها على من تحتها) **فجاء النبي ﷺ فقال**: «من فجع هذه بولدِها؟ ردوا ولدَها إليها...»(٢).

لا تأخذ حيواناً من أمه بقصد التسلية، لا تفجعها بأولادها.

---

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" برقم (٧٦٥٥)، [٣٦٢/٤]، وصححه، واللفظ له، ووافقه الذهبي، والنَّسائي في "سننه الكبرى" برقم (٤٥١٩) [٣٣٦/٤].

(٢) جزء من حديث أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٢٦٧٥)، [٣٠١]،وهو صحيح.

رحمته بالحيوان (٧) أمر ﷺ بالرفق به أثناء ذبحه:

إذا أردتَ ذبح حيوان بقصد الطعام فارحمه، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أن رجلاً أضجع شاة يريد أن يَذبحها وهو يحدّ شفرته (السكين)، **فقال له النبي ﷺ**: «أتريد أن تُميتَها مَوْتَات؟! هلاَّ حددت شفرتك قبل أن تضجعها»[(١)]، قبل أن تضجعها اتخذ كل الإجراءات التي تحتاج لها، هيئ نفسك، ولا تمِتْها موتات، لأنها كائن حي، لها روح، ولها إحساس، وتتألم وتخاف.

وعن معاوية بن قرَّة عن أبيه: (قال رجلٌ : يا رسول الله! إني لأذبح الشاة فأرحمُها، أو قال: إني لأرحم الشاة أن أذبحها. قال: " والشاة إن رحمتها، رحمك الله" مرتين)[(٢)]

رحمته بالحيوان (٨) نهى ﷺ عن تعذيبه وحرقه بالنار:

لا يجوز أن تعذّب الحيوانات، وأن تحرقها بالنار، في عالمنا المعاصر يعاملون الحيوانات كالسيارات والجمادات، يصنعون لها أختاماً لتميزها، قطرها عشرة سنتيمترات، أو أكثر، ويضرمون النار فيها حتى تحمرّ من شدة الحرارة، ثم يضعونها على جانب البقرة أو غيرها حتى تحفر في جلدها ولحمها، هذا الختم الذي يشير إلى مالكها مع معلومات أخرى، بينما يقوم آخرون

(١) أخرجه الحاكم في "مستدركه" برقم (٧٦٤٤)، [٣٥٨/٤]، وقال: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" برقم[٣٧٣/٢٨٧] (١٤٩)،وهو صحيح.

متحضرون بجعل هذه العلامات ضمن طوق، ثم يضعونه في عنق الحيوان بدون أذى أو عذاب.

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:(... ورأى النبي ﷺ قرية نمل (قد حَرَّقناها)، فقال: «من حَرَّق هذه؟» قلنا: نحن، **قال**: «إنه لا ينبغي أن يعذِّب بالنار إلا رب النار»)[1].

رحمته بالحيوان (٩) نهى ﷺ عن التحريش بين الحيوانات ليقتل بعضها بعضاً، أو يؤذي بعضها بعضاً:

وهذا من الأمور المنتشرة كثيراً في عصرنا الحالي، ومنها التحريش بين الديكة للتصارع حتى يقتل بعضها بعضاً، ويجلسون ليستمتعوا بمشاهدتها، ويقامرون على الفائز منها، فيقعون في خطيئتين: الأولى تعذيب الحيوانات، والثانية لعب القمار والميسر.

ومنها التحريش بين الكلاب مع المراهنات والقمار، ومنها التحريش بين الجمال، ومنها التحريش بين الثيران، وغير ذلك...

وقريب من هذا: التحريشُ بين الإنسان والثيران، أو ما يسمى "مصارعة الثيران": فيقوم المصارع بتعذيب الثور وطعنه مرات ومرات، فتنزف منه الدماء، ثم يطعنه طعنة قاتلة، والناس وهم ألوف يجلسون ويتمتعون بتعذيب هذا الحيوان وقتله.

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٢٦٧٥) [٣٠١]، وهو صحيح.

عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: «نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم»[1]. إن الذين يفعلون هذا الفعل الشنيع سيحاسبون بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

وفي العصر القديم كانوا يحرِّشون بين الوحوش المختلفة، ويبنون لهذا الأمر حلبات المصارعة، وقد اشتهر بهذا أباطرة الرومان.

والأشدُّ نكاية من هذا أنهم كانوا يجلسون للتسلية ويُدخلون في الحلبة مصارعين أسرى يتقاتلون حتى الموت.

أو يُدخلون في الحلبة إنساناً أسيراً مع أسد جائع، ليتمتعوا برؤية الأسد وهو يمزق جسد هذا الأسير، ثم يلتهمه!!

إنه الإنسان المتوحش عندما لا يخضع لتعاليم الله عز وجل.

رحمته بالحيوان (١٠) نهى رسول الله ﷺ عن التمثيل به:

التمثيل بالحيوان عمل غير أخلاقي ووحشي، يعكس حالة التخلف والتردي للإحساس البشري بآلام هذه الكائنات...

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٢٥٦٢) [٢٩٠]، والترمذي في "سننه" برقم (١٧٠٨) [٢٩٤]. وروى مجاهد عن ابن عمر -رضي الله عنهما- :«أنه كره أن يحرّش بين البهائم».أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" برقم (١٢٣٢/٩٣٦) [٤٧٨] ، وهو حسن لغيره.

إن الحيوانات تملك الإحساس بالألم والجوع والتعب والإرهاق كما يشعر الإنسان، وإن إيذاء الحيوان والتمثيل به يؤلمه كما يتألم الإنسان؛ لذلك نهى النبي ﷺ عن التمثيل بالحيوان...

فقد جاء في صحيح البخاري: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما:« لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ مَثَّلَ بِالْحَيَوَانِ»[1]،وفي رواية لابن حبان[2] والنسائي[3]:« لعنَ الله مَنْ مثَّلَ بالحيوانِ».

فائدة

لقد قام النبي بتربية الإنسان، وزَرَعَ فيه القيم والمبادئ، ورقّى روحه وأحاسيسه حتى جعل منه إنساناً راقياً، رحيماً شفوقاً رقيقاً، يرحم الإنسان، ويرحم الحيوان.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (لو هَلَكَ حَمَلٌ مِن وَلَدِ الضأن ضياعاً بشاطئ الفرات خشيتُ أن يسألني الله عنه)[4]

وهكذا كان رسول الله ﷺ رحمة للإنسان ورحمة للحيوان.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [سورة الأنبياء].

* * *

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٥٥١٥) [١٠٨٨].
(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم(٥٦١٧) [٤٣٤/١٢]، وهو صحيح.
(٣) أخرجه النسائي في "سننه الكبرى" برقم(٤٥١٦) [٣٦٥/٤]، وهو صحيح.
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" برقم (٣٥٤٨٩)[١٩٧/١٢].

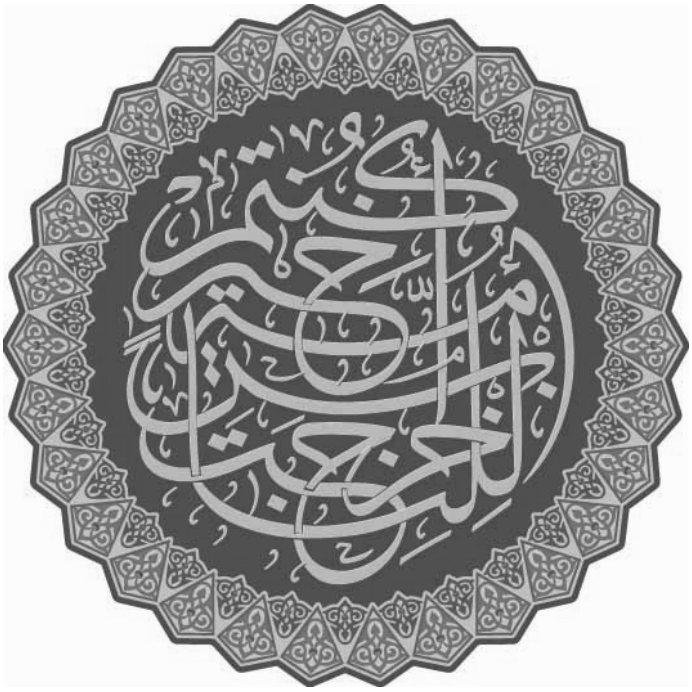

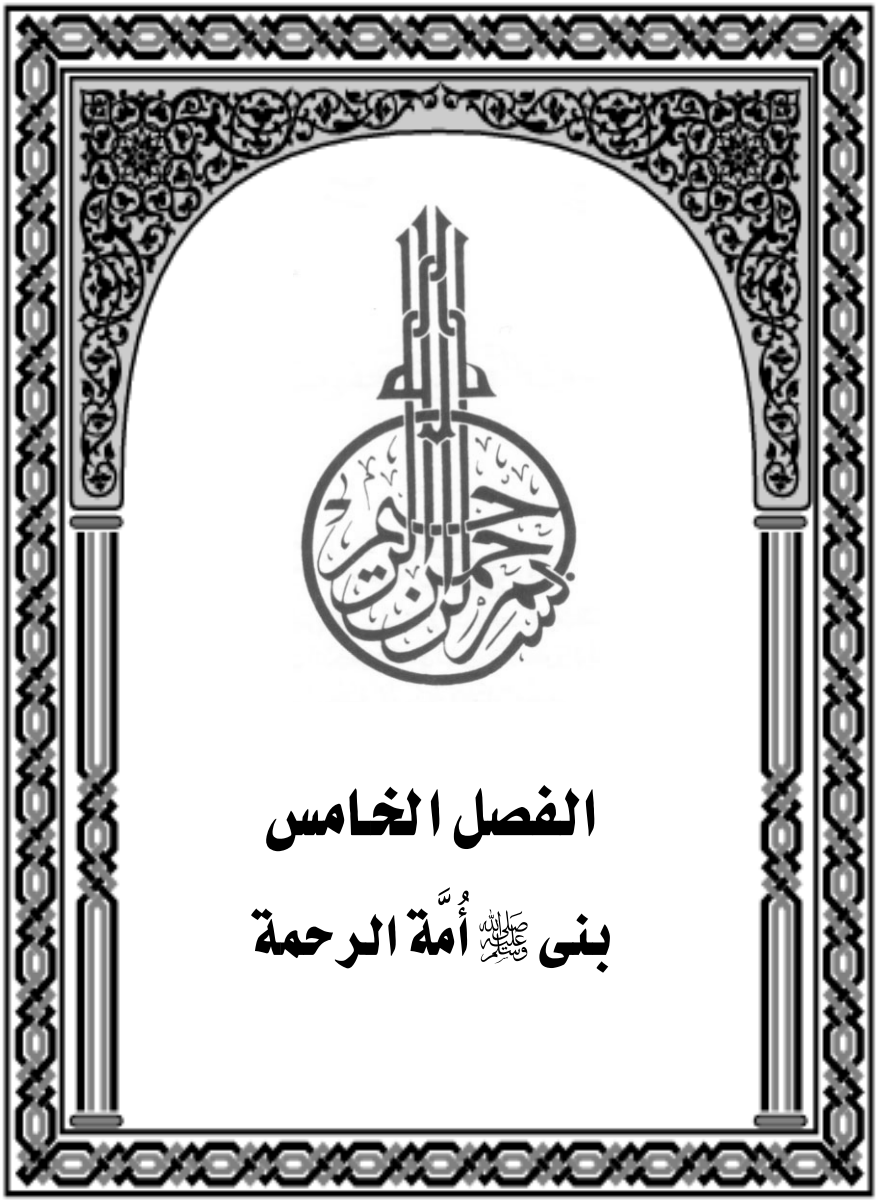

الفصل الخامس

بنى ﷺ أُمَّة الرحمة

عناوين الفصل الخامس

أولاً: كيف بنى النبي ﷺ أمة الرحمة من خلال هدي القرآن الكريم.. (نموذج).

ثانياً: كيف بنى النبي ﷺ أمة الرحمة من خلال هدي النبوة.. (نموذج).

ثالثاً: هذه ثقافة وأعمال وتاريخ أمة الرحمة:

١- تسامح المسلمين مع غير المسلمين.
٢- تسامح المسلمين جذَبَ غير المسلمين إليهم.
٣- ثقافة أمة الرحمة صنعت أرقى الحضارات في العالم.

رابعاً: نماذج من ثقافة الرحمة في سلوك المسلمين:

١- نماذج من ثقافة الرحمة في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه.
٢- نماذج من ثقافة الرحمة في عهد عمر رضي الله عنه.
٣- نماذج من ثقافة الرحمة في عصور مختلفة.

بسم الله الرحمن الرحيم

من رحمته ﷺ أنه بنى أمة الرحمة:

رأينا كيف كان ﷺ رحمةً مهداة، وأتى برسالة الرَّحمة، ثم رأينا كيف كان رحمةً لكل إنسان -وبخاصة المؤمنون-؛ لأن الله ﷻ خصّه بذلك، فقال تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة].

ثم رأينا كيف كانت رحمته بغير المسلمين، منافقهم وكافرهم، سواء أكانوا معاهدين أم من الأسرى.

ثم رأينا رحمته بباقي المخلوقات؛ بالإنسان والحيوان.

والآن ننظر كيف بنى النبي ﷺ أمة الرَّحمة؟..

لقد كان رسول الله ﷺ رحمة للعالمين، وربى أصحابه وجميع المؤمنين به، فكانوا أيضاً على سنته سائرين، يقدّمون الرَّحمة للناس، لقد بنى النبي ﷺ أمّة الرَّحمة من خلال: **أولاً: هدي القرآن.**

ثانياً: هدي النبوة.

أولاً: كيف بنى النبي أمة الرَّحمة من خلال هدي القرآن؟..

نموذج:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الأعراف]، فصَّله الله تعالى على علمٍ بأحوال النّاس وما يصلحهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة، هو هدىً، أي ينقلهم من الظلمات إلى النّور، ومن الجهل إلى العلم، ومن التخلف إلى التقدم، ومن الظلم والقسوة والشدة إلى الرَّحمة، والقرآن رحمة لمن يؤمن به حق الإيمان: ينعكس في سلوكه أعمالاً لا أقوالاً.

وهذا نموذج من هدي القرآن الذي زرع ثقافة الرَّحمة في سلوك الأمة الإسلامية وأعمالها، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ [سورة البلد]، أي هلّا جاهد هذا الإنسان نفسه حتى يتخطى العقبة -وهي الطريق الصعبة الشاقة- لبلوغ المقام العالي في الجنّة، وهي شاقة؛ **لقول النبي** ﷺ: «حُجبت النّار بالشّهوات، وحُجبت الجنّة بالمكاره»[1].

وكيف نستطيع أن نقتحم العقبة؟.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٦٤٨٧) [١٢٤٤]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٨٢٢) [١١٣٦]، واللفظ للبخاري.

يمكن ذلك من خلال الإكثار من أعمال البر والإحسان، والرَّحمة بالضعفاء والمساكين، ومن هذه الأعمال والخطوات التي بينها هدي القرآن الكريم:

من هدي القرآن (١) الخطوة الأولى: تحرير العبيد:

في قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [سورة البلد]، أي: تخليص العبيد وتحريرهم من الرقّ والعبودية، فالمسلم يعمل على تحرير العبيد، وهذا من حقائق الرّسالة، فالإسلام حرّر العبيد، لقد كان العبيد في زمان النّبي ﷺ وما بعده، فنفّذ الصحابة ومن بعدهم من المؤمنين توجيهات القرآن الكريم وهديَه، حتى لم يبقَ عبدٌ واحد في ذلك المجتمع، أمّا العبيد الآن فهم عبيد الشّهوات وعبيد الهوى، يقول تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الفرقان]، فيجب أن تسعى لتحرير هؤلاء العبيد بهدايتهم حتى تقتحم العقبة.

من هدي القرآن (٢) الخطوة الثانية: تحرير الجياع:

كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ[1] ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ[2] ﴿١٦﴾﴾ [سورة البلد] فتحرير الجياع، ومساعدة الفقراء قضية عظيمة في الإسلام، وهناك عشرات الآيات التي تؤكد أنّه لا يمكن أن

(١) المسغبة: المجاعة.

(٢) ذا مترية: شديد الفقر، لصق بسببه بالتراب، ولصق التراب به.

تحصل على المقامات العالية في الجنة إلا من طريق بوابة الإنفاق في سبيل الله، وبخاصة إطعام الطعام.

من هدي القرآن (٣) الخطوة الثالثة: أن تجمع ما سبق مع الإيمان بالله تعالى:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴿١٧﴾﴾ [سورة البلد]، الإيمان هو الإيمان الحق وإيمان العمل، فيجب أن تساهم في تحرير العبيد، وتحرير الجياع، وأن يكون عملك ثمرةً من ثمرات إيمانك وإخلاصك لله ﷻ؛ لأن أي عمل صالح لم يقترن بإيمان لا قيمة له، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾ [سورة آل عمران].

ويقول أيضاً: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران: ١١٧]

ويقول أيضاً: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الفرقان]. هذا في الآخرة، أما في الدنيا فإن غير المؤمن يجني ثمرات عمله بما يتناسب مع هذا العمل؛ فإن أحسن أخذ من الدنيا على قدر إحسانه، ولكن لا نصيب له في الآخرة؛ لأنه غير مؤمن بها، وكيف يثاب ويدخل الجنة وهو منكرٌ لها أصلاً؟!..

إن هذا مناقض للعقل والحكمة، فإذا آمن يأخذ نتيجة أعماله في الآخرة.

من هدي القرآن (٤) الخطوة الرابعة: نشر ثقافة الصبر:

قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ...﴿١٧﴾﴾ [سورة البلد]، يجب أن تصبر وأن توصي غيرك بالصّبر على تحقيق الأمور السابقة؛ فتسعى في نشر ثقافة الصبر.

من هدي القرآن (٥) الخطوة الخامسة: نشر ثقافة الرحمة:

قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة البلد]، التواصي بالمرحمة، فتسعى لنشر ثقافة الرحمة.

إذن، حتى تقتحم العقبة الكؤود في طريقك إلى الجنة تحتاج إلى خمسة أمور:

١- أن تساهم في تحرير العبيد من عبوديتهم.

٢- أن تساهم في تحرير الجياع من جوعهم.

٣- أن يكون عملك هذا ثمرة إيمانك وإخلاصك لله تعالى.

٤- أن تساهم في نشر ثقافة الصبر.

٥- أن ترحم وتساهم في نشر ثقافة الرَّحمة.

هذا نموذج من هدي القرآن لبناء أمة الرَّحمة.

حقيقة

ما أروع هذا الدين الذي يجعل ثمن حصولك على ثواب الله تعالى ورضاه وجنته، هو أن تساعد الضعفاء والمساكين وأن ترحمهم وأن ترفع المعاناة عنهم، بل يطلب منك أن تنشر ثقافة الصبر والرحمة بين الناس...

ثانياً: كيف بنى النبي ﷺ أمة الرَّحمة من خلال هديه النبوي؟

نموذج :

لقد نشر النبي ﷺ ثقافة الرحمة بين المسلمين بأعماله وتوجيهاته، ولنشاهد نموذجاً من هدي النبي ﷺ في نشر ثقافة الرَّحمة، لبناء أمّة الرَّحمة، **يقول النبي** ﷺ: «الرّاحمون يرحمهم الرّحمن، ارحموا أهلَ الأرض يرحمكم من في السماء»[1]، **وقال**: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»[2].

أي إذا رأيت إنساناً ضعيفاً أو مسكيناً فارحمه ولا تظلمه، فالظّالمون هم أهل الشّقاوة في الدّنيا والآخرة، والمسلمون الحقيقيون هم الرّاحمون.

وانظر عشرات الأمثلة عن ثقافة الرَّحمة التي مرَّت معنا في هذا الكتاب، والتي زرعها رسول الله ﷺ في الناس، حتى نبتت وأزهرت وأثمرت ثمار الرَّحمة.

وانظر كيف بنى رسول الله ﷺ أمة الرحمة من خلال هدي النبوة فقد وضح القواعد والمبادئ لرحمة الأطفال، والضعفاء والمساكين، ورحمة النساء أمهات وزوجات وبنات، ورحمة غير المسلمين، ورحمة الحيوان والإنسان بصرف النظر عن لونه أو عرقه أو دينه...

ترى ماذا كانت النّتائج؟!

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٤٩٤١) [٥٣٥]، واللفظ له، والترمذي في "سننه" برقم (١٩٢٤)، [٣٢٤]، وهو صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٧٣٧٦) [١٤٠٥]، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٣١٩) [٩٤٨]، واللفظ لمسلم.

هل أثمرت جهود النّبي ﷺ في بناء أمة الرَّحمة؟ لنُحَكِّم التّاريخ في ذلك:

لقد شهد العالم لأمَّة العروبة والإسلام، على أنها أعظم الأمم وأكثرها تميزاً في ثقافة الرحمة وتطبيقها، وقد شهد لها مَن هم ليسوا بمسلمين.

ثالثًا:هذه ثقافة وأعمال وتاريخ أمة الرحمة:

١- تسامح المسلمين مع غير المسلمين:

يتحدث المؤرخ والباحث توماس آرنولد، عن حماية النبي ﷺ للمسيحيين، وكيف أخذ على عاتقه منحهم حرية العبادة والاعتقاد فيقول:

[ويمكننا أن نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب، بأن القوة لم تكن عاملاً حاسماً في تحويل الناس إلى الإسلام، فمحمد نفسه قد عقد حلفاً مع بعض القبائل المسيحية، وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية] (١).

ويتحدث آرنولد كيف أن سيدنا عمر منع من ممارسة أي ضغط على التغالبة المسيحيين، وأمر بترك الحرية لهم في إقامة شعائرهم وممارسة عباداتهم، فيقول: [وقد حرّم الخليفة عمر استخدام أية وسيلة من وسائل الضغط عليهم عندما أظهروا أنهم لا يرغبون في ترك دينهم القديم، وأمر بترك الحرية لهم في إقامة شعائرهم الدينية] (٢).

---

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام لتوماس آرنولد [ص/٦٥] .

(٢) انظر المصدر السابق [ص/٦٧].

ويقرر آرنولد أن وجود المسيحيين وكنائسهم في البلاد الإسلامية حتى الآن دليل على حقيقة التسامح لدى المسلمين، فيقول: [نستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام، إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة، وإن العرب المسيحيين الذي يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح] (١).

ويقول أيضاً: [ولكننا لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي، ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها فرديناند ferdinad وإيزابلا Isabella دين الإسلام من إسبانية أو التي جعل بها لويس الرابع عشر louis xiv المذهب البروتستنتي مذهباً يعاقب عليه متبعوه في فرنسا، أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين عن إنجلترا مدة خمسين وثلاثمائة سنة، وكانت الكنائس الشرقية في آسيا قد انعزلت انعزالاً تاماً عن سائر العالم المسيحي الذي لم يوجد في جميع أنحائه أحد يقف في جانبهم باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين. ولهذا فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن ليحمل في طياته الدليل القوي على ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية، بوجه عام من تسامح نحوهم] (٢).

---

(١) انظر المصدر السابق [ص/٧٠].

(٢) انظر المصدر السابق [ص/٩٩].

ويؤكد آرنولد أن الحكم الإسلامي في الأندلس ساعد المسيحيين على بناء الأديرة للرهبان وأعطاهم حرية التدين والاعتقاد، ومنح المسيحيين تقلد المناصب العالية في الدولة والجيش الإسلامي، يقول: [كذلك نقرأ عن بناء عدة أديار جديدة، بالإضافة إلى الأديار الكثيرة المزهرة التي أقام بها الرهبان والراهبات، الذين عاشوا في أمن وطمأنينة، لا يتعرض لهم حكام المسلمين بسوء، وكان الرهبان يستطيعون الظهور على ملأ الناس، وشاحهم الصوفي وفق نظامهم الكنسي، ولم يكن ثمة ما يدعو القسيس إلى إخفاء شارته الدينية، وفي الوقت نفسه لم تحل المناصب الدينية، دون تقلد المسيحيين المناصب العالية في البلاط أو اندماجهم في سلك الرهبنة أو انتظامهم في جيش المسلمين] [1].

ويذكر آرنولد كيف كان الحكم الإسلامي في السلطنة العثمانية متسامحاً لدرجة عظيمة مع أبناء الطوائف المختلفة، وقد أعطاهم حرية التدين والاعتقاد، وأن يتصرفوا بأمورهم الخاصة حسب عقيدتهم وشريعتهم. فيقول: [ومن أولى الخطوات التي اتخذها محمد الثاني، بعد سقوط القسطنطينية وإعادة إقرار النظام فيها، فحرَّم اضطهاد المسيحيين تحريماً قاطعاً، ومنح البطريق الجديد مرسوماً، يضمن له ولأتباعه ولمرؤوسيه من الأساقفة حق التمتع بالامتيازات القديمة، والموارد والهبات التي كانوا يتمتعون بها في العهد السابق، وقد تسلم جنّاديوس، أول بطريق بعد الفتح التركي، من يد السلطان نفسه، عصا

(١) انظر المصدر السابق [ص/١٥٨ وما بعدها].

الأسقفية التي كانت رمز هذا المنصب، ومعها كيس يحتوي على ألف دوكة ذهبية، وحصان محلى بطاقم فاخر، وكان يتميز بركوبه في خلال المدينة تَحُفّ به حاشيته، ولم يقتصر المسلمون في معاملة رئيس الكنيسة على ما تعود أن يلقاه من الأباطرة المسيحيين من توقير وتعظيم، بل كان متمتعاً أيضاً بسلطة أهلية واسعة، فكان من عمل البطركية أن يفصل في القضايا التي تتعلق بالإغريق بعضهم مع بعض ...

كذلك كان في استطاعته أن يفصل في كل شؤون العقيدة والشريعة، من غير أن يخشى تدخلاً من جانب الحكومة، ولما كان هذا البطريق معترَفاً به موظفاً من موظفي الحكومة السلطانية، كان يستطيع أن يقوم بعمل كبير في رفع الظلم عن المظلومين؛ بأن يوجه أنظار السلطان إلى أعمال الحكام الظالمين، كذلك عومل الأساقفة من الإغريق في الولايات معاملة تنطوي على رعاية بالغة، وعهد إليهم كثيرٌ من القضايا المتعلقة بشؤونهم المدنية] [1].

ويتحدث المؤرخ والباحث **وِل ديورانت** عن تسامح المسلمين الكبير مع غير المسلمين فيقول: [وبقيت الكثرة الغالبة من أهل بلاد الشام مسيحية حتى القرن الثالث الإسلامي. ويحدثنا المؤرخون أنه كان في بلاد الإسلام في عصر المأمون أحد عشر ألف كنيسة، كما كان فيها عدد كبير من هياكل اليهود ومعابد النار، وكان المسيحيون أحراراً في الاحتفال بأعيادهم علناً، والحجاج المسيحيون يأتون أفواجاً آمنين لزيارة الأضرحة المسيحية في فلسطين، وقد وجد

(١) انظر المصدر السابق [ص/١٧٠ وما بعدها].

الصليبيون جماعات مسيحية كبيرة في الشرق الأدنى في القرن الثاني عشر الميلادي، ولا تزال فيه جماعات منهم إلى يومنا هذا. وأصبح المسيحيون الخارجون على كنيسة الدولة البيزنطية والذين كانوا يلقون صوراً من الاضطهاد على يد بطارقة القسطنطينية، وأورشليم، والإسكندرية، وإنطاكية، أصبح هؤلاء الآن أحراراً آمنين تحت حكم المسلمين ...، ولقد ذهب المسلمون في حماية المسيحيين إلى أبعد من هذا، إذ عيَّن والي إنطاكية في القرن التاسع الميلادي حرساً خاصاً ليمنع الطوائف المسيحية المختلفة من أن يقتل بعضها بعضاً في الكنائس. وانتشرت أديرة الرهبان وأعمالهم في الزراعة، وفي إصلاح الأراضي البور... وبلغت العلاقة بين الدينين في وقت من الأوقات درجة من المودة تبيح للمسيحيين الذين يضعون الصلبان على صدورهم أن يؤموا المساجد ويتحدثوا فيها مع أصدقائهم المسلمين] [1].

و**يقول أيضاً**: [لقد ظل الإسلام خمسة قرون من عام ٧٠٠ إلى عام ١٢٠٠م يتزعم العالم كله في القوة، والنظام، وبسطة الملك، وجميع الطباع والأخلاق، وفي ارتفاع مستوى الحياة، وفي التشريع الإنساني الرحيم، والتسامح الديني، والآداب، والبحث العلمي، والعلوم، والطب، والفلسفة... وكان الفن والثقافة في بلاد الإسلام أعم وأوسع انتشاراً بين الناس مما كانا في البلاد المسيحية في العصور الوسطى؛ فقد كان الملوك

(١) انظر: قصة الحضارة، الإيمان [ص/٤٥٦٣].

أنفسهم خطاطين، وتجاراً، وكانوا أطباء، وكان في مقدورهم أن يكونوا فلاسفة] [(١)].

ويقول أيضاً: [ولقد كان أهل الذمة المسيحيون، والزرادشتيون واليهود، والصابئون، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام. فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم] [(٢)].

٢- تسامح المسلمين جذب غير المسلمين إليهم:

ويذكر آرنولد كيف أن المسيحيين كانوا يفضلون المسلمين على أبناء دينهم الذين اضطهدوهم من الروم والإغريق والبيزنطيين فيقول: [ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة في فحل، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب، يقولون: (يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا، وأغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم] [(٣)].

---

(١) انظر المصدر السابق، الإسلام والعالم المسيحي [ص/٤٨١٣].

(٢) انظر المصدر السابق، الإيمان [ص/٤٥٦١].

(٣) انظر الدعوة إلى الإسلام، لتوماس آرنولد [ص/٧٣].

ويؤكد آرنولد أن تسامح المسلمين هو الذي جذب غير المسلمين إلى الإسلام فيقول: [وإذا نظرنا إلى التسامح الذي امتد على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسيحيين في صدر الحكم الإسلامي، ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق] (١).

ويشير المؤرخ والباحث الدكتور **غوستاف لوبون** كيف كان العرب المسلمون في الأندلس متسامحين جداً، بل كيف علموا الشعوب التي اتصلوا معها التسامح، وكيف عاشت تلك الشعوب وأبناء الديانات الأخرى في ظلهم عصورها الذهبية.. يقول:

[واستطاع العرب أن يحولوا إسبانية مادياً وثقافياً في بضعة قرون، وأن يجعلوها على رأس جميع الممالك الأوربية، ولم يقتصر تحويل العرب لإسبانية على هذين الأمرين، بل أثَّروا في أخلاق الناس أيضاً، فهم الذين علموا الشعوب النصرانية، وإن شئت فقل حاولوا أن يعلموها، التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان، وبلغ حلم عرب إسبانية نحو الأهلين المغلوبين مبلغاً كانوا يسمحون به لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية، كمؤتمر أشبيلية النصراني الذي عُقد في سنة ٧٨٢م ومؤتمر قرطبة النصراني الذي عقد في سنة ٨٥٢م، وتُعدُّ كنائس النصارى الكثيرة، التي بنوها أيام الحكم العربي من الأدلة على احترام العرب لمعتقدات الأمم التي خضعت لسلطانهم، وأسلم كثيرٌ من

(١) انظر المصدر السابق، [ص/٨٨].

النصارى، ولكنهم لم يسلموا طمعاً في كبير شيء، وهم الذي استعربوا فغدوا هم واليهود مساوين للمسلمين قادرين مثلهم على تقلد مناصب الدولة، وكانت إسبانية العربية بلد أوربة الوحيد الذي تمتع اليهود فيه بحماية الدولة ورعايتها، فصار عددهم فيه كثيراً جداً، وكان عرب إسبانية يتصفون بالفروسية المثالية خلا تسامحهم العظيم، وكانوا يرحمون الضعفاء، ويرفقون بالمغلوبين ويقفون عند شروطهم] [1].

ويتحدث المؤرخ والباحث **وِل ديورانت** عن تسامح المسلمين الذي أدى إلى إقبال غير المسلمين على الإسلام حيث وجدوا خلاصهم من اضطهاد البيزنطيين لهم، يقول: [وكان المسيحيون في بلاد الشرق يرون أن حكم المسلمين أخف وطأة من حكم بيزنطة وكنيستها. وعلى الرغم من خطة التسامح الديني التي كان ينتهجها المسلمون الأولون، أو بسبب هذه الخطة، اعتنق الدينَ الجديدَ معظمُ المسيحيين، وجميع الزرادشتيين، والوثنيين إلا عدداً قليلاً جداً منهم، وكثيرون من اليهود في آسية، ومصر وشمالي أفريقية. ...وآمن السكان بالدين الجديد وأخلصوا له، واستمسكوا بأصوله إخلاصاً واستمساكاً أنسياهم بعد وقت قصير آلهتهم القدامى، واستحوذ الدين الإسلامي على قلوب مئات الشعوب في البلاد الممتدة من الصين، وأندونيسيا، والهند، إلى فارس، والشام، وجزيرة العرب، ومصر وإلى مراكش، والأندلس؛ وتملك

(١) انظر حضارة العرب للدكتور غوستاف لوبون، [ص/٢٧٦ وما بعدها].

خيالهم، وسيطر على أخلاقهم، وصاغ حياتهم، وبعث فيهم آمالاً تخفف عنهم بؤس الحياة ومتاعبها، وأوحى إليهم العزة والأنفة] [(١)].

٣- ثقافة أمة الرحمة صنعت أرقى الحضارات في العالم:

يتحدث المؤرخ والباحث **وِل ديورانت** كيف كان حال البلاد العربية قبل الإسلام، وكيف استحالت بعد الإسلام إلى جنات فيحاء، وكيف انتشر الرخاء في المجتمعات الإسلامية، وكيف أصبحت على مدى خمسة قرون أرقى بلاد العالم كله حضارة .. يقول:

[وكان العراق قبل الفتح الإسلامي صحراء جرداء، فاستحالت أرضها بعده جناناً فيحاء، وكان كثير من أرض فلسطين قبيل الفتح رملاً وحجارة فأصبحت خصبة، غنية، عامرة بالسكان...

ولكن الخلفاء قد أمَّنوا الناس إلى حد كبير على حياتهم وثمار جهودهم، وهيئوا الفرص لذوي المواهب، ونشروا الرخاء مدى ستة قرون في أصقاع لم تر قط مثل هذا الرخاء بعد عهدهم، وبفضل تشجيعهم ومعونتهم انتشر التعليم، وازدهرت العلوم، والآداب والفلسفة، والفنون ازدهاراً جعل الجزيرة العربية على مدى خمسة قرون أرقى أقاليم العالم كله حضارة] [(٢)].

---

(١) انظر قصة الحضارة، أحوال البلاد الإسلامية [ص/٤٥٦٤].

(٢) انظر قصة الحضارة، أحوال البلاد الإسلامية [ص/٤٥٨١ وما بعدها].

ويتحدث عن ازدهار العلوم والفنون في ظل ثقافة الرحمة الإسلامية فيقول: [ويمكن القول بوجه عام إن المجتمع الإسلامي كان مجتمعاً ذا أدبٍ راقٍ إلى أقصى حدود الرقي؛ وما من شك في أن الشرق من عهد (قورش) إلى (لي هونج تشانج) قد فاق الغرب في الرقة والكياسة؛ وكان من المظاهر التي تشرف بها الحياة في بغداد؛ أن الفنون والعلوم التي لا يحرمها الإسلام كانت كلها بلا استثناء تجد فيها من يشجعها ويأخذ بناصرها، وأن المدارس على اختلاف درجاتها كانت كثيرة العدد منتشرة في جميع الأنحاء] (١).

وينقل ديورانت عن استانلي بول الذي يصفه بـ "المستشرق المسيحي العظيم" **قوله**: (لم تنعم الأندلس طول تاريخها بحكم رحيم، عادل، كما نعمت به في أيام الفاتحين العرب-المسلمين-) (٢).

ويقول المؤرخ والباحث الفرنسي الدكتور غوستاف لوبون: (فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم)(٣) وهو يستند بذلك إلى الحقائق التاريخية، والوثائق والإثبات العلمي، فالنّبي ﷺ عندما حرّر الجزيرة العربية بكاملها لم يتجاوز عدد القتلى أكثر من ثلاث مئة إنسان؛ لأنه -بإستراتيجيته- كان يتجنب أن يصنع صراعاتٍ تؤدي إلى القتل، ولو أراد لاستطاع أن يفعل.

(١) المصدر السابق، أحوال البلاد الإسلامية. [ص/٤٥٩٦].

(٢) المصدر السابق، الحضارة في بلاد الأندلس الإسلامية، [ص/٤٧٢٣].

(٣) حضارة العرب، غوستاف لوبون [ص/٦٠٥]، ترجمة: عادل زعيتر.

كما رأينا في فتح مكة حين جمع الذين قاتلوه وعذّبوه واضطهدوه، **وقال لهم**: « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ ؟» . قَالُوا: خَيْراً، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيم. **قَالَ**: « اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ »[1]...

وذلك مع قدرته على استئصالهم، لكنه لم يكن يريد قتل أعدائه بل أراد هدايتهم إلى الإيمان بالله تعالى، بل قصد أكثر من ذلك أن يمتلك قلوبهم ليحملوا ثقافة الرحمة الإسلامية، لينقذوا بها الشعوب المعذبة والمقهورة.

مرة أخرى: كيف تحررت الجزيرة العربية كلها بهذا العدد القليل؟ بالمقابل في الحرب العالمية الثانية وحدها كان عدد القتلى ما يقارب أربعين مليون قتيل!!.. وحتى الحروب القديمة في أوروبة وآسيا كان عدد القتلى فيها يتجاوز مئات الآلاف.

أما في دولة الإسلام فالأمر مختلف، والثقافة مختلفة، إنها ثقافة أمة الرَّحمة التي نجح رسول الله ﷺ في بنائها.

* * *

(١) انظر سيرة ابن هشام[٤/٤١٢].

رابعاً: نماذج من ثقافة الرَّحمة في سلوك المسلمين:

١- نماذج من ثقافة الرَّحمة في عهد سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ:

لنبدأ بسيدنا أبي بكر ﷺ عندما كان يجهّز الجيوش لتحرير جزيرة العرب كان يوصيهم: (لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرّون بأقوامٍ قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له)[1].

كما نجد هذه الرَّحمة في الواقع التطبيقي:

– **فتح سيدنا أبو عبيدة ﷺ حمص**، وكان أهلها من النصارى في ذمة المسلمين، ودفعوا الضرائب التي تسمى بالجزية، فالنظام في الدولة الإسلامية كان يجعل المسلم يخرج للجهاد، ويضحي بنفسه من أجل حماية البلد، وكان غير المسلم يدفع المال مقابل ذلك، ومقابل حمايته وتقديم خدمات الدولة له، وعندما طلب سيدنا عمر ﷺ من أبي عبيدة ﷺ أن يخرج من حمص، ويتراجع إلى اليرموك ليؤازر جيش خالد في معركة اليرموك، أخبر أبو عبيدة أهل حمص أن المسلمين سينسحبون من حمص؛ لذلك فإن الأموال التي دفعوها لحمايتهم سوف ترد إليهم، وشق على أهل حمص فراق المسلمين، ورجوهم للبقاء عندهم، فأعاد أبو عبيدة الأموال، وانسحب لمؤازرة جيش خالد في اليرموك،

(١) أخرجه بنحوه الإمام مالك في "الموطأ" برقم (٩١٨) [٣٥٦/١]، وأخرجه المتقي الهندي في "كنز العمال" برقم (٣٠٢٦٨) [٥٧٨/١٠]، واللفظ له.

فأغلق أهل حمص أبواب مدينتهم حتى لا يسمحوا لأبناء دينهم من الرومان أن يدخلوا إلى مدينة حمص فيحكموهم؛ لأنّهم كانوا ظالمين، حيث كان العدل في حكم المسلمين، والظلم في حكم الرومان، فعندما انتهت معركة اليرموك عاد أبو عبيدة إلى حمص ففتحوا الأبواب واستقبلوهم فرحين.

قال البلاذري في كتابه "فتوح البلدان": (حدثني أبو حفص الدمشقي قال حدثنا سعيد بن عبد العزيز، قال بلغني أنَّه لما جمع هِرقْل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك، ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا: قد شُغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم، فأنتم على أمركم، **فقال أهل حمص**: لَولاَيتُكُم وعدلُكُم أحبُّ إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعنَّ جُند هرقل عن المدينة مع عاملكم، ونهض اليهود فقالوا: والتوراةِ لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نُغلبَ ونُجهدَ فأغلقوا الأبواب وحرسوها، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود، وقالوا إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه، وإلا فإنّا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد، فلما هزم الله الكفرة وأظهر المسلمين فتحوا مدنهم وأخرجوا المقلسين فلعبوا وأدوا الخراج)[1].

هذه أمة الرَّحمة التي بناها رسول الله ...، هكذا أتى رسول الله ﷺ برسالة الرَّحمة ونشر ثقافة الرَّحمة، ليس بالنظريات!! بل بالحقائق، والواقع على الأرض يتحدث..

(١) فتوح البلدان للبلاذري [ص/ ١٨٧].

لقد بنى رسول الله ﷺ حقاً أمة الرَّحمة.

من يُصدّق أنّ أمةً وجيشاً فاتحاً يدخل إلى مدينة ثم يخرج منها مضطراً من أجل تكتيك عسكري، وعمل تقتضيه حماية الفتوح وحماية ظهر الجيوش، فيخرج من المدينة، وأهل هذه المدينة المحتلة يحزنون حزناً شديداً على فراق من فتح مدينتهم، ويطلبون منهم البقاء ويعاهدونهم على القتال معهم ضد الرومان إذا بقوا في مدينتهم!!

حقيقة

وهذا معناه أنّ من فتح مدينتهم لم يقتلهم، بل أحسن إليهم، ولولا إحسانه لما بكوا على فراقه، لقد منحهم المسلمون الحرية والعدالة، وهذه العدالة تطبق لصالح غير المسلم ضد خصمه المسلم إذا كان هذا المسلم ظالماً... فالحق هو المقدس في هذا الدين...

العدالة هي المقدسة في هذا الدين...

– **وهذا سيدنا خالد** رضي الله عنه في خلافة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه كتب في عقد الذمّة لأهل الحيرة في العراق –وكانوا من النصارى–: (أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيلَ من بيت مال المسلمين)[1]، هكذا عامل المسلمون غير المسلمين.

(١) كتاب "الخراج" لأبي يوسف [ص/ ٣٠٦].

حقيقة

من يُصدق أن فاتحاً يرعى شؤون من ليسوا على دينه، فيقرر لكل من عَجَزَ منهم عن تحصيل احتياجاته، وعَجَزَ عن تأمين معاش عياله ونفسه، يقرِّر له فرضاً وواجباً من بيت مال المسلمين لينفق عليه وعلى عياله؟!.

٢- نماذج من ثقافة الرَّحمة في عهد سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ:

هل بنى سيدنا محمد ﷺ أمة الرَّحمة؟ لنرَ ذلك على أرض الواقع:

- **أوصى عمر** ﷺ الخليفةَ مِن بَعْدِه بأهل الذمة أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل مَنْ وراءَهم، وألاّ يُكلَّفوا فوق طاقتهم.

- **وقد أعطى عمر بن الخطاب** ﷺ أهل بيت المقدس (إيلياء) الأمان وفق معاهدة اشتهرت بالعهدة العمرية، وقد جاء فيها: (هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم، وصلبانهم، سقيمها وبريئها، وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم..)[1].

هذه ثقافة الرَّحمة لدى أمة الرَّحمة في حماية غير المسلمين ورعايتهم.

- **مرّ عمر بن الخطاب** ﷺ بباب قوم وعليه سائل هرم واقف على أحد الأبواب يسأل المال، وكان شيخاً كبيراً ضرير البصر، فضرب عمر عضده

(١) تاريخ الطبري [٦٠٩/٣].

من خلفه، وقال: من أيّ أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية، والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله،فرضخ له بشيء من المنزل–أعطاه مما هو متوفر في منزله– ثم أرسل إلى خازن بيت المال، فقال: انظروا هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم)[1].

ويتحدث المؤرخ والباحث **توماس آرنولد** عن تسامح عمر بن الخطاب مع غير المسلمين من المسيحيين وغيرهم فيقول: [ومما يتفق مع هذه الروح التي تنطوي على حسن معاملة عمر لرعاياه من أصحاب الديانات الأخرى، ما أثر عن عمر من أنه أمر أن يعطى قوم مجذومون من النصارى من الصدقات، وأن يُجرى عليهم القوت، وهو لا ينسى الذميين (وهم أصحاب الديانات الأخرى الداخلون في حماية المسلمين) حتى في آخر وصاياه، إذ عهد فيها إلى من يخلفه بما ينبغي القيام به في هذا المنصب السامي فقال: (وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفي لهم بعهدهم وألا يكلفوا إلا طاقتهم] [2].

حقيقة

هذه أمة الرَّحمة، هذه قوانين أمر بها سيدنا محمد ﷺ لتطبّق على الأرض الإسلامية... فأي إنسان، ولو كان يهودياً أو غير مسلم وأصابته الحاجة، فيجب على المسلمين مساعدته، وهذا ما فعله أيضاً سيدنا خالد؛ وذلك **لأن المعلم واحد، والرسالة واحدة، لقد صنع رسول الله ﷺ أمة الرَّحمة وبناها بحق.**

(١) "الخراج" لأبي يوسف [١/١٢٦].

(٢) انظر: الدعوة إلى الإسلام لتوماس آرنولد، [ص/٧٥].

- **وعن ابن عمر** -رضي الله عنهما- قال: (قدمت رفقة من التجار، فنزلوا المصلى، فقال عمر لعبد الرحمن: هل لك أن تحرسهم الليلة من السراق، فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما، فسمع عمر بكاء صبي، فتوجه نحوه، فقال لأمه: اتقي الله وأحسني إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه، فعاد إلى أمه، فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان في آخر الليل سمع بكاءه، فأتى أمه، فقال لها: ويحك، إني لأراك أم سوء، مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة؟! قالت: يا عبد الله، قد أبرمتني منذ الليلة، إني أريغه عن الفطام فيأبى، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفُطَّم، قال: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهراً، قال: ويحك، لا تعجليه، فصلى الفجر -وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء- فلما سلَّم قال: يا بؤساً لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين، ثم أمر منادياً فنادى: ألاّ تعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق أن يفرض لكل مولود في الإسلام)[1].

هكذا بنى النبي ﷺ أمة الرَّحمة على الأرض.

وعن أسلم ﷺ قال: (خرجت ليلةً مع عمر بن الخطاب ﷺ إلى حرّة واقم، حتى إذا كنا بصرار إذا بنار - رأوا ناراً عن بعد- فقال: يا أسلم! هاهنا ركبٌ قصّر بهم الليل، انطلق بنا إليهم، فأتيناهم، فإذا امرأةٌ معها صبيان لها وقِدْرٌ منصوبةٌ على النار، وصبيانُها يتضاغون[2]، فقال عمر ﷺ: السلام

(١) أخرجه ابن سعد في "طبقاته" [٣/٢٨٠]، واللفظ له، و"صفة الصفوة" لابن الجوزي [١/١٢٩].

(٢) يتضاغون: أي يصيحون ويستغيثون من الجوع.

عليكم يا أصحاب الضوء (-وكره أن يقول: يا أصحاب النار-)، قالت: وعليك السلام، قال: أَدنو؟ قالت: اُدنُ أو دَعْ، فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قصّر بنا الليل والبرد، قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت:من الجوع، قال: وأي شيء على النار؟ قالت: ماء أعلّلُهم به حتى يناموا!! **الله بيننا وبين عمر، فبكى عمر، ورجعَ يهرولُ إلى دار الدّقيق**، فأخرج عدلاً من دقيقٍ وجِرَابَ شحمٍ، فقال: يا أسلم احمله على ظهري، فقلت: أنا أحمله عنك، فقال: أَنت تحمل عنّي وزري يوم القيامة! قال: فحمله على ظهره، وانطلقنا إلى المرأة، فألقى عن ظهره، وأخرج الدقيقَ في القدر، وألقى عليه من الشحم، وجعل ينفخُ تحت القدر، والدخان يتخلّل لحيتهُ ساعةً، ثم أنزلها عن النار، وقال: آتني بصحفةٍ، فأتيَ بها، فغرفَ فيها، ثم جعلها بين يدي الصبيان وقال: كلوا، والمرأة تدعو له وهي لا تعرفه، فلم يزل عندهم حتى نام الصغار، ثم أوْصَلهم بنفقةٍ وانصرفَ، فقال: يا أسلم! الجوع الذي أسهرهم وأبكاهم)[1].

إنها ثقافة الرَّحمة.

هل بنى رسول الله أمة الرَّحمة حقاً؟! لا شك ولا ريب في ذلك.

وهناك نموذج آخر في عام الرمادة، فقد أصاب الناس الجوع، وكان عمر ﷺ لا يأكل السمن تعاطفاً مع الناس وإشفاقاً عليهم...

(١) "البداية والنهاية" [١٠/١٨٦]، وأسد الغابة في معرفة الصحابة [٤/١٥٥].

فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: (أصاب الناسَ سنةٌ غلا فيها السمن، فكان عمر ﷺ يأكل الزيت فيقرقر بطنه، وفي رواية يحيى، قال: كان عمر ﷺ يأكله (السمن)، فلما قلَّ، قال: "لا آكله حتى يأكله الناس"، قال: فكان يأكل الزيت فيقرقر بطنه.) وقال ابن مكرم في روايته: " فقال: قرقر ما شئت فو الله لا آكل السمن حتى يأكله الناس [1].

حقيقة

أين نحن من هذه الرَّحمة...؟

في بلد من البلدان العربية بعد حرب غزة (٢٠٠٨م) بقليل افتتحوا فندقاً وصرفوا على الألعاب النارية وحفل الافتتاح فقط ملايين الدولارات، أي: ما يكفي لإطعام جميع أهل غزة، وهم جائعون، ومحاصرون، والإسرائيليون يفتكون بهم..

فهل يستوي إسلامنا مع إسلام صحابة رسول الله؟!

٣- نماذج من ثقافة الرَّحمة في عصور مختلفة:

أمثلة أخرى من عصور مختلفة:

عن مجاهد قال: كنت عند عبد الله بن عمر ﷺ وغلامه يسلخ شاة فقال: (يا غلام! إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي)، فقال رجل من

(١) "الطبقات الكبرى" لابن سعد [٢٩١/٣] بنحوه، و"أسد الغابة" لابن الأثير بنحوه [١٦٧/٤]، وأخرجه البيهقي في "سننه الكبرى" برقم (١٧٩٠٩) [٧٣/٩]، واللفظ له.

القوم: اليهودي؟! أصلحك الله! قال: سمعت النبي ﷺ يُوصي بالجارِ حتى خشينا أو رُؤِينا أنه سيورِّثه) [(١)].

هذه هي أمة الرَّحمة التي تعطي للإنسان حقه بصرف النظر عن دينه وعقيدته فتكرمه لأنه إنسان.

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطأة يقول له: (وانظر من قِبَلك من أهل الذمة، - مَن- قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولَّت عنه المكاسب، فأجرِ عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه)[(٢)].

وأمر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مناديه أن ينادي: (ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، فقام إليه رجل ذمي — غير مسلم- من أهل حمص، فقال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله، قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي__والعباسُ جالسٌ__، فقال له: يا عباس ما تقول؟ قال: أَقْطَعَنِيْها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وكتب لي بها سجلاً، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله ﷻ، فقال عمر: كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك، قم فاردد عليه يا عباسُ ضيعته، فردها عليه)[(٣)].

(١) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري برقم (١٢٨/٩٥) [٧٢]، وهو صحيح.
(٢) كتاب "الأموال" لأبي عبيد [ص:٢٧].
(٣) ذكره ابن عساكر في "تاريخ مدينة دمشق" [٣٥٨/٤٥].

حقيقة

هكذا أتى رسول الله ﷺ برسالة الرَّحمة من رب الرحمة، ونشر ثقافة الرَّحمة، وبنى أمة الرَّحمة، فأين نحن اليوم من هذا؟!

بعد هذا كله ..

أيعرف الناس الإسلام بحقائقه المذهلة التي مرت معنا؟!

أم أن الإسلام مظلوم مجهول بين أهله كما هو مجهول أكثر بين غير أهله؟!...

من المسؤول؟!...

تقع المسؤولية بالدرجة الأولى على الدعاة والمفكرين الإسلاميين...

فعليهم التعريف بالإسلام وحقائقه بكافة الوسائل المتاحة...عبر المواقع الإلكترونية الواسعة الانتشار، والمحطات الفضائية، والأبحاث، والكتب والنشرات، وكل ما هو ممكن من وسائل الاتصال والتواصل.. وأن يخصصوا جزءاً من جهودهم لتعريف غير المسلمين بهذا الإسلام العظيم الذي يجهلونه... ويجب أن يكون الخطاب بلغة القوم، متناسباً مع ثقافتهم وبيئتهم... ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ [سورة إبراهيم].

وتقع المسؤولية بالدرجة الثانية على المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية...وعلى أصحاب الطاقات المالية؛ الذين عليهم أن يسخروها لتمكين أهل الفكر والدعوة والثقافة من التعريف بالإسلام، بالطرائق الناجحة

المحققة للأهداف المرجوة، ومنها نشر ثقافة الرحمة بين الناس، وتقع المسؤولية أخيراً على كل المسلمين....لأن واجبهم الإسلامي يقتضي أن يتمثلوا الإسلام علماً وعملاً وسلوكاً، وتعليماً بالقدوة الحسنة، حتى يرى فينا الآخرون الإسلام المثالي المحبب إلى القلوب...فإن النفوس تعشق كل جميل بالفطرة... ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا .... ﴾[سورة الروم: ٣٠].

هل بنى رسول الله ﷺ أمة الرَّحمة حقاً ؟!.

نعم... دعوا الوقائع تتحدث.

فداك أبي وأمي وأهلي ومالي وروحي يا رسول الله

يا من ظلمك بعض المسلمين بجهلهم بك وبعدهم عنك !!..

ويا من ظلمك أعداؤك إذ لم يدرسوك ويعرفوك !!..

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ نبي الرحمة، والرحمة المهداة، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن أحبه واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين

* * *

الفهارس

فهرس الأحاديث

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ

فهرس الأحاديث

	طرف الحديث	الصفحة
١	أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، قال: «فهل...	١٥٢
٢	ابْغُوني ضُعَفَاءكم، فإنما تُرزقُونَ وتُنصرون بضعفائكم...	٧٩
٣	أَتَرُدِّينَ عليه حَدِيقَتَهُ؟» قالت: نعم، قال رسولُ الله ﷺ: ...	١٦٥
٤	أتريد أن تُميتَها مَوْتَات؟! هلاَّ حددت شفرتك قبل أن تضجعها...	٣٢٢
٥	اجْتَمعن في يوم كذا وكذا، في مكان كذا وكذا»، فاجتمعن...	١١٢
٦	اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟...	٧٤
٧	اجعله في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب...	١٢٣
٨	أحبُّ الناس إلى الله عز وجل أنفعهم للناس...	٢٤٧
٩	احملني. قال: «أحملك على ولد الناقة» فقالت: يا رسول الله...	١٥٨
١٠	إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها –غير مفسدة–...	١٢٠
١١	إذا أنفقت المرأة من كَسْبِ زوجها عن غير أمره فله نصفُ...	١٢٠
١٢	إذا نعسَ أحدكم في الصلاة فلينم حتى يعلم ما يقرأ...	٢٠١
١٣	اذهبوا بنا إلى بني واقفٍ نزور البصير...	٨٣
١٤	أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر...	٢١٣
١٥	ارفق يا أنجشة ويْحكَ بالقوارير»، فرسول الله ﷺ يَحثُّ...	١٣٤
١٦	اركبوها سالمةً (يعني بدون إتعابها ولا إرهاقها) ودعوها سالمةً...	٣١٥
١٧	استوصوا بالأسارى خيراً...	٣٠١
١٨	أَشِيرُوا عَلَيَّ أَتَرَوْنَ أَنْ نَمِيلَ إِلَى ذَرَارِيِّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ ...	٢١٠
١٩	أشيروا عليّ أيها الناس...	٢٠٩
٢٠	أكمل المؤمنين إيماناً أحسنُهم خلقاً، وخياركم خياركم ...	١٣٩
٢١	ألا أُنبِّئكم بأكبرِ الكبائرِ؟–ثلاثاً–الإشراكُ بالله، وعقوقُ ...	١٤٥
٢٢	ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذبُ بدمع العين ولا بحزن القلب، و	٢١٦
٢٣	ألا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكلُّكم مَسؤولٌ عن رَعِيَّتِهِ، فالإمامُ رَاعٍ...	١٦٦

٢٤	ألا مَنْ ظَلَمَ مُعاهِداً، أو انتَقَصَهُ، أو كلَّفَهُ فوق طاقَتِه، أو أخَذَ ...	٢٣٥
٢٥	ألا واستوصوا بالنساء خيراً»، ثم قال ﷺ: «ألا إن لكم على...	١٣٩
٢٦	الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة...	١٦٨
٢٧	الرّاحمون يرحمهم الرّحمن، ارحموا أهلَ الأرض يرحمكم من في ...	٣٣٤
٢٨	السَّاعي على الأرْمَلَةِ، والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله ..	٨٥ -١٣٣-١٥٩
٢٩	اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين...	٨١
٣٠	اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين...	٨١
٣١	اللَّهمَّ إني أسألُك وأتَوَجه إليك بِنَبِيِّكَ محمدٍ نبي الرَّحمة...	٤٤
٣٢	اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ من أمْر أُمَّتي شَيْئاً فَشَقَّ عليهم، فَاشْقُقْ ...	٥٣
٣٣	ألَمْ أُخْبَرْ أنك تقوم الليل وتَصومُ النهار، ؟» قلت: بلى يا...	١٦٩
٣٤	المرء مع من أحب يوم القيامة...	٣٥
٣٥	أم أيمن أمي بعد أمي ...	١٥٦
٣٦	أما بعد أشيروا عليَّ في أناسٍ أبَنوا أهلي، وأيم الله ما علمت ...	٢١١
٣٧	أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا ...	٢١٤
٣٨	أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم...	١٥٥
٣٩	أن أباها زوَّجها وهي ثيب، فكرهَت ذلك، فأتت رسول الله...	١٦٤
٤٠	إنَّ إبراهيم ابني، وإنه مات في الثَّدي، وإنه له لَظِئرين ...	٦٩
٤١	إنَّ الدِّين يُسرٌ، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غَلَبَه...	٥٣
٤٢	إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا ...	١٩٦
٤٣	إن العينَ تدمع، والقلبَ يحزن، ولا نقول إلا ما يَرْضى ربُّنا...	٧١
٤٤	إن الله أوجب لها بها الجنة، وأعتقها بها من النار...	١٨٤
٤٥	إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهاتِ...	١٤٧
٤٦	إن الله عز وجل رفيق، يحب الرفق ويرضاه، ويعين عليه ما لا...	٣١٦
٤٧	إن الله عزَّ وجل يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم...	١٤٤
٤٨	إن الله كتب الإحسانَ على كل شيء...	١٩٧
٤٩	إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ...	١٩٦

٥٠	إن الله يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته	٢٤٢
٥١	أَنَّ النَّبِيِ ﷺ اسْتَخْلَفَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ عَلَى الْمَدِينَةِ مَرَّتَيْنِ...	٩١
٥٢	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَبَّلَ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ وَهُوَ مَيِّتٌ وَهُوَ يَبْكِي	٢١٦
٥٣	أن النبي ﷺ كان يؤتى بأول الثمر فيقول: «اللهم بارِكْ لنا ...	٦٧
٥٤	أن النبيَّ ﷺ كان يزورُ الأنصار ويسلِّمُ على صبيانهم	٦٨
٥٥	أن النبي نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة...	٢١٢
٥٦	إن النساء شقائق الرجال...	١٠٨
٥٧	إنّ أمنَّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر...	١٩٨
٥٨	إنَّ بنيْ هشام بن المغيرة استأذنوا في أن يُنكحوا ابنتَهم عليَّ ...	١٨٦
٥٩	إن خِيَارَكم أحسنُكم قضاء	٢٤٣
٦٠	أن رسول الله ﷺ كان يصلِّي وهو حامل أُمامةَ بنتَ زينب ...	١٨٦
٦١	إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غَرَضَاً...	٣١٩
٦٢	أن رسول الله ﷺ كان يصلي فإذا سجد وَثَبَ الحسن على ظهره ...	٦٨
٦٣	أنَّ زوج بَريرةَ كان عبداً يقال له: مُغيث، كأني أنظر إليه ...	١٦٤
٦٤	إن شِئْتَ دعوتُ، وإنْ شِئْتَ صَبَرْتَ، فهو خَيرٌ لك...	٤٣
٦٥	إن فاطمة مِنِّي، وأنا أتخوَّفُ أن تُفتنَ في دينها، ثم ذكر صِهراً له ...	١٨٦
٦٦	إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحِلمُ والأناةُ.	٢١٥
٦٧	إن لله ما أخذَ وما أعطى، وكلُّ شيءٍ عندَه مسمى...	٧١
٦٨	إنَّ من أعظمِ الأمانة عندَ الله يوم القيامةِ: الرَّجُلُ يُفْضي إلى ...	١٧٦
٦٩	إنَّ مِنْ أَكْمَلِ المؤمنينَ إيمَاناً: أَحسَنَهُمْ خُلُقاً، وَأَلْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ...	١٧٢
٧٠	أنا محمدٌ وأحمدُ والمقفِّي والحاشرُ ونبيُّ التوبةِ ونبيُّ الرَّحمةِ...	٤٣- ٢٦٩
٧١	أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني ...	١٢٨
٧٢	أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة -وأومأ يزيد...	١٦٠
٧٣	أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا...	٧٤
٧٤	أنت مني و أنا منك...	٢١٤
٧٥	أنتُنَّ على ذلك؟» وقالت امرأةٌ واحدةٌ، لم يُجِبْهُ غيرُها: نعم ...	١١٩

٧٦	انطلقَ ثلاثةُ رهطٍ ممَّن كان قبلكم، حتى آوَوْا المبيتَ إلى غار...	١٤٨
٧٧	انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا **شيخاً**	٢٤٦-٢٨٠
٧٨	أنفقي عليهم، فلك أجرُ ما أنفقت عليهم...	١١٨
٧٩	إنك لن تُنفقَ نفقة تبتغِي بها وجه الله إلا أُجِرْتَ عليها، حتى...	١٦٩
٨٠	إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر،...	٢٠٦
٨١	إنما أنا بشر...	٣٠
٨٢	إنما أنا رحمة مهداة...	٢٧٨ -٢٨٣\
٨٣	إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق...	٢٤٢
٨٤	إنما بعثتم ميسرين ،ولم تبعثوا معسرين...	٢٠٢
٨٥	إنما مَثَلي ومَثَل النَّاسِ كمثل رجلٍ استوقَدَ نارًا، فلمَّا ...	٥٤
٨٦	أنه ﷺ كان يأتيهم كل ليلة بعد العشاء، فيقف عليهم يحدثهم ...	٢٧٢
٨٧	إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطَّلع على...	٢٠٥
٨٨	إني أُحَرِّجُ عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة	٧٤ -١٣٣
٨٩	إني لأدخلُ في الصلاة وأنا أُريدُ إطالتها، فأسمعُ بكاءَ الصَّبي ...	١٥٢
٩٠	إني لأرجو أن أفارقكم ولا يطلبني أحد منكم بمظلمة	٢٠٦
٩١	إني لأعلمُ إذا كُنتِ عني راضية، وإذا كنتِ عَليَّ غَضْبى...	١٧٤
٩٢	إني لم أؤمر أن أُنقبَ عن قلوب الناس ولا أشقَّ بطونهم...	٢٠٧
٩٣	إني لم أُبعث لعاناً، وإنّما بعثت رحمة...	٢٦٩
٩٤	أوَ أمْلِك لك أَن نَزَعَ الله من قلبك الرحمةَ؟!...	٦٩
٩٥	أوما بلغك ما قال صاحبكم...	٢٦١
٩٦	أي الأديان أحب إلى الله؟ قال:الحنيفية السمحة.	٥٣
٩٧	أي الناس أحبُّ إليك؟ قال: عائشة ...	١٧٩
٩٨	آيةُ الإيمان حب الأنصار وآيةُ النفاق بغض الأنصار...	٢٠٠
٩٩	أيمت أمي وقدمت المدينة فخطبها الناس	٧٥
١٠٠	أين تحب أن أصلي من بيتك ...	٨٣
١٠١	إيهٍ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا ...	٢١٤

١٠٢	بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أَصلابهم مَنْ يَعبد الله وحده لا ...	٢٧١
١٠٣	بلى، فجُدِّي نَخْلَكِ، فَإِنَّكِ عسى أَن تَصَدَّقي أو تفعلي ...	١٢٢
١٠٤	بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش	٣١٧
١٠٥	بينما كلب يطيف بركية -ببئر-	٣١٨
١٠٦	تصدقن – يا معشر النساء- ولو من حليكن ..	١١٢
١٠٧	ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم...	٦٥
١٠٨	ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ...	٨٨
١٠٩	ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاقُّ لوالديه، ...	١٤٦
١١٠	جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبويّ يبكيان، فقال: ...	١٥٢
١١١	جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ وكان في عقلها شيء ...	٨٥
١١٢	جاءت عجوزٌ إلى النّبيّ ﷺ وهو عندي، فقال لها رسول اللّه...	١٧٨
١١٣	حُبِّب إليَّ النساء والطّيب، وجعلت قرة عيني في ...	١٣٥
١١٤	حجبت النّار بالشّهوات، وحجبت الجنّة بالمكاره...	٣٣٠
١١٥	حسين مني وأنا منه، أحبَّ اللهُ مَن أحبَّه، الحسن والحسين ...	٦٧
١١٦	خالد بن الوليد سيف من سيوف الله ونعم فتى العشيرة...	٢١٣
١١٧	خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أفّ ولا لِم صنعت ...	٨٦
١١٨	خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود وسالم مولى ...	٢١٣
١١٩	خُذِي من ماله ما يكفيك ويكفي بَنِيْكِ...	١٢١
١٢٠	خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلْ اللَّحْمَ	١٧٠
١٢١	خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي..	١٣٩
١٢٢	دخل عليّ رسولُ الله ﷺ وعندي جاريتان تُغنِّيان بغِناءِ بُعَاث...	١٧٠
١٢٣	دخلت امرأة النار في هرة ربطتها	٣٠٢-٣١٨
١٢٤	دعوه، فإن لصاحب الحقِّ مقالاً» ثم قال:« أعطوه سناً مثل ...	٢٤٣
١٢٥	رأى النبي ﷺ قرية نمل (قد حرقناها)، فقال: «من حرق ...	٣٢٣
١٢٦	رأيت النبيّ ﷺ والحسن بن علي على عاتقه يقول: ...	٧٠
١٢٧	رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تشبعيني، وتعرين ...	١٥٨

١٢٨	رغم أنف .... من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم	١٤٧
١٢٩	رَغِمَ أنفُ رَجُل ذُكرتُ عنده فلم يُصلّ عليَّ...	٥٦
١٣٠	سئل النبيُّ ﷺ عن الكبائر، قال: «الإشراكُ بالله، وعقوقُ...	١٤٦
١٣١	سئل رسول الله ﷺ: وإن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: «في كل...	٣١٧
١٣٢	سألت النبي ﷺ: أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: ...	١٤٧
١٣٣	سبحان الله!! بِئْسَما جَزَتْهَا، نذَرَت لله إن نَجَّاها الله عليها...	١٢٦
١٣٤	شَرُّ الطعامِ طعامُ الوليمة؛ يُدعى لها الأغنياءُ، ويُترك الفقراء.... ...	٨٤
١٣٥	صبراً يا آل ياسر موعدَكم الجنة...	١١٠
١٣٦	صدق سلمان...	٢٠١
١٣٧	طلب العلم فريضة على كل مسلم...	١١١
١٣٨	طُلِّقَت خالتي، فأرادتْ أن تَجُدَّ نخلَها، فزجرها رجل أن تخرجَ...	١٧٧
١٣٩	عليك بالرفق، فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع ...	٣١٥
١٤٠	عمارٌ، ما عُرِض عليه أمران إلا اختارَ الأرْشَدَ منهما	٢١٥
١٤١	فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا ...	٥٤
١٤٢	قَتَلَ اللهُ قاتلَ أُمّك...	١١٠
١٤٣	قد أجرنا من أجرت يا أمَّ هانئ...	١٣٢
١٤٤	قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي ...	٣١
١٤٥	قَدِمَ النبيُّ ﷺ خيبر، فَلَمّا فتح الله عليه الحِصْنَ ذُكِر له جمالُ ...	١٧٣
١٤٦	قَدِمَتْ أمِّي وهي مشركة في عهد قريش...	١٥٣
١٤٧	قوموا إلى سيدكم » أو « إلى خيركم »	٢١٥
١٤٨	قوموا فانحروا ثم احلقوا...	١٢٩
١٤٩	كان إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان ...	٢١٨
١٥٠	كان النبيُّ ﷺ أحسنَ الناس خُلُقاً، وكان لي أخٌ يُقال له: ...	٦٨
١٥١	كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت...	١٧٧
١٥٢	كان النبيُّ ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلَتْ إحدى أُمهات ...	١٧٤
١٥٣	كان بشراً من البشر، يَفْلِي ثوبَه، ويحلبُ شاتَه، ويخدمُ نفسَه	١٧١

١٥٤	كان رسول الله ﷺ إذا أَرادا أَنْ يَخْرُج سفراً أَقْرَعَ بيْنَ أَزْواجِه...	١٢٤
١٥٥	كان رسول الله ﷺ إذا غزا أو سافر أردف كل يوم رجلاً	٢١٧
١٥٦	كان رسول الله ﷺ ضحاكاً وبساماً...	١٧٢
١٥٧	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ لُطْفًا بِالنَّاسِ...	٨٦
١٥٨	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ لُطْفًا بِالنَّاسِ، وَاللَّهِ مَا ...	٢٠٣
١٥٩	كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم...	٨٠
١٦٠	كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين، ويعود مرضاهم، ويشهد	٢١٧
١٦١	كان رسول الله ﷺ يأخذني فيُقعدني على فخذه، ويقعد ...	٧١
١٦٢	كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته...	١٧١
١٦٣	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ وَيُقِلُّ اللَّغْوَ وَيُطِيلُ الصَّلاةَ وَيُقَصِّرُ	٨٤
١٦٤	كان يكون في مهنة أهله -أي مساعدة أهله-...	١٧٢
١٦٥	كانت المرأة إذا تُوفي عنها زوجُها دَخَلَت حِفْشاً...	٩٩
١٦٦	كُفّ، فإنه يسأل عمَّا أَهَمَّهُ»، ثم قال له: «أعد علي حديثك»...	٧٢
١٦٧	كلُّ أُمَّتي يدخلون الجنة إلا مَن أبى»، فقالوا: يا رسولَ الله...	٥٥
١٦٨	كلا إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم	٢١٧
١٦٩	كنّ أزواجَ النبيِّ ﷺ عنده لم يُغادِرْ منهنّ واحدةً، فأقبلتْ ...	١٨٤
١٧٠	كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرَةً ...	٣٢١
١٧١	كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرةً...	١٥٤-٣٢١
١٧٢	كنا نُؤمَرُ أن نخرُجَ يوم العيد، حتى نُخْرِجَ البِكْرَ من خِدْرِهَا...	١١٤
١٧٣	كنا نغزو مع النبي ﷺ فنسقي القوم ونخدُمهم ونردُّ الجرحى ...	١٢٤
١٧٤	كنت عند عبد الله بن عمر وغلامه يسلخ شاة فقال:...	٣٥٤
١٧٥	كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة، فلما قَفَلنا، تعجلت على ...	٢١٨
١٧٦	لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيوف الله صبّه الله على الكفار...	٢١٣
١٧٧	لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق...	١٩٦
١٧٨	لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا...	٣٤٦
١٧٩	لا تسافر المرأة إلا مع ذي مَحْرَم ولا يدخل عليها رجلٌ إلا ...	١٣٢

١٨٠	لا تمنعـــوا النـــساء حظـــوظهن مـــن المـــساجد...	١١٣
١٨١	لا تُـنكح الأيِّمُ حـتى تُـستأمر، ولا تُـنكحُ البكـر حـتى تُـستأذن. ...	١٦٣
١٨٢	لا خير في دين بلا صلاة ...	٢٧٣
١٨٣	لا يـؤمنُ أحـدكم حـتى يكـون هـواه تبعـاً لمـا جِئْـتُ بـه...	٢٨
١٨٤	لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه..	٢٦١
١٨٥	لا يَفْـرَكْ مـؤمن مؤمنـة، إن كَـرِه منهـا خُلُقـاً رضـي منهـا آخَـرَ...	١٧٥
١٨٦	لأعطـينَّ الرايـة غـداً رَجُـلاً يُفْـتَحُ على يديـه، يُحِـبُّ الله ورسـولَه...	٢٧٧-٢١٤
١٨٧	لَـصوتُ أبي طلحـة في الجـيش خـيرٌ مـن ألـف رجـلٍ....	٢١٥
١٨٨	لعنَ الله مَـن كمـه –أضلّ– أعمـى عـن السبيل – أي عـن الطريـق–...	٩٢
١٨٩	لعـــن الله مـــن مثَّـــل بـــالحيوان ...	٣٢٥
١٩٠	لعـــن النـــبي ﷺ مـــن مثَّـــل بـــالحيوان	٣٢٥
١٩١	لقـد انقطعـت في يـدي يـوم مؤتـة تـسعة أسـياف فمـا بقـي في ...	٢١٢
١٩٢	لـك أبـوان؟ .. قـال:نعـم، قـال: ففيهمـا فجاهـد...	١٥٠
١٩٣	لمـا أعطـى رسـول الله مـا أعطـى مـن تلـك العطايـا...	١٩٨
١٩٤	لما قَـدِمَ المهـاجرون مـن مكـة إلى المدينـة، قَـدِمُوا وليس بأيـديهم...	١٥٧
١٩٥	لمـا قـدم رسـول الله ﷺ المدينـة جمـع نـساء الأنـصار في بيـت...	١٣١
١٩٦	لمـا كـان يـوم بـدر، أُتي بأسـارى، وأُتي بالعبـاس، ولم يكـن ...	٣٠٢
١٩٧	لـو رأيتـني وأنـا أسـتمع لقراءتـك البارحـةَ، لقـد أوتيـت مزمـاراً ...	٢١٥
١٩٨	لـــو هلـــك حمـــل مـــن ولـــد الـــضأن ...	٣٢٥
١٩٩	لـولا أن أشـقَّ على المؤمنين ..لأمـرتهم بالـسواك عنـد كـل صـلاة ...	٢٠٧
٢٠٠	لـولا أن أشـقَّ على أمـتي لأَخَّـرت العـشاء إلى ثلـث الليـل أو ...	٢٠٨
٢٠١	لَـــيْسَ مِنَّـــا مَـــنْ لَمْ يَـــرْحَمْ صَـــغِيرَنَا وَيُـــوَقِّرْ كَبِيرَنَـــا...	٩٠
٢٠٢	مَـا أَبْدَلَنِي اللَّـهُ عَـزَّ وَجَـلَّ خَيْـرًا مِنْهَـا ، قَـدْ آمَنَـتْ بِي إِذْ كَفَـرَ بِي...	١٩٨
٢٠٣	لـــيس المـــؤمن الـــذي يأكـــل وجـــاره جـــائع..	٥٠ – ٢٤٧
٢٠٤	مـا أنتمـا بِـأَقْوَى مِـنِّي و مـا أنـا بـأغنى عَـنِ الأَجْـرِ مـنكم...	٢٠٣
٢٠٥	ما ترون في الأسرى؟...	٢١١

٢٠٦	ما تظنون أني فاعل بكم؟...	٢٨١
٢٠٧	مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إلاّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ ، ...	٢٠٢
٢٠٨	ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ	٢٠٨
٢٠٩	مَا رأيتُ أحداً كان أرحمَ بالعيالِ من رسول الله ﷺ...	٦٢
٢١٠	ما من إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها إلا يسأله الله...	٣٢١
٢١١	ما هذا الخنجر ..... يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن...	١٢٤
٢١٢	ماذا عندك يا ثُمامة؟» فقال: (عندي خيرٌ يا محمد...	٣٠٣
٢١٣	مرت به ﷺ جنازة، فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال :...	٢٤٨
٢١٤	مرت به جنازة فقيل له...	٣٠٠
٢١٥	من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه...	٢٠٠
٢١٦	من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثمَّ ماتَ، ...	٢٤
٢١٧	مَن رَبُّ هذا الجمل؟ لِمن هذا الجمل» فجاء فتى من الأنصار...	٣١٦
٢١٨	مَنْ صلَّى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً...	٥٦
٢١٩	من عال ابنتين أو ثلاث بنات أو أختين أو ثلاث أخوات ...	١٨٣
٢٢٠	من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو ...	١٨٤
٢٢١	من فرَّق بين والدةٍ وولدها فرَّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة...	٣٠٣
٢٢٢	من قتل عصفوراً عبثاً عجَّ إلى الله (يعني: شكى إلى الله بحرقة ...	٣٢٠
٢٢٣	من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من ...	٢٣٥
٢٢٤	مَن كنتُ مولاه فإنَّ هذا مولاه، اللهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه	٢١٤
٢٢٥	من لا يرحم الناس لا يرحمه الله...	٣٣٤
٢٢٦	من لا يَرحمْ لا يُرحَم...	٦٤ - ٦٩
٢٢٧	من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة ...	٢٠٢
٢٢٨	مَنِ يَلِيْ من هذه البَنَات شيئاً، فأحْسَنَ إليهنَّ،كُنَّ له سِتْرًا ...	١٨٤
٢٢٩	ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مَثَلُهم ...	١٢٥
٢٣٠	نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم...	٣٢٤
٢٣١	هذا أمين هذه الأمة. ...	٢١٣

٢٣٢	هـــلا تركـــت الـــشيخ في بيتـــه حـــتى أكـــون أنـــا آتيـــه فيـــه	٩١
٢٣٣	والـذي نفـس محمـد في يـده لـولا أن أشـقَّ على المؤمنين مـا قعـدت...	٢٠٧
٢٣٤	وأوصـيه بذمـة الله وذمـة رسـوله ﷺ أن يـوفي لهـم بعهـدهم وأن ...	٢٣٦
٢٣٥	وفـد علـى رسـول الله ﷺ وفـد مـن نـصارى نجـران بالمدينـة ...	٢٣٨
٢٣٦	وكـان ﷺ إذا ذبـح الـشاة يقـول: «أرسـلوا بهـا إلى أصـدقاء ...	١٧٨
٢٣٧	وكان من شأن أم أيمن — أم أسامة بن زيد- أنها كانت وصيفة	١٥٧
٢٣٨	وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب،...	١٧٠
٢٣٩	ولنجـران وحاشـيتهم جـوار الله، وذمـة محمـد النـبي رسـول الله، ...	٢٤٩
٢٤٠	يـا أبـا ذر أعيـرّته بأمـه !!إنـك امـرؤٌ فيـك جاهليـةٌ، إخـوانُكم ...	٨٧
٢٤١	يـــا أيهـــا النـــاسُ إنمـــا أنـــا رحمـــة مهـــداة...	٤٣
٢٤٢	يـا أيهـا النـاس خـذوا مـن الأعمـال مـا تطيقـون فـإن الله لا يمـلُّ ...	٢٠١
٢٤٣	يـا أيهـا النـاس، ألا إن ربكـم واحـد، وإن أبـاكم واحـد، ألا لا ...	٢٤٥
٢٤٤	يـــا رســـول الله إني لأذبـــح الـــشاة فأرحمهـــا...	٣٢٢
٢٤٥	يـا رسـول الله! إنـا كنـا أهـل جاهليـة وعبـادة أوثـان، فكنـا نقتـل ...	١٨٨
٢٤٦	يـا رسـول الله، أرَدْتُ أن أغْـزُوَ، وقـد جِئْـتُ أسْتَـشيرك، فقـال: ...	١٤٩
٢٤٧	يـا رسـول الله، إنّ دَوسـاً عـصت وأبَـت، فـادعُ الله عليهـا ...	٢٧٩
٢٤٨	يا رسول الله؟ أرأيتَ هذا المنزل، أمنزلاً أنزلَكه الله	٢١٠
٢٤٩	يـا رسـول الله، مَـنْ أحَـقُّ النـاس بِحُسْن صَـحابتي؟ قـال: «أمُّـك»...	١٤٤
٢٥٠	يـأتي علـيكم أويـس بـن عـامر مـع أمـداد أهـل اليـمن مـن مـراد ثم ...	١٥١
٢٥١	يـــــــد الله مـــــــع الجماعـــــــة...	٢٤
٢٥٢	يـــسرا ولا تعـــسرا ، وبـــشرا ولا تنفـــرا، وتطاوعـــا ولا تختـــتلفا...	٢٠١

* * *

فهرس المصادر والمراجع

(١) **القرآن الكريم** .

(٢) **آثار الحرب في الفقه الإسلامي** ،د. وهبة الزحيلي، دار الفكر – دمشق.

(٣) **أحكام الذميين و المستأمنين في دار الإسلام** ، د.عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة – بيروت [١٩٨٢م].

(٤) **أحكام أهل الذمة** ، لابن قيم الجوزية، تحقيق: د.صبحي الصالح ، مطبعة جامعة دمشق الطبعة الأولى [١٩٦١م]..

(٥) **أسباب النزول** ، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الإيمان – القاهرة، الطبعة الأولى [١٤١٧هـ-١٩٩٦م].

(٦) **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ، تأليف :علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، تحقيق : علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة الأولى [١٤١٥هـ-١٩٩٤م].

(٧) **الإصابة في تمييز الصحابة** ،أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، تحقيق:محمد البجاوي ،دار الجيل – بيروت [١٤١٣هـ-١٩٩٢م].

(٨) **إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال و الأموال و الحفدة و المتاع** ، المقريزي المتوفى سنة:٨٤٥م، تحقيق: محمد عبد الحميد النميس دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى.

(٩) **الأموال**، لأبي عبيد القاسم بن سلام، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، الطبعة الأولى [١٩٨١م].

(١٠) **البحر الزخار المعروف بمسند البزار** ، الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار، المتوفى سنة :٢٩٢هـ، تحقيق: د.محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن – بيروت، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الأولى [١٤٠٩هـ-١٩٨٨م].

(١١) **البداية و النهاية**، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة :٧٧٤هـ، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي ،دار هجر للطباعة و التوزيع و النشر و الإعلان – القاهرة، الطبعة الأولى [١٤١٧هـ-١٩٩٧م].

(١٢) **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي المتوفى سنة:٥٨٧هـ، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الثانية [١٤٠٦هـ-١٩٨٦م].

(١٣) **تاريخ الطبري تاريخ الرسل و الملوك**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة : ٣١٠هـ ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر .

(١٤) **تاريخ بغداد**، لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية – بيروت .

(١٥) **تاريخ مدينة دمشق** ،تصنيف الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، المتوفى سنة:٥٧١هـ، تحقيق :محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر – بيروت، [١٤١٥هـ-١٩٩٥م].

(١٦) **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، للإمام الحافظ أبي العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، المتوفى سنة: ١٣٥٣هـ ،تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر .

(١٧) **التاريخ الكبير**، تأليف أبو عبد الله اسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦هـ دار الكتب العلمية . بيروت.

(١٨) **التربية الصهيونية من عنصرية التوراة إلى دموية الاحتلال**، حسن الباش، دار قتيبة – دمشق ، الطبعة الأولى [١٩٩٠م].

(١٩) **تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة:٣١٠هـ ، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة و التوزيع و النشر و الإعلان – القاهرة ، الطبعة الأولى [١٤٢٢هـ-٢٠٠١م].

(٢٠) **تفسير القرآن العظيم** ، للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي ، المتوفى سنة: ٧٧٤هـ ، تحقيق : مصطفى السيد محمد و محمد السيد رشاد و محمد فضل العجماوي و علي أحمد عبد الباقي و حسن عباس قطب ، مؤسسة قرطبة مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، مصر- الجيزة .

(٢١) **التفسير المنير** أ.د.وهبه الزحيلي ،دار الفكر – دمشق ، الطبعة الثانية ، [١٩٩٨م]..

(٢٢) **جامع الأحاديث الجامع الصغير و زوائده و الجامع الكبير**، للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ جمع و ترتيب: عباس أحمد صقر، أحمد عبد الجواد دار الفكر لبنان، ١٩٩٤م ١٤١٤هـ.

(٢٣) **جامع الترمذي**، تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورة الترمذي ، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، بيت الأفكار الدولية للنشر – الرياض.

(٢٤) **الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمنه من السنة و آي الفرقان**، تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١هـ، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة – لبنان، الطبعة الأولى [١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م].

(٢٥) **الجامع لشعب الإيمان**، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، المتوفى سنة: ٤٥٨هـ، تحقيق: مختار أحمد الندوي ود.عبد العلي غبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد – الرياض .الطبعة الأولى [١٤٣٢هـ-٢٠٠٣م].

(٢٦) **حضارة العرب**، غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر ،دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة الثالثة [١٩٩٧م]،

(٢٧) **حقوق الإنسان في الإسلام** (دراسة مقارنة مع الإعلان العالمي و الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان . أد.محمد الزحيلي ،دار الكلم الطيب و دار ابن كثير – دمشق ، الطبعة الثانية [١٩٩٧م]..

(٢٨) **حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية** ، د.عبد السلام الترمانيني ..

(٢٩) **حوار الحضارات، روجيه غارودي**، تعريب د.عادل العوا، دار عويدات ، بيروت–لبنان.

(٣٠) **الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم** ، المطبعة السلفية و مكتبتها القاهرة الطبعة الثالثة [١٣٢٨هـ]..

(٣١) **الخصائص الكبرى لحقوق الإنسان في الإسلام و دعائم الديمقراطية الإسلامية** د.وهيه الزحيلي ، دار المكتبي – دمشق ، الطبعة الأولى [١٩٩٥م]..

(٣٢) **دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ من خلال سيرته الشريفة** ، د.محمد رواس قلعه جي ، دار النفائس – بيروت ، الطبعة الأولى [١٩٨٨م].

(٣٣) **الدعوة إلى الإسلام**، توماس آرنولد،ترجمة د.حسن إبراهيم حسن و د.عبد المجيد عابدين ، وإسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة الإسلامية بالقاهرة الطبعة الثالثة -١٩٧٠م.

(٣٤) **دلائل النبوة و معرفة أحوال صاحب الشريعة** ، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المتوفى سنة: ٤٥٨هـ ، تحقيق: د.عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية – بيروت ، دار الريان للتراث – مصر ، الطبعة الأولى [١٤٠٨هـ-١٩٨٨م].

(٣٥) **ديوان الإمام الشافعي** ، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة -١٩٩٦م.

(٣٦) **ديوان حافظ إبراهيم، دار العودة، بيروت – لبنان.**

(٣٧) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني**، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، المتوفى سنة :١٢٧٠هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٣٨) **الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني**، للحافظ القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، المتوفى سنة:٣٦٠هـ ، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الأولى [١٤٠٥هـ-١٩٨٥م].

(٣٩) **زاد المعاد في هدي خير العباد** ،لابن قيم الجوزية تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الرابعة عشرة [١٤٠٧هـ-١٩٨٦م].

(٤٠) **السنة**، لأحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبو بكر ، تحقيق: د.عطية الزهراني ، دار الراية – الرياض ، الطبعة الأولى [١٤١٠هـ-٢٠٠٠م]..

(٤١) **سنن بن ماجه** تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني ، المتوفى سنة: ٢٧٣هـ ، بيت الأفكار الدولية – الرياض .

(٤٢) **سنن أبي داود** ، تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى سنة ٢٧٥هـ ، بيت الأفكار الدولية للنشر – الرياض.

(٤٣) **سنن البيهقي الكبرى** ، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، المتوفى سنة: ٤٥٨هـ ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة [١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م].

(٤٤) **سنن الدارمي** ، للإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ابن بهرام الدارمي ، المتوفى سنة: ٢٥٥هـ ، تحقيق : حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر و التوزيع – الرياض ، الطبعة الأولى [١٤٢١هـ-٢٠٠٠م].

(٤٥) **سيدنا محمد رسول الله ﷺ شمائله الحميدة و خصاله المجيدة** ، للشيخ عبد الله سراج الدين الحسيني ، مكتبة دار الفلاح – حلب ، الطبعة السابعة..

(٤٦) **سيرة ابن هشام**، عبد الملك بن هشام، تحقيق :مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة -بيروت ، د.ط/د.ت..

(٤٧) **السيرة الحلبية** ، تأليف علي برهان الدين الحلبي، مكتبة المصطفى البابي الحلبي. القاهرة ، الطبعة الأولى [١٩٦٤م].

(٤٨) **السيرة النبوية** ، للإمام أبي الفداء اسماعيل بن كثير، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، تحقيق: مصطفى عبى الواحد، دار المعرفة. بيروت [١٣٩٦ . ١٩٧٦ م] .

(٤٩) **شمس العرب تسطع على الغرب**، زغريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون و كمال دسوقي و مارون الخوري، دار الآفاق الجديدة ، الطبعة التاسعة عام ١٩٩١م.

(٥٠) **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تأليف الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، المتوفى سنة ٧٣٩هـ ، تحقيق : الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية [١٤١٤هـ-١٩٩٣م].

(٥١) **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، بقلم :محمد ناصر الدين الألباني ،مكتبة الدليل – السعودية ، الطبعة الرابعة [١٤١٨هـ-١٩٩٧م].

(٥٢) **صحيح البخاري**، تصنيف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، المتوفى سنة ٢٥٦هـ ، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر – الرياض [١٤١٩هـ _ ١٩٩٨م] .

(٥٣) **صحيح مسلم** ، تصنيف الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، المتوفى سنة ٢٦١هـ ، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية للنشر – الرياض [١٤١٩هـ. ١٩٩٨م] .

(٥٤) **صحيح مسلم بشرح النووي** للإمام يحيى بن شرف الدين النووي ، المطبعة المصرية في الأزهر ، الطبعة الأولى [١٣٤٧هـ-١٩٢٩م].

(٥٥) **صفوة الصفوة**، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري ود.محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية [١٣٩٩هـ-١٩٧٩م].

(٥٦) **صورة المرأة في الحديث النبوي**، رزان عبده الحكيم ،دار الفكر – دمشق ، الطبعة الأولى [٢٠٠٨م].

(٥٧) **ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري**، بقلم :محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل – السعودية، الطبعة الرابعة [١٤١٩هـ-١٩٩٨م].

(٥٨) **العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب**.الشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر الطبعة الثانية [٢٠٠٥م]..

(٥٩) **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية – المدينة المنورة، الطبعة الثانية [١٣٨٨هـ-١٩٦٨م].

(٦٠) **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، د.يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة-بيروت .

(٦١) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ ، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .

(٦٢) **فتوح البلدان**، للبلاذري تحقيق: عبد الله و عمر طباع، مؤسسة المعارف – بيروت، [١٩٨٧م].

(٦٣) **الفروق و أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش)**، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، تحقيق :خليل منصور، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى [١٤١٨هـ-١٩٩٨م].

(٦٤) **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية [١٣٩١هـ-١٩٧٢م].

(٦٥) **القاموس المحيط** للفيروز آبادي، دار الجيل، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

(٦٦) **قصة الحضارة**، وِل وايريل ديورانت، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل – بيروت.

(٦٧) **قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا**، تحقيق: مجدي السيد، مكتبة دار الفرقان –القاهرة.

(٦٨) **كتاب التاريخ الكبير**، تصنيف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم الجعفي البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان

(٦٩) **كتاب السنن الكبرى** ، للإمام أبي عبد الرحمن محمد بن شعيب النسائي ، المتوفى سنة ٣٠٣هـ، أشرف عليه : شعيب الأرناؤوط، حققه و خرج أحاديثه : حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة بيروت – لبنان الطبعة الأولى [١٤٢١هـ-٢٠٠١م].

(٧٠) **كتاب السير الكبير** إملاء محمد بن أحمد السرخسي، تحقيق: د.صلاح الدين المنجد، طبعة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عام [١٩٥٧م].

(٧١) **كتاب الطبقات الكبير** لمحمد بن سعد بن منيع الزهري، المتوفى سنة :٢٣٠هـ، تحقيق: د.محمد علي عمر، مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الأولى [١٤٢١هـ-٢٠٠١م].

(٧٢) **الكتاب المقدس** ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .

(٧٣) **كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال**، للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري، المتوفى سنة:٩٧٥هـ ، تحقيق :الشيخ بكري حياني و الشيخ صفوت السقا ،مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الخامسة [١٤٠٥هـ-١٩٨٥م].

(٧٤) **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى.

(٧٥) **ماذا عن المرأة**، د.نور الدين عتر و دار الفكر – دمشق، الطبعة الرابعة [١٩٨١م].

(٧٦) **المائة الأوائل**، د.مايكل هارت، ترجمة: عيسى وسبانو، دار قتيبة –دمشق ، الطبعة الأولى [١٩٧٩م]..

(٧٧) **المجتبى من السنن المشهور بسنن النسائي** للإمام أبي عبد الرحمن محمد بن شعيب النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣هـ ، بيت الأفكار الدولية للنشر – الرياض.

(٧٨) **مجمع الزوائد و منبع الفوائد** نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الفكر- بيروت ، [١٤١٢هـ].

(٧٩) **محمد ﷺ المثل الكامل**، أحمد جاد المولى، مكتبة دار المحبة – دمشق، الطبعة الأولى [١٩٩٠م].

(٨٠) **المستدرك على الصحيحين**، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، دار الحرمين للطباعة و النشر و التوزيع ، الطبعة الأولى [١٤١٧هـ-١٩٩٧م].

(٨١) **مسند إسحاق بن راهويه**، الإمام اسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي ، المتوفى سنة: ٢٣٨هـ ، تحقيق : د.عبد الغفور عبد الحق حسين برالبوشي ، مكتبة الإيمان – المدينة المنورة ، الطبعة الأولى [١٤١٤هـ-١٩٩١م].

(٨٢) **مسند الإمام أحمد بن أحمد**، المتوفى سنة ٢٤١هـ ، تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط و عادل مرشد، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى [١٤١٦هـ-١٩٩٥م].

(٨٣) **المصنف** . للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة ، المتوفى سنة ٢٣٥هـ، تحقيق: حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم اللحيدان ، مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة الأولى [١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م]

(٨٤) **المطالب العالية بزوائد الثمانية** ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، المتوفى سنة: ٢٥٨هـ ، تحقيق : د.سمير بن سليمان بن عبد الله العمران و د.سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري ، دار العاصمة – الرياض، دار الغيث - الرياض، الطبعة الأولى [١٤١٩هـ-١٩٩٨م].

(٨٥) **المعجم الأوسط**، للحافظ القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، المتوفى سنة:٣٦٠هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين للطباعة و النشر و التوزيع – القاهرة [١٤١٥هـ - ١٩٩٥م].

(٨٦) **المعجم الكبير**، للحافظ القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى سنة:٣٦٠هـ تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة الثانية .

(٨٧) **معرفة الصحابة**، لأبي نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران الأصبهاني، المتوفى سنة:٤٣٠هـ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر – الرياض، الطبعة الأولى [١٤١٩هـ-١٩٩٨م].

(٨٨) **مواطنون لا ذميون**، د. فهمي هويدي، دار الشروق- القاهرة.

(٨٩) **الموافقات**،تأليف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي المتوفى سنة: ٧٩٠هـ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى [١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م].

(٩٠) **موسوعة الفقه الإسلامي و أدلته** أد.وهبه الزحيلي، دار الفكر – دمشق ، الطبعة الرابعة [٢٠٠٢م]..

(٩١) **الموطأ**، لإمام دار الهجرة مالك بن أنس، المتوفى سنة:١٧٩هـ ، برواية أبي مصعب الزهري المدني ، المتوفى سنة: ٢٤٢هـ ، تحقيق : د.بشار عواد معروف ، محمود محمد خليل ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثالثة [١٤١٠هـ-١٩٩٨م].

(٩٢) **النظام السياسي للدولة الإسلامية**،د. محمد سليم العوا، دار الشروق – القاهرة.

(٩٣) **نوادر الأصول**، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي ،تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، [١٩٩٢م]..

(٩٤) **النور الخالد محمد ﷺ معجزة الإنسانية**، محمد فتح الله كولن، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى [١٩٩٩م]..

(٩٥) **هداية الحيارى** ، لابن قيم الجوزية، تحقيق: د.أحمد السقا، المكتبة القيمة – مصر، الطبعة الرابعة –١٤٠٧هـ.

* * *

تم بعون الله عز وجل إنجاز هذا الكتاب بعنوان:

كمال رحمته

صلى الله عليه وسلم

من موسوعة

... « فقه الدعوة والحياة » ...

في شمائل وسيرة وحقوق سيدنا محمد رسول الله ﷺ

نسأل الله تعالى المعونة والسداد والإمداد لإخراج بقية أجزائها..

وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ..

وأن ينفعنا وينفع بها المسلمين..

والحمد لله رب العالمين..

فهرس المحتويات

المقدمة :

أولاً: لماذا هذا الكتاب؟ ---------- **٩**

مشاهد من واقع الأمة الإسلامية.

المشهد الأول: الصراع بين الحق والباطل لا يتوقف---------- **١٠**

المشهد الثاني: الحرب على رسول الله ﷺ ---------- **١١**

المشهد الثالث: أجيال الضياع!!وأجيال عصر النهضة والصحوة -- **١٨**

المشهد الرابع: حرب الرموز. ---------- **٢١**

المشهد الخامس: عندما لا يكون الولاء لرسول الله ﷺ أولاً. ---- **٢٢**

ثانياً: بماذا يتميز هذا الكتاب؟ ---------- **٣٦**

الفصل الأول: الرحمة المهداة

- تمهيد: ---------- **٤٣**

أولاً: جاء رسول الله ﷺ برسالة الرحمة ---------- **٤٥**

ثانياً: رسولٌ من أنفسكم ---------- **٥٢**

الفصل الثاني: رحمته بالمؤمنين.

أولاً: جوانب رحمته ﷺ بالأطفال

- تمهيد:---------- **٦١**

١- من رحمته ﷺ أنه كان يدخل السرور على قلوب الأطفال --- **٦٥**

٢- من رحمته ﷺ أنه كان يُقبل أولاده وأحفاده---------- **٦٩**

٣- من رحمته ﷺ أنه كان يضمُّهم إلى صدره الشريف ------- **٧٠**

٤- من رحمته ﷺ أنه كان يبكي لموت الأطفال ---------- ٧١
٥- من رحمته ﷺ عنايته بالأيتام بشكل خاص ---------- ٧٤

ثانياً: جوانب رحمته ﷺ بالضعفاء

١- من رحمته ﷺ أنه كان يرعاهم ويواسيهم في مختلف شؤونهم -- ٧٩
٢- من رحمته ﷺ أنه كان يحبهم ولا يميل عن صحبتهم إلى صحبة أصحاب النفوذ ---------- ٨١
٣- من رحمته ﷺ أنه كان يقضي لهم حاجاتهم ---------- ٨٤
٤- من رحمته ﷺ أنه كان يحث على مساعدة الضعفاء والمساكين ٨٥
٥- من رحمته ﷺ أنه كان يتلطف بالخدم ويأمر بإعطائهم حقوقهم ٨٦
٦- من رحمته ﷺ أنه كان يحذر من عدم إعطاء الأجير أجره. --- ٨٨
٧- من رحمته ﷺ أنه كان يرحم المسنين ويكرمهم. -------- ٩٠
٨- من رحمته ﷺ أنه كان يخص أصحاب الاحتياجات الخاصة من الضعفاء بمكانة اجتماعية متميزة. ---------- ٩١

ثالثاً: رحمته ﷺ وتكريمه للنساء

أ- جوانب رحمته ﷺ بعموم النساء

- تمهيد:
  - حال المرأة في المجتمعات الجاهلية. ---------- ٩٧
  - حال المرأة في المجتمعات غير العربية ---------- ١٠٠
  - المفهوم الحقيقي لقضية تحرير المرأة ---------- ١٠٥
- **حال المرأة في ظلال وتعاليم النبي ﷺ -------- ١٠٨**

أولاً: النبي ﷺ يقرر للمرأة حقوقها ويدافع عنها.

١- حق المساواة الكاملة مع الرجال إنسانياً ---------- ١٠٨

٢- حق المساواة الكاملة مع الرجال إيمانياً---------- ١٠٩
٣- حق المساواة الكاملة مع الرجال في التعلم والتعليم -------- ١١١
٤- حق المساواة الكاملة مع الرجال في التملك وحق التصرف بما تملك ١١٧
٥- وأعطى رسول الله ﷺ المرأة الحق بالعمل---------- ١٢٢

ثانياً: النبي ﷺ يُعلي من مكانة المرأة ويرفع من شأنها:

١- كان يشاور النساء ويسمع لمشورتهن حتى في الأمور السياسية- ١٢٧
٢- كان رسول الله ﷺ يبايع النساء كما يبايع الرجال ------- ١٣١
٣- كان رسول الله ﷺ يجير من أجارته المرأة ---------- ١٣١
٤-كان رسول الله ﷺ يأمر الرجل بالخروج مع زوجته لتؤدي
فريضة الحج، ولو احتاج الأمر أن يترك الخروج للجهاد ----- ١٣٢
٥- كان رسول الله ﷺ يحذر من تضييع حق المرأة --------- ١٣٣
٦- كان رسول الله ﷺ يحث على السعي على الأرملة ومساعدتها- ١٣٣
٧- كان رسول الله ﷺ يدعو للرفق بالنساء---------- ١٣٤
٨-كان رسول الله ﷺ يُعلن أنه قد حُبب إليه النساء؛ ليلفت
نظر المسلمين إلى العناية بهن وتكريمهن وإعلاء شأنهن ----- ١٣٥
٩- كان رسول الله ﷺ يؤيد المرأة في الدفاع عن حقوقها------ ١٣٦
١٠- كان رسول الله ﷺ يوصي بالنساء خيراً---------- ١٣٩

ب- جوانب رحمته ﷺ وتكريمه للأمهات:

١- تقديم الأم في البر---------- ١٤٤
٢- الهلاك للعاقين ---------- ١٤٥
٣- السعادة للبارين---------- ١٤٧
٤- بر الأمهات مقدم على الجهاد---------- ١٤٩

٥- بر الأمهات مقدم على الهجرة ---------- ١٥٠
٦- إشفاقه ﷺ على الأمهات ---------- ١٥٢
٧- أمره ﷺ بالإحسان إلى الأم ولو كانت كافرة ------- ١٥٣
٨- كان ﷺ يكرم الأمهات من الرضاع وكذلك الحواضن--- ١٥٤
٩- ومن رحمته ﷺ أنه كان يشعر بمعاناة أم الأيتام------- ١٥٩
١٠- وكان ﷺ يبين فضل أمهات الأيتام المتفرغات لرعاية
أيتامهن ---------- ١٦٠

ج- جوانب رحمته ﷺ وتكريمه للزوجات:

١- منع إكراه المرأة على الزواج ممن لا ترغب فيه -------- ١٦٣
٢- كرّم رسول الله ﷺ الزوجة، فحمّلها مسؤولية بيت الأسرة - ١٦٦
٣- ومن رحمته ﷺ أنه أمر بإعطاء الزوجة حقها:
- إن لزوجك عليك حقاً---------- ١٦٨
- أن يوفر لها الزوج احتياجاتها النفسية والعاطفية والجسدية - ١٦٩
- إدخال السرور عليها---------- ١٧٠
- أن يساعدها زوجها ---------- ١٧١
- أن يتواضع لها زوجها---------- ١٧٣
- حل المشكلات معها باللطف والإنصاف------- ١٧٤
- ألاّ ينشر زوجها سرها ---------- ١٧٦
- لا تُكلَّف الإنفاق على نفسها وأهلها ولو كانت غنية -- ١٧٦
- تكريم الزوجة بالوفاء والمحبة---------- ١٧٧

د- جوانب رحمته ﷺ وتكريمه للبنات:

١- اهتم رسول الله ﷺ اهتماماً خاصاً بالبنات، وشجع على الاستكثار منهن - ١٨٣

٢- كان رسول الله ﷺ يهتم بابنته فاطمة، ويكرمها إكراماً فريداً ----- ١٨٤
٣- كان رسول الله ﷺ شديد العطف على البنات ---------- ١٨٦
٤- كان رسول الله ﷺ يبكي عند سماعه لرجل يصف وأد ابنته ------ ١٨٧

رابعاً: جوانب رحمته ﷺ بأصحابه

١- من رحمته ﷺ أنه كان هيناً ليّناً رفيقاً طلق الوجه مهتماً بهم---- ١٩٦
٢-من رحمته ﷺ أنه كان يعترف لهم بفضلهم عليه ---------- ١٩٨
٣- من رحمته ﷺ أنه كان يُيسر لهم ولا يعسر عليهم --------- ٢٠١
٤- من رحمته ﷺ أنه كان يخفض جناحه ويتواضع لهم -------- ٢٠٣
٥- من رحمته ﷺ أنه كان يعفو عنهم ويستغفر لهم و يحلم عليهم
و يستسمح منهم ---------- ٢٠٤
٦- من رحمته ﷺ أنه كان عزيزاً عليه عَنَتهم وكان حريصاً عليهم
وكان بهم رؤوفاً رحيماً ---------- ٢٠٧
٧- من رحمته ﷺ أنه كان يشاورهم في شؤون مختلفة --------- ٢٠٨
٨- من رحمته ﷺ أنه كان يُنزلهم منازل التكريم ---------- ٢١٢
٩- من رحمته ﷺ أنه كان يحزن ويبكي إذا مات أحدهم ------ ٢١٦
١٠- من رحمته ﷺ أنه كان يزور مرضاهم ويبكي لألمهم. ------ ٢١٦
١١- من رحمته ﷺ أنه كان يشهد جنائزهم ---------- ٢١٧
١٢- من رحمته ﷺ أنه كان يصحبهم ولا تعدو عيناه عنهم ،
ويبني معهم علاقة محبة ومودة ووفاء ---------- ٢١٧
١٣- من رحمته ﷺ أنه كان يتفقدهم ويدرس أحوالهم و يساعدهم
على حل الصعوبات التي تواجههم ---------- ٢١٨

الفصل الثالث: رحمته بغير المسلمين.

أولاً: جوانب رحمته ﷺ بالمعاهدين.

- تمهيد.

١- من هم المعاهدون؟ ---------- ٢٢٥

٢- المستأمنون وبعض ما يتعلق بهم ---------- ٢٣١

- **رحمته ﷺ بغير المسلمين وذلك بتأمين حقوقهم الإنسانية العامة.**

١- حق الحياة ---------- ٢٣٤

٢- حق الاعتقاد والتدين ---------- ٢٣٧

٣- حق الحرية ---------- ٢٤١

٤- حق العدل ---------- ٢٤٢

٥- حق المساواة من الناحية الإنسانية---------- ٢٤٥

٦- حق رعاية الشيخوخة ---------- ٢٤٦

٧- حق الغذاء. ---------- ٢٤٧

٨- حق الكرامة الإنسانية ---------- ٢٤٨

٩- حق التملك والتصرف والمساواة مع المسلمين في المعاملات المالية ---------- ٢٤٨

١٠- حق الحماية القضائية ---------- ٢٥٠

١١- حق تولي وظائف الدولة---------- ٢٥١

ثانياً: جوانب رحمته ﷺ بالمنافقين:

١- حماهم من القتل والأسر ---------- ٢٥٩

٢- أحسن صحبتهم ما صحبوه---------- ٢٦٢

ثالثاً: جوانب رحمته ﷺ بالمشركين:

١- كان ﷺ يسعى لهداية الكافرين، ولا يسعى لاستئصالهم ------ ٢٦٧

۞ بعض مواقفه التي دعا فيها للمشركين بالهداية ---------- ٢٧٠

۞ وقفة للتأمل والتحليل ---------- ٢٧٦

٢- رحمته ﷺ بالكافرين وعفوه عنهم بعد انتصاره عليهم في الحرب -- ٢٨٠
٣- رحمته ﷺ بنساء وشيوخ وأطفال الكافرين المحاربين ---------- ٢٨٢
۞ وقفة تأمل ومقارنة : هذه ثقافتنا وأعمالنا وتلك ثقافتهم وأعمالهم - ٢٨٤
- ثقافة أعدائنا المتوحشة التي يستمدونها من كتبهم ---------- ٢٨٤
- وهذه ثقافتهم وأعمالهم في الماضي---------- ٢٨٦
- وهذه ثقافتهم وأعمالهم في الحاضر---------- ٢٩٧
- تنبيه وتحذير---------- ٣٠٢
٤- رحمته بالأسرى---------- ٣٠٣
- أمر ﷺ بتوفير أحسن الطعام لهم---------- ٣٠٣
- أمر ﷺ بتوفير اللباس الكافي والمناسب لهم ---------- ٣٠٤
- أمر ﷺ بتوفير المأوى والسكن المناسب لهم ---------- ٣٠٤
- أتاح لهم تعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة مقابل تحريرهم ---- ٣٠٥
- أمر رسول الله ﷺ ألاّ يفرق بين الأهل في الأسْرِ ---------- ٣٠٥
- أمر رسول الله ﷺ ألاّ يكره أحدهم على ترك عقيدته، وألاّ يُكره على الدخول في الإسلام ---------- ٣٠٥
۞ مقارنة ومفارقة:---------- ٣٠٧
- هكذا عاملنا أسراهم!!..وهكذا عاملوا أسرانا!! ---------- ٣٠٧
- في العصر الماضي ---------- ٣٠٧
- في العصر الحاضر---------- ٣٠٧

الفصل الرابع: رحمته ﷺ بالحيوان

جوانب رحمته ﷺ بالحيوان

■ تمهيد:---------- ٣١٣
١- من رحمته ﷺ نهيه عن إرهاق الحيوانات---------- ٣١٥
٢- من رحمته ﷺ نهيه عن تجويع الحيوان ، وتحميله فوق طاقته، وأمره بتركه ليستريح ---------- ٣١٦

٣- من رحمته ﷺ أمره بالإحسان إليه ، ونهيه عن إيذائه ------ ٣١٧
٤- من رحمته ﷺ نهيه عن اتخاذه هدفاً للرماية والتسلية------- ٣١٨
٥- من رحمته ﷺ نهيه عن قتله عبثاً من غير قصد منفعة ------ ٣١٩
٦- من رحمته ﷺ نهيه عن فجع الحيوانات بأولادها--------- ٣٢١
٧- من رحمته ﷺ أمره بالرفق به أثناء ذبحه ---------- ٣٢٢
٨- من رحمته ﷺ نهيه عن تعذيبه وحرقه بالنار ---------- ٣٢٢
٩- من رحمته ﷺ نهيه عن التحريش بين الحيوانات ليقتل بعضها
بعضاً، أو يؤذي بعضها بعضاً---------- ٣٢٣
١٠- من رحمته ﷺ نهيه عن التمثيل به ---------- ٣٢٤

الفصل الخامس: بنى ﷺ أمة الرحمة.

أولاً: كيف بنى النبي ﷺ أمة الرحمة من خلال هدي القرآن الكريم (نموذج) - ٣٣٠
ثانياً: كيف بنى النبي ﷺ أمة الرحمة من خلال هدي النبوة (نموذج) ----- ٣٣٤
ثالثاً: هذه ثقافة وأعمال وتاريخ أمة الرحمة: ---------- ٣٣٥
١- تسامح المسلمين مع غير المسلمين ---------- ٣٣٥
٢- تسامح المسلمين جذَبَ غير المسلمين إليهم ----- ٣٤٠
٣- ثقافة أمة الرحمة صنعت أرقى الحضارات في العالم -- ٣٤٣
رابعاً: نماذج من ثقافة الرحمة في سلوك المسلمين: ---------- ٣٤٦
١- نماذج من ثقافة الرحمة في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه - ٣٤٦
٢- نماذج من ثقافة الرحمة في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه --- ٣٤٩
٣- نماذج من ثقافة الرحمة في عصور مختلفة-------- ٣٥٣

الفهارس

فهرس الأحاديث ---------- ٣٥٩
فهرس المصادر والمراجع---------- ٣٦٩
فهرس المحتويات ---------- ٣٨١

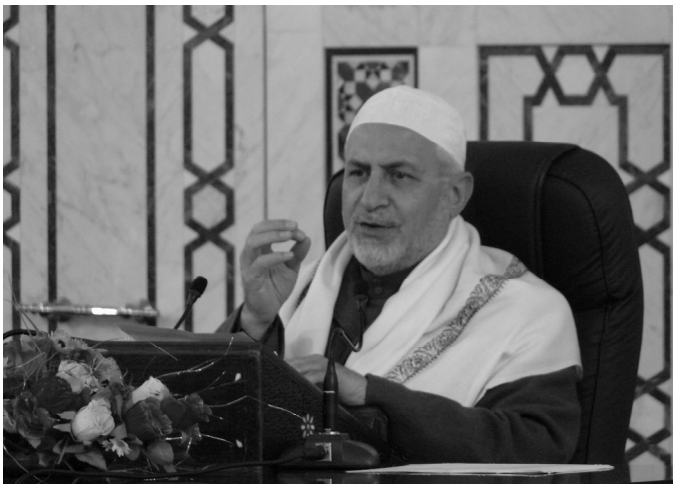

المؤلف في سطور*

محمد غسّان بن خليل الجبّان الجنيدي الحسيني

- الجبّان شهرةً، الجنيدي لقباً، الحسيني نسباً
- ولد بدمشق في جوار جامع بني أمية الكبير عام ١٩٤٧م، وهو من ذرية الشيخ سليمان الجنيدي، ومن أسرة يتصل نسبها إلى الإمام الحسين ﷺ.
- التحق بمدرسة علم الدعوة والتزكية والحكمة عام ١٩٦١م، التي أسّسها الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله تعالى ... ودَرَس هذه العلوم على يديه.. كما دَرَس العلوم الشرعية على يد عدد من علماء دمشق...
- تحصّل على إجازة في التدريس الديني والوعظ والإرشاد من سماحة الشيخ أحمد كفتارو عام ١٩٧٦م..
- عمل في حقل الدعوة الإسلامية والتدريس الديني، أكثر من خمسةٍ وأربعين عاماً، وتربّى على يديه مئاتٌ من الدعاة، وأعدادٌ كبيرة من شباب الدعوة الإسلامية ...
- حائز على درجة البكالوريوس في العلوم الفيزيائية والكيميائية من جامعة دمشق عام ١٩٧٢م..
- عمل في التعليم الرسمي.
- أسس وأدار عدداً من مشاريع العمل الخيري.
- أسس وأدار عدداً من مؤسسات التعليم الشرعي للمرحلتين: الجامعية والدراسات العليا ..
- عضو مجلس أمناء معهد الشام العالي للعلوم الشرعية واللغة العربية والدراسات والبحوث الإسلامية
- باحث ومؤلف.

* انظر: موسوعة الأسر الدمشقية للدكتور محمد شريف الصواف ١/٣٤٥ وما بعد.

كتب للمؤلف

- **سلسة السِير والتراجم:**

١- العلامة الشيخ أحمد كفتارو –أفكار وأساليب لنهضة الأمة الإسلامية- [الطبعة الأولى].

٢- العالِم الرباني الشيخ محمد بشير الباني- قبسٌ من حياته وأفكاره- (بالاشتراك) . الطبعة الأولى.

- **سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى:**

١- ذكر الله تعالى – طريقك إلى السعادة والنجاح والتفوق- الطبعة الخامسة.

٢- أيها المسوفون الوقت ضيق. الطبعة السابعة.

- **موسوعة فقه الدعوة والحياة** « في شمائل وسيرة وحقوق سيدنا محمد رسول الله ﷺ »

١- الأصول في معرفة حقوق الرسول ﷺ [مرحلة الطباعة].

٢- كمال رحمته ﷺ .الطبعة الثانية.

٣- كمال حكمته ﷺ .[مرحلة الطباعة].

٤- أجزاء أخرى. [مرحلة الإعداد].

- **سلسلة دراسات وأبحاث:**

١- مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي، الطبعة الأولى.

٢- مبادئ في الفكر الإقتصادي الإسلامي، الطبعة الأولى.

٣- مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية [مرحة الإعداد].

٤- خصائص الرسالة الإسلامية، [مرحلة الإعداد].

هذا الكتاب

بعد أن كثرت المشاهد التي نراها اليوم، والتي تحاول المساس برسول الإنسانية محمد عليه الصلاة والسلام، بكافة الوسائل.. كان لابد لكل مسلم أن يتعرف على رسول الله ﷺ أكثر. لذلك جاء هذا الكتاب :

من أجل نصرة النبي ﷺ وبناء علاقة وثيقة وعميقة معه .

ومن أجل إنقاذ شريحة من الشباب الذين أغرقهم أعداؤنا في بحار التفلُّت والضياع..

ومن أجل أن تتعرف على رسول الله ﷺ وكأنك تراه معك، تصاحبه...، تستمع إليه...، حتى تشعر بمعيته في أحوالك كلّها، وترتبط به ارتباطاً وثيقاً قلبياً وروحياً وحبياً.

إنّ هذا الكتاب يحمل بين طياته أفكاراً جريئة تتعلق بالنقد الذاتي، لبعض مفاهيم ومظاهر وسلوكيات بعض العاملين في حقل الدعوة الإسلامية ...

كما يتضمن أفكاراً جريئة تتعلق بالمواقف المخادعة للعالم الغربي من خلال استغلالهم لشعار حقوق الإنسان...

وهو كتاب يركز على فقه الدعوة إلى الله، من خلال السيرة والشمائل والسنة النبوية ...

إنه كتاب يجمع بين ثقافة التراث الإسلامي الغني الزاخر في هذا الموضوع ، وبين الثقافة المعاصرة، ويخاطب الروح والعقل من خلال توجيهات النبي ﷺ ومن خلال الحقائق المشاهدة في الواقع.

الناشر

الٰہی
تو مقصود تو رضاک مطلوب

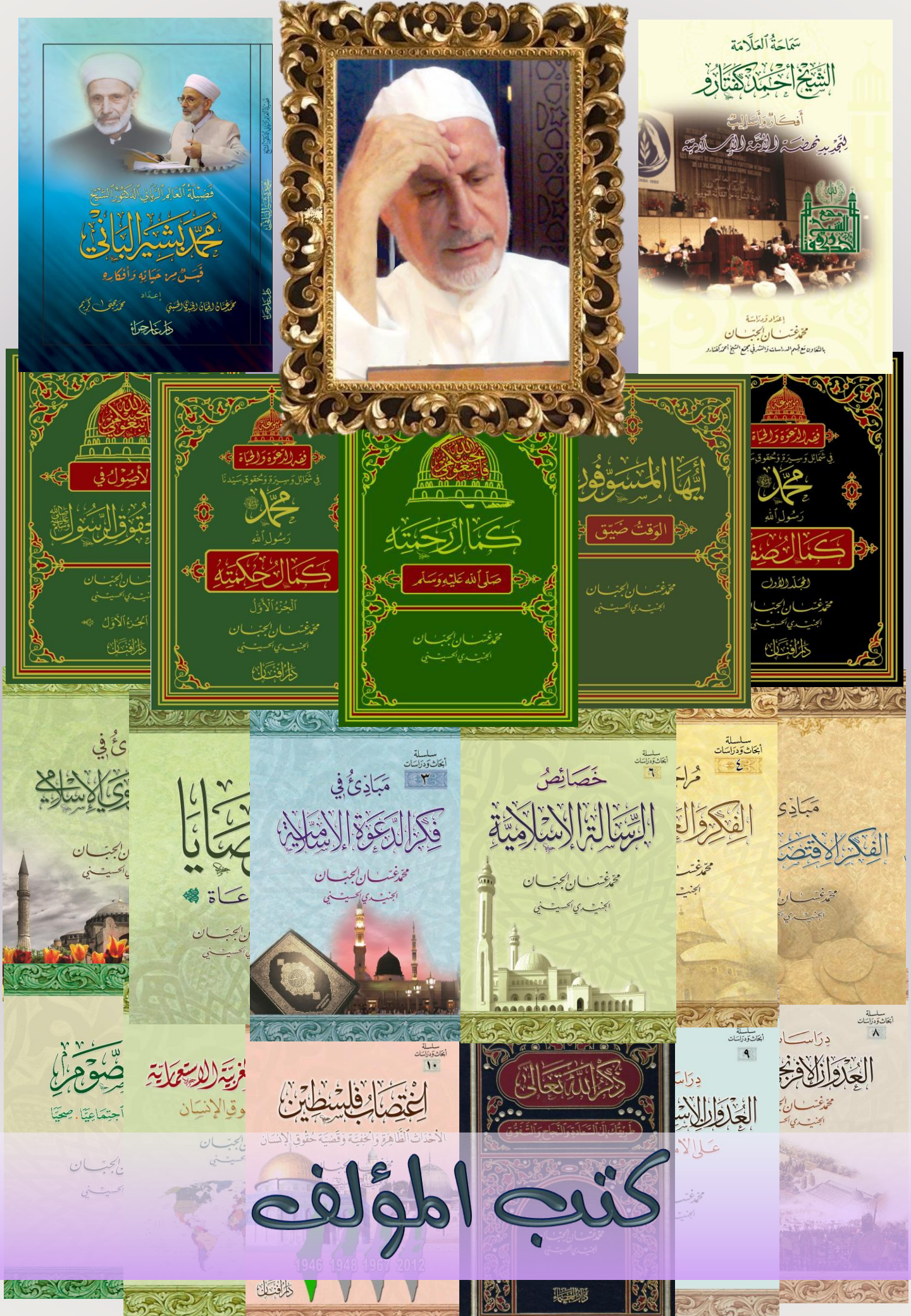
سماحة العلامة
الشيخ أحمد كفتارو
أفكار وأساليب
لتجديد نهضة الأمة الإسلامية
إعداد ودراسة
محمد غسان الجبان
فضيلة العالم الرباني الدكتور الشيخ
محمد بشير البانى
قبس من حياته وأفكاره
إعداد
محمد عفاف الطحان الشربجي الحسيني
محمد معوض كريم
دار عمار حران
فقه الدعوة والحياة
في شمائل وسيرة وحقوق سيدنا
محمد
رسول الله
كمال رحمته
صلى الله عليه وسلم
الجزء الأول
محمد غسان الجبان
الجنيدي الحسيني
دار الفتح
أيها المسوفون
الوقت ضيق
محمد غسان الجبان
الجنيدي الحسيني
الأصول في
حقوق الرسول
سلسلة
أبحاث ودراسات
٣
مبادئ في
فكر الدعوة الإسلامية
محمد غسان الجبان
الجنيدي الحسيني
سلسلة
أبحاث ودراسات
٦
خصائص
الرسالة الإسلامية
محمد غسان الجبان
الجنيدي الحسيني
سلسلة
أبحاث ودراسات
١٠
اغتصاب فلسطين
الأحداث الظاهرة والخفية وقضية حقوق الإنسان
ذكر الله تعالى
في رياض الجنة العلم والعمل والتقوى
كتب المؤلف
1946 1948 1967 2012